عبد رب النبي علي أبو السعود
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية



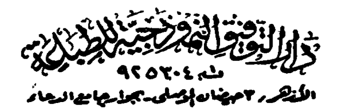
تقديم فضيلة الشيخ

مناع القطان

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـــة الأولى

١٤١١ هـ — ١٩٩٠ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .

تنمو مشاعر الايمان فى نفس المؤمن بالتذكرة التى يستحضر بها القلب معانى العقيدة ومقتضياتها فى العمل والسلوك ، وأجل ما تكون به التذكرة اذا استندت الى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : **﴿ وهذا ذكر مبارك انزلناه ﴾(١) .**

﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾(٢) .

﴿ قد أنزل الله اليكم ذكرا . رسولا ﴾(٣) .

واذا كانت جوانب الاسلام متعددة فان جماعها فى صلة العبد بربه ، وفى صلته بغيره ، وفى حماية حوزة الدين .

وعماد الصلة بين العبد وربه الصلاة التى تجعل القلب موصولا بالله . يخضع لجلاله ، ويلهج بالثناء عليه قائما وراكعا وساجدا . ويعاود هذا فى اليوم الواحد خمس مرات على الأقل ، يفتتح يومه بلقاء مع ربه فى صلاة الصبح ، ويختمه بلقاء آخر قبل أن ينام فى صلاة العشاء ، فتزكو نفسه ويظل قلبه يقظا حيا ، يخشى الله فى السر والعلانية ، وينفر من الرذيلة والاثم : **﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾(٤) .**

---

(١) الأنبياء : ٥٠

(٢) الحجر : ٩

(٣) الطلاق : ١٠ ، ١١

(٤) العنكبوت : ٤٥

وصلة الانسان بغيره تتوثق رابطتها فى نواتها الأولى مع الوالدين فى ظل حنان الأمومة ، وعطف الأبوة ، والرعاية الكاملة التى تكتنف مطلع الحياة ، مع ما يحيط بها من مشاق ومتاعب ، تستمتع بها الأم باحساسها المرهف نحو من حملته فى بطنها كرها ووضعته كرها وهنا على وهن .

وهذا الجو الذى يعبق بالعواطف الجياشة تنمو فيه بذور الود والمرحمة وصلات الحب الدافق ازاء الآخرين ، حتى تقوم العلاقة بين الانسان وأخيه فى المجتمع الاسلامى على أواصر القرابة والرحم ، وأواصر الحب فى الله ، والاخاء فى العقيدة ، ونواة هذا فيما يعرف ببر الوالدين الذى اقترن فى القرآن بتوحيد العبادة : ﴿ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ﴾(١) .

واذا تحققت العبودية الخالصة لله فى صلة العبد بربه ، وتوثقت عرى المحبة بالاخاء فيه . اشتد أزر الأمة ، وصلب عودها ، وكان عليها أن تحمى حوزة دينها بالجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمته ، واقامة شريعته ، والحراسة الدائمة التى تجعل أمة الاسلام ، عزيزة الجانب ، موفورة الكرامة . ولذا كان الجهاد ذروة سنام الاسلام .

وقد أدرك الأخ « عبد رب النبى على أبو السعود » ما لتلك الجوانب الثلاثة من أثر بالغ فى الاسلام ، فكتب فيها هذا البحث ، وأحسبه — والله حسيبه ولا أزكى على الله أحدا — قد اتقى فأحسن الانتقاء ، واختار فأحسن الاختيار ، نسأل الله أن ينفعه وأن ينفع به . وأن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه .

مناع بن خليل القطان

* * *

---

(١) الاسراء : ٢٣

أحب الأعمال الى الله

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه[١] فى الصحيحين قال :

« سألت النبى صلى الله عليه وسـلم ، أى الأعمال أحب الى الله عـز وجـل ؟ قال : « الصـلاة لوقتهـا » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سـبيل الله » . قال : وحدثنى بهن ولو استزدته لزادنى[٢] .

* * *

---

(١) هو عبد الله بن مسـعود الهذلى أبو عبـد الرحمن ، من اكابر الصحابة فضلا وعقلا ، ومن السابقين الى الاسلام ، وأول من جهر بالقرآن بمكة ، وهو وعاء ملىء علما ، توفى بالمدينة المنورة سنة (٣٢ هـ) رضى الله عنـه .

(٢) رواه البخارى جـ ٢ ص ٧ و ٨ فى مواقيت الصلاة : باب فضل الصلاة لوقتها و جـ ١٠ ص ٣٣٦ فى الأدب : باب البر والصلة وقول الله تعالى : ﴿**ووصينا الانسان بوالديه حسنا**﴾(العنكبوت:٨) ومسلم رقم(٨٥)، (١٣٩) فى الايمان : باب كون الايمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، ورواه أيضا الترمذى رقم (١٨٩٩) فى البر والصلة : باب رقم (٢) ، والنسائى جـ ١ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ فى المواقيت : باب فضل الصلاة لمواقيتها ، واحمـد فى « المسند » جـ ١ ص ٤٥١ من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

الفصل الأول

الصلاة لوقتها..

● **تمهيد :**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبى الهدى المرسل رحمة للعالمين ، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وقدوة المربين ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه ، واستمسك بسنته ، ودعا بدعوته الى يوم الدين . وبعد ..

من أسمى الغايات ، وأنبل الأغراض التى يستهدفها المرء فى حياته ، الظفر بمحبة الله ، وتحصيل بره ورضاه .

والله سبحانه وتعالى اذا أحب انسانا وفقه للصالحات ، وأعانه على السمو الى أقصى الغايات ، وأمده بالنصر الذى يعلى من شأنه ، ويرفع من قدره ، وحفظه من كل سوء يصيبه أو أذى يناله .

وللظفر بمحبة الله منهج مرسوم ، وطريق معلوم . وفى طليعة هذا المنهج متابعة رسول الله ، وحسن الاقتداء به ، والتأسى به فى أقواله وأفعاله ، والتخلق بأخلاقه وآدابه ، فذلك أهدى السبل وأقرب الطرق وآية كمال الايمان وصدق اليقين .

يقول الله تعالى : ﴿ **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم** ﴾(1) .

والقيام بشرائع الاسلام وشعائره والاضطلاع بفرائضه ونوافله ، واحتمال أعبائه وتبعاته . هى الركائز الأساسية لمن يحاول القرب من الله .

ومن ثمار محبة الله للانسان ، أن يلقى الله فى قلوب الصالحين

(1) آل عمران : ٣١

من عبـاده ، محبته ، قيل : يا رسول الله ، انا نعمل العمل لله ويحبنـا الناس فقـال : « تلك عاجل بشرى المؤمن » •

ويقول الرسول عليـه الصلاة والسلام : « ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : انى أحب فلانا فأحبه • فيحبـه جبريل ، ثم ينادى فى السـماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السـماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض • واذا أبغض عبدا ، دعا جبريل فيقول : انى أبغض فلانا فأبغضوه ، ثم توضع له البغضاء فى الأرض »[1] •

الا أننى فى هـذا الكتاب •• لا يسعنى أن أقول أكثر من أننى أسجد لله سـبحانه وتعالى شـكرا وعرفانا •• اللهم أعنى على ذكرك وشـكرك وحسن عبادتك •• والتقرب اليك بصالح وأحب الأعمال •

فالفضل والتوفيق كله •• لله عز وجل •• فأنا لم أفعل شيئا ، ولكن الله عز وجل وفقنى وهدانى الى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنـه (فى الصحيحين) قال : سألت النبى صلى الله عليه وسـلم : أى الأعمال أحب الى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة لوقتها » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » • قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سـبيل الله » قال : وحدثنى بهن ولو استزدته لزادنى[2] •

ولقـد بذلت جهدى أن أستنبط من القرآن الكريم ومن سـنة النبى صلى الله عليه وسلم شـيئا ينفعنا وينفع المؤمنين •• وبأسـلوب سهل ميسر حبا وتقربا لله سـبحانه وتعالى •• راجيا وجهه الكريم •• فنسـأل الله تعـالى أن ينفـع به كل قارىء وسـامع يبادر لنيـل العـلوم النافعة •

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين • والله الموفق ••

***

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ٢٠٣٠ (٤٨) باب اذا أحب الله عبدا . رقم الحديث (٢٦٣٧) •

(٢) رواه البخارى جـ ٢ ص ٧ ، ٨ فى مواقيت الصلاة : باب فضل الصلاة لوقتها ، ورواه مسلم رقم (٨٥) ، (١٣٩) فى الايمان ، ورواه الترمذى رقم (١٨٩٩) •

تقـــديم

يقول الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾(١) .

العبادة فى اللغة هى : الطاعة والانقياد والخضوع ، والتعبد هو التذلل والخضوع .

والعبادة كما تعنيها الأديان : اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال الظاهرة والباطنة ..

فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادة .

والدعاء والاستغفار والذكر وتلاوة القرآن الكريم عبادة .

وصـدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين ، وصـلة الأرحام والوفاء بالعهود عبادة ، والدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين عبادة .

والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السـبيل والخادم ، والرحمة بالضعيف ، والرفق بالحيوان عبادة .

وحب الله ورسـوله ، وخشـية الله ، والانابة اليـه ، واخلاص الدين له ، والصبر والحكمـة ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليـه ، والرجاء فى رحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك كله عبادة(٢) .

* * *

وما كانت عبادة الجن والانس ، من أجل نفع يصل الى الله سبحانه وتعالى من وراء ذلك ، فهو سبحانه غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة ،

---

(١) الذاريات : ٥٦

(٢) العبادة فى الاسلام ــ يوسف القرضاوى ص ٢٨

ولا تضره معصية ، وانما خلقهم من أجل عبادته : ليكملهم بهذه العبادة وليصل بهم ، عن طريقها ، ليكونوا أهلا للقائه ، سبحانه ، وليتجلى عليهم اذا تزكوا — بأنواره — وفيوضاته .

وقد نوع لهم ، سبحانه ، العبادة فلم يجعلها على وتيرة واحدة حتى لا يملوا ، وحتى يكون فى تنوعها تزكية لجوانب متعددة ، وزوايا مختلفة من الطبيعة البشرية ، وحتى تتناسب — على تفاوت فيما بينها — مع كل الفطر والاستعدادات .

وفهم بعض الناس مراد الله ، سبحانه ، وفهموا توجيهه للبشرية نحو الكمال الذى يجب أن يصل اليه كل من يرجو لقاء الله ، سبحانه ، وعلموا أن السعادة كل السعادة : انما هى فى الانضواء تحت اللواء الالهى ، والدخول فى الساحات الربانية فطبعوا الحياة بطابع العبادة ، وجعلوا أعمالهم عبادة ، وحركاتهم عبادة ، وسكناتهم عبادة . بل وأنفاسهم عبادة ، وجعلوا من المصنع محرابا ، ومن المعمل معبدا ، فكانت حياتهم عبادة . وحاولوا جاهدين ، أن يقاربوا المثل الأعلى الذى أمر الله سبحانه رسوله صلوات الله عليه وسلامه — أن يكونوا : ﴿ **قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك امرت وأنا اول المسلمين** ﴾(1) .

***

الصلاة

الصلاة هى الركن الثانى من أركان الاسلام الخمسة .

فما هى الصلاة ؟

الصلاة فى اللغة : تعنى الدعاء ، والصلاة من الله لعبده تعنى الرحمة ، وسميت هذه العبادة بالدعاء لاشتمالها عليه ، والصلاة فى واقعها صلة بين العبد وربه يدعوه فيها ويناجيه ويعظمه بالسجود والركوع .

---

(1) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣

واصطلاحا : الأفعــال المخصوصة المفتتحــة بالتكبير والمختتمــة بالتســليم .

فرض الله تعالى على المســلمين خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وكان ذلك ليلة الاسراء والمعراج ، اذ عرج رســول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء من بيت المقدس بعد أن أسرى به فى نفس الليلة من مكة المكرمة وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات[1] .

***

● منزلة الصلاة فى الاســلام :

للصلاة فى الاســلام منزلة كبرى فهى عمــاد الدين ، وهى أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات ، تولى ايجابها بمخاطبة رســوله ليلة المعراج من غير واسطة .

وهى أول ما يحاسب عليــه العبد يوم القيامة ، وهى آخر وصية وصى بها رســول الله صلى الله عليه وســلم أمته عند مفارقته الدنيا ، جعل يقول قبل اللحظة التى صعدت فيها روحه الطاهرة للرفيق الأعلى : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » .

وقد بلغ من عناية الاســلام بالصلاة أن أمر بالمحافظة عليها فى الحضر والسفر ، والأمن والخوف ، فقال تعالى :

﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين . فان خفتم فرجالا أو ركبانا ، فان أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾(٢) .

وقد عرض القرآن للصلاة فى مواقع كثيرة ومن جهــات متعددة ، عرض لها فى مفتتح أطول ســورة من كتاب الله وهى ســورة البقرة ، وأوضح أنها من صفات المتقين ، الذين استحقوا أن يكونوا على هدى من ربهم وأنهم المفلحون .

---

(١) الطريق الى الاسلام ـ احمد صالح محايرى ، ص ٤٠
(٢) البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩

كما عرض لهـــا فى كثير من السور وأمر باقامتها والاستعانة بهـــا والمحافظة عليهـــا ، ووصفها بأنها كتاب موقوت على المؤمنين ، وجعل اقامتهـــا أول عمل بعـــد الايمان باللّه ، وبين أثرها فى تهذيب النفوس ووقايتها للانسان من الفحشاء والمنكر .

كما قرن الفلاح والنجاح باقامتها والمحافظة على أركانها وحضور القلب فيها ، قال تعالى : ﴿ **قد افلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾(١) .

وقد ذكر القرآن عقاب تاركها وشدد النكير على من يفرط فيها ، قال تعـــالى : ﴿ **فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ **ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين** ﴾(٣) .

ولأن الصلاة من الأمور الكبرى التى تحتاج الى هداية خاصة ، قال اللّه تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام :﴿ **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء** ﴾(٤) .

* * *

● **آثـــار الصلاة وفوائدها :**

للصلاة فوائد صحية ، وروحية ، واجتماعية لا تعد ولا تحصى منها :

١ — أن الصلاة تنشط القلب ، والجسم ، والروح .

٢ — الصلاة تنهى من يقيمهـــا عن الفحشـــاء والمنكـــر واقتراف المحرمات ، كما أنها تقوم الأخلاق ، وذلك لأن المواظب عليها سيذكر حال وقوعه فى المعصـــية أنه ســـيناجى ربه المطـــلع عليـــه فيقلع عنهـــا .

---

(١) المؤمنون : ١ ، ٢ (٢) المـــاعون : ٤ ، ٥

(٣) المـــدثر : ٤٢ ، ٤٣

(٤) ابراهيم : ٤٠ ، انظر : فقه العبادات — عبد اللّه شحاتة ، ص ١١

قال الله تعالى : ﴿ **واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾(١).

٣ ــ الصلاة تمحو الخطايا ، وتريح الضمير ، وتطمئن القلب .

٤ ــ الصلاة تجمع الناس ، وتؤلف فيما بينهم ، وتؤاخيهم بشعور واحــد نابع من القلب .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات . هل يبقى من درنه شيء » ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس . يمحو الله بهن الخطايا »(٢) .

* * *

● **من أســـرار الصـــلاة :**

جعل الله الصلاة صلة بين العبد وربه ووســـيلة للمناجاة والمناداة ومصـــباحا هاديا للمؤمن الى طريق الخير ، وهى الزاد الحقيقى للروح وجلاء القلب وشـــفاء النفس ، ووسيلة الهداية والاستقامة ، كلما غلبت الانسان شـــئون الحياة أو نازعته نفسه الى الشر والانحراف تذكر أنه سيقف بين يدى الله متطهرا مكبرا راكعا ساجدا فيكون ذلك من أسباب تمسكه بالفضيلة وبعده عن الرذيلة ﴿ **ان الصـــلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾(٣) . والصلاة وســـيلة تحقيق رضـــوان الله وثوابه وتوفيقه وهدايته ، وهى شفاء لأمراض النفس ووساوس الصدر ، وقد ذكر بعض الأطبـــاء الأجانب أن بعض الأمراض المستعصية كان علاجها ارشـــاد المريض الى الصـــلاة .

قال تعالى : ﴿ **واقم الصلاة لذكرى** ﴾(٤) . أى حافظ على الصلاة

---

(١) العنكبوت : ٤٥

(٢) رواه مسلم جـ ١ ص ٤٦٢/٥١ رقم الحديث (٦٦٧) ، والبخارى جـ ١ ص ١٢٤/٥

(٣) العنكبوت : ٤٥ (٤) طـه : ١٤

لتذكرنى فان ذكر الله دواء وشـفاء قال تعـالى : ﴿ **فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** ﴾(١) .

والصـلاة أولا وأخيرا عبـادة مفروضة جعلها الله سبيلا لمناجاته ومناداته ودليلا الى الوقوف بين يديه ودعائه وعبادته ، وهى طريق الانابة والمغفـرة والتمتع بثواب الله ورحمته ، قال صلى الله عليه وسـلم : « خمس صلوات افترضهن الله تعـالى ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعـل فليس له على الله عهـد ، ان شـاء غفر له وان شـاء عـذبه »(٢) .

* * *

● سـر تكرار الصلاة فى اليوم :

جعل الله الصلاة على المؤمنين كتابا موقوتا ، أمرهم باقامتها حين يمسـون وحين يصـبحون ، وعشـيا وحين يظهـرون . كررهـا خمس مرات فى اليوم لتكون « حماما » روحيا للمسلم يتطهر بهـا من غفلات قلبه ، وأدران خطاياه ، وقد مثل النبى صلى الله عليه وسلم هـذا المعنى فى حديثه الشريف فقـال : « أرأيتم لو أن نهرا على باب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، فهل يبقى من درنة شىء » ؟ قالوا : لا . قال : « كذلك مثـل الصـلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا »(٣) . وأى انسـان يمر عليه يوم من غير خطايا وهفوات ؟! لقد خلق هذا الانسان خلقا عجيبا ، فيه من الملاك روحانيته ، ومن البهيمة شهوتها ، ومن السباع حميتها . وكثيرا ما تغلبه الشـهوة ، ويستفزه الغضب ، ويجذبه تراب الأرض الذى خلق منه ، فيقع فى الأخطاء ،

---

(١) البقرة : ١٥٢

(٢) رواه ابى داود جـ ١ ص ٩/٢٩٥ رقم الحديث (٤٢٥) ، واخرجه احمد والنسائى برقم (٤٦٢) ، وابن ماجه برقم (١٠٤١) ، واخرجه الترمذى برقم (١٧٠) ، واخرجه النسائى برقم (٤٧٢) .

(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ٤٦٢/٥١ رقم الحديث (٦٦٧) (متفق عليـه) .

ويتردى فى الخطايا ، وليس من العيب أن يخطىء الانسان ، فكل بنى آدم خطاء ، ولكن العيب أن يتمادى فى الخطأ ، ويستمر فى الانحدار ، حتى يصير كالأنعام أو أضل سبيلا .

وفى الصلوات اليومية الخمس فرصة يثوب فيها المخطىء الى رشده ، ويفيق المغرور من سباته ، ويرجع الانسان الى ربه ، ويطفىء هذا السعار المادى الذى أججته المطامع والشهوات ، ونسيان الله والدار الآخرة .

وفى هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله ملكا ينادى عند كل صلاة : يا بنى آدم قوموا الى نيرانكم التى أوقدتموها فأطفئوها »(١) .

انها نار موقدة ، تطلع على الأفئدة ، وتلفح القلوب والعقول . والصلاة هى مضخة الاطفاء التى تخمد هذه النار ، وتمسح دخانها وسوادها ، وتغسل أثرها من بين جوانح الانسان .

ويصور الرسول لأصحابه — بكل وسائل التوضيح — عمل الصلاة فى محو الخطايا التى تبدر من الانسان فى صباحه ومسائه ، فيروى لنا عن سلمان الفارسى : أنه كان معه تحت شجرة ، وأخذ منها غصنا يابسا ، فهزه حتى تحات ورقه . فقال : « يا سلمان ، ألا تسألنى لم أفعل هذا »؟ قلت : ولم تفعله ؟ قال : « ان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى الصلوات الخمس ، تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق »(٢) .

ثم تلا الآية الكريمة : ﴿ **وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾(٣) .

وليس أثر الصلوات مقصورا على هذا الجانب من غسل الأدران

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ٨/٢٣٥

(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ١٤/٢٣٧ (رواه أحمد والنسائى والطبرانى) .

(٣) هـود : ١١٤

وتكفير الخطايا ، ومطاردة السيئات ، ولكنها تقوم بمهمة ايجابية أخرى ، فانها للحظات خصبة مباركة ، تلك المرات الخمس التى ينتزع الانسان فيها نفسه كل يوم من دنياه ، دنيا الطين والحمأ المسنون ، دنيا الأحقاد والصراع ، وتنازع البقاء أو تنازع الفناء ، ليقف بين يدى مولاه لحظات خاشعة يخفف بها من غلواء الحياة ، وضغط الطين والمادة الكثيفة على القلوب والأرواح . انها تقوم بتغذية ذلك الجزء العلوى الالهى فى كيان الانسان ، وهو المشار اليه بقوله تعالى : ﴿ **ونفخت فيه من روحى** ﴾[1] ذلك الكائن الروحى الذى يعيش بين جوانح الانسان ، لا يكفى لتغذيه علم العلماء ، ولا أدب الأدباء ، ولا فلسفة المتفلسفين ، ولا يغذيه الا معرفة الله وحسن الصلة به . وهذه الصلوات الخمس هى وجبات الغذاء اليومى للروح ، كما أن للمعدة وجباتها اليومية ، ففى مناجاة العبد لربه فى صلاته شحنة روحية تنير قلبه ، وتشرح صدره ، وتأخذ بيده من الأرض الى السماء ، وتدخله الى الله بلا باب ، وتقفه بين يديه بلا حجاب ، فيكلمه بلا ترجمان ويناجيه ، فيناجى قريبا غير بعيد ، ويستعين به فيستعين بعزيز غير ذليل ، ويسأل فيسأل غنيا غير بخيل ، تكاد تشف روحه وتصفو نفسه فتسمع كلام الله الذى يقول : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى قسمين ولعبدى ما سأل ، فاذا قال العبد : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ ، قال الله تعالى : حمدنى عبدى ، فاذا قال : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ قال الله : أثنى على عبدى ، فاذا قال : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ قال : مجدنى عبدى ، فاذا قال : ﴿ **اياك نعبد واياك نستعين** ﴾ قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل »[2] .

* * *

(١) الحجر : ٢٩

(٢) رواه مسلم ج ١ ص ٢٩٦/١١ رقم الحديث (٣٩٥) ، انظر : العبادة فى الاسلام ـ يوسف القرضاوى ، ص ٢١٤ ، ٢١٧

● الصلوات رحلات الهية :

ان الصلوات الخمس خمس رحلات الهية ، أوجبها الله على عباده فى أوقات متفرقة من اليوم والليلة ، يخلص فيها المؤمن من دنياه ، ويتفرغ لربه ، بالتكبير والمناجاة ، وطلب المعونة والهداية ، ويلقى فيها بنفسه فى كفالة الربوبية الرحيمة ، متمثلا العظمة المطلقة ، التى تصغر أمامها كل عظمة فى هذه الدنيا . وان تلك الرحلات لجديرة أن تفرج همه ، وأن تخفف ويله ، وأن تحقق رغائبه الخيرة . لقد كان من سنة النبى صلى الله عليه وسلم اذا حز به أمر أن يفزع الى الصلاة . وكان يقول : « جعلت قرة عينى فى الصلاة » ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾(١) .

﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ﴾(٢) .

* * *

شروط الصلاة

● شروط الصلاة تسعة :

الاسلام ، والعقل ، والتمييز ، ورفع الحدث ، وازالة النجاسة ، وستر العورة ، ودخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية .

١ ــ الاسلام وضده الكفر : والكافر عمله مردود ولو عمل أى عمل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر ، اولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون ﴾(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾(٤)

* * *

(١) البقرة : ١٥٣
(٢) البقرة : ٤٥ ، ٤٦ ، انظر : الاسلام عقيدة وشريعة ــ محمود شلتوت ، ص ٨٤
(٣) التوبة : ١٧ (٤) الفرقان : ٢٣

٢ ــ **العقل وضده الجنون** : والمجنون مرفوع عنه القلم حتى يفيق والدليل الحديث : « رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستيقظ ، والمجنون حتى يفيق ، والصغير حتى يبلغ »[1] .

* * *

٣ ــ **التمييز وضده الصغر** : وحده سبع سنين حتى يؤمر بالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم : « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع »[2] .

* * *

٤ ــ رفع الحدث (وهو الوضوء المعروف) :

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين ، وان كنتم جنبا فاطهروا ، وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فيتمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾[3] .

تفيد هذه الآية وغيرها من نصوص الكتاب والسنة أن **فرائض** الوضوء أربعة :

١ ــ غسل الوجه المحدود طولا بالذقن ومنبت شعر **الرأس** المعتاد ، وعرضا بوتدى الأذنين .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وابو داود والنسائى وابن ماجه ورواه الحاكم فى مستدركه جـ ١ ص ٢٥٨

(٢) رواه الحاكم جـ ١ ص ٢٥٨ ، ورواه احمد فى المسند وابى داود فى سننه .

(٣) المائدة : ٦

٢ ـ غســل اليدين الى المرفقين .
٣ ـ مســح بعض الرأس .
٤ ـ غســل الرجلين الى الكعبين .

● **ســنن الوضـــوء :**

سنن الوضوء كثيرة منها : التسمية فى أوله والشهادة فى آخره والبدء بالميامن وغســل اليدين الى الرسغين ، المضمضة والاستنشاق والاستنثار ، تثليث الغسـل ، تعميم مســح الرأس ، مســح الأذنين ظاهرهما وباطنهما ، الدلك ، الترتيب ، الموالاة .

● **نواقض الوضـــوء :**

ما خرج من السبيلين ـ النوم الا النوم اليسير من القائم والقاعد ـ مس فرج الآدمى المتصل بلا حائل ـ لمس امرأة أجنبية بشهوة ـ أكل لحم الابل ـ الردة ـ تغسيل الميت ـ كل نجس خرج من باقى البدن(١) .

* * *

الغســـــل

الغســل هو الطهــارة الكبرى للجســد من الحدث الأكبر ، ومن الحيض والنفاس وقد أوجبه الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وان كنتم جنبا فاطهروا** ﴾(٢) .

والغســل شرعا هو تعميم جميــع البدن بالمــاء الطهور ، وكيفية الغســل بصفة عامة هى كمــا علمنا صلى الله عليه وسلم ، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا اغتسل من الجنابة ، يبدأ فيغســل يديه ، ثم يفرغ بيمينه على شماله . فيغســل فرجه . ثم يتوضأ وضوءه للصلاة . ثم يأخذ المــاء فيدخل أصابعه فى أصول

---

(١) انظر : الصلاة ـ محمد اسماعيل ابراهيم ص ١٠١
(٢) المــائدة : ٦

الشعر ، حتى اذا رأى أن قد استبرأ ، حفن على رأسه ثلاث حفنات ، ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه[1] .

والغسل سواء أكان لازالة الجنابة أو الاستحمام لازالة ما علق بالجسم من الغبار والعرق الذى هو فى الحقيقة مادة ضارة وسامة تفرزها مسام الجلد كما تفرز الكليتان البول ، فانه يجب ازالته من الجسم ، والغسل ينشط البدن ويريحه وينظم الدورة الدموية ، ويجدد الحيوية ، ويصبح الانسان على أثره فى حالة من الانشراح والصفاء ، فيزول الكسل عن الجسم وينشط الى العبادة ، وبذلك ينتقل الى حالة معنوية غير التى كان عليها قبل الغسل ، ويباح له لمس المصحف وتلاوة القرآن ، ودخول المسجد وأداء الفرائض والطواف حول الكعبة الشريفة ، وبهذا شرع الاسلام الغسل لما فيه من صحة وعافية وصفاء نفس وسلامة دين .

* * *

● **موجبات الغسل :**

موجبات الغسل هى الجنابة[2] والحيض بعد انقطاعة والنفاس بعد انقضاء مدته وهى أربعون يوما وان انقطع دم النفاس قبل تمام الأربعين تغتسل وتطهر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا جلس بين شعبها[3] الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل وان لم ينزل »[4] .

ولما كان تعظيم شعائر الله واجبا ـ ومن الشعائر الصلاة والكعبة والقرآن ، كان أعظم التعظيم أن لا يقرب منه الانسان الا بطهارة كاملة .

---

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ٢٥٣/٩ باب غسل الجنابة رقم الحديث (٣١٦) .

(٢) تحدث الجنابة بنزول المنى بشهوة من الرجل والمراة سواء أكان ذلك بالاحتلام او الجماع او بالملاعبة أو بالنظر او بالفكر .

(٣) شعبها : يديها ورجليها .

(٤) رواه مسلم جـ ١

ويسن الغسل عند حضــور الاجتماعات الدينية والأعياد وعرفات وسائر مناسك الحج ، هــذا ويجب غسل الميت الا اذا كان شــهيدا فانه لا يغسل .

ويسن الغسل أيضا لمن أسلم خاليا من الحدث الأكبر ، ولمن أفاق من الجنــون والاغماء ، وفي غسل يوم الجمعــة وردت أحاديث كثيرة نورد منهــا :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا كان يوم الجمعة فاغتسل الرجل وغسل رأسه ، ثم تطيب من أطيب طيبه ولبس من صالح ثيابه ، ثم خرج الى الصلاة ولم يفرق بين اثنين ، ثم استمع الى الامام غفر له من الجمعة الى الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام »[1] .

* * *

التيمــــم

الاســـلام دين يسر ، فقد ذلل للناس ما يصادفهم من عوائق قد تعترض الانسان عند أداء الفرائض حتى لا يفوته شيء منها ، فاذا فقد الانسان المــاء أو تعذر الحصول عليه فقد أباح له الشرع أن يتطهر بالتراب على وجه الخصوص ، وهــذه الطهارة الترابية تبيح له القيام بصلاة الفرائض والنوافل وصلاة الجمع والعيدين والطواف ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطهارة الترابية بقوله تعالى : ﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ﴾[2] أى من تراب الأرض .

وقد ورد في حديث لعمــار بن ياسر رضى الله عنــه أنه قال : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فأجنبت . فلم أجد المــاء . فتمرغت فى الصعيد[3] كما تمرغ الدابة . ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال :

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٤٩٧ رقم (٣) الترغيب فى الغسل يوم الجمعة ، رواه ابن خزيمة فى صحيحه .
(٢) المــائدة : ٦ (٣) التراب .

« انما كان يكفيك أن تصنع هكذا : وضرب بكفه ضربة على الأرض ثم نفضها ، ثم مسح بها ظهر كفه بشماله أو ظهر شماله بكفه ، ثم مسح بها وجهه[1] ..

* * *

● أسبابه :

الأسباب المبيحة للتيمم هى :

أولا : فقد الماء بأن لم يجد الانسان أصلا أو وجد ماء لا يكفى للطهارة .

ثانيا : العجز عن استعمال الماء أو الاحتياج اليه ، بأن يجد الماء الكافى للطهارة ولكن لا يقدر على استعماله ، أو كان يقدر على استعماله ولكن يحتاجه لشرب ونحوه .

أما من فقد الماء فانه يتيمم لكل ما يتوقف على الطهارة بالماء من صلاة مكتوبة ، وصلاة جنازة ، وجمعة ، وعيد ، وطواف ، ونافلة .

وأما من وجد الماء وعجز عن استعماله لسبب من الأسباب الشرعية فانه كفاقد الماء يتيمم لكل ما يتوقف على الطهارة . كخوفه من عدو يحول بينه وبين الماء اذا خشى على نفسه أو ماله أو عرضه سواء أكان العدو آدميا أو حيوانا مفترسا .

* * *

● ما هى كيفية التيمم :

كيفية التيمم أن يضرب يديه على التراب ويقول بقلبه حال ضربه : « نويت استباحة فرض الصلاة » ثم يمسح بهما وجهه ، ثم يضرب بهما على التراب ثانيا ، ويمسح اليد اليمنى باليسرى واليسرى باليمنى ، مستوعبا بالمسح جميع يديه من أطراف أصابعهما الى المرفقين ، ويتيمم

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ٢٨/٢٨١ باب التيمم رقم الحديث (٣٦٨).

على التراب الطاهر ، وكل ما كان من جنس الأرض طيبا طاهرا ، وهو ما لا ينطبع بالنار ويصير رمادا ، فيجوز التيمم عليه ولو حجرا أملس لا غبار عليه ، ولا بد من نزع الخاتم والنية ، وتخليل الأصابع ما لم يدخل بينهما غبار[1] .

* * *

● **شروط التيمم :**

أحدها : العجز عن استعمال الماء . لعدمه أو خوف الضرر باستعماله لمرض أو برد شديد ، أو خوف العطش على نفسه أو ماله أو رفيقه ، أو خوف على نفسه أو ماله فى طلبه أو اعوازه الا بثمن كثير ، فإن أمكنه استعماله فى بعض بدنه أو وجد ماء لا يكفيه لطهارته استعمله وتيمم للباقى .

الثانى : الوقت . فلا يتيمم لفريضة قبل وقتها ، ولا لنافلة فى وقت النهى عنها .

الثالث : النية . فان تيمم لنافلة لم يصل به فرضا ، وان تيمم لفريضة فله فعلها ، وفعل ما شاء من الفرائض والنوافل حتى يخرج وقتها .

الرابع : التراب . فلا يتيمم الا بتراب طاهر له غبار .

ويبطل التيمم ما يبطل طهارة الماء ، وخروج الوقت ، والقدرة على استعمال الماء وان كان فى الصلاة[2] .

* * *

المسح على الخفين

من يسر الدين وسماحة أحكامه جواز الاقتصار على مسح الخفين بدل غسل الرجلين فى الوضوء ، بشرط أن تكون قد لبست على طهارة

---

(١) انظر : خلاصة الكلام فى أركان الاسلام — على فكرى ، القاهرة : مطبعة مصطفة البابى الحلبى ، ص ٥٠

(٢) انظر : عمدة الفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل — موفق الدين بن قدامة ، ص ٨

والخف هو الحذاء الســاتر للرجلين الى الكعبين ، وللمسح مدة معينة ، هى يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر ، وكيفية المسح أن تمر بيديك المبلولتين على أعلى الخف بادئا من جهــة أصابع الرجلين متجها الى أصل الساق ، مرة واحدة بدون تكرار •

كما يصح المسح على الجوربين (الشراب) وكل ما يستر الرجل يمسح عليه ما دام يلبس عادة ، ولا يمنع من ذلك وجود خروق فيه لثبوت صحة ذلك عند الرسول صلى الله عليه وسلم : « مسح على الجوربين والنعلين »[1] •

وفى تيسير المســح على الخفين والجوربين (الشراب) للمصلين عمل بنصوص هــذا الدين القويم وأحكامه التى تهدف الى دفع الحرج والمشقة عن الناس • خصوصا عند الجنود الذين يلبسون جوارب ثقيلة يشق خلعها ، وعلى مرضى الروماتيزم وغيره ، وعلى الناس جميعــا أيام شدة البرد فى فصل الشتاء •

* * *

● نواقض المسح على الخفين (مبطلاته) :

أولا : خلع الخف أو الجوربين (الشراب) •

ثانيا : ما يوجب الغسل كالجنابة والحيض •

ثالثا : انقضــاء مدة المسح •

ملاحظة : الحكمة فى تحــديد مدة المســح بيوم وليــلة للمقيم وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها ، هى أن الرجلين اذا تركتا بدون غسل مدة أكثر من ذلك فربما تراكم عليها العرق والافرازات واحتاجتا الى النظافة والطهــارة •

* * *

---

(١) رواه ابن ماجه جـ ١ ص ١٨٦/٨٨ باب ما جــاء فى المسح على الجوربين والنعلين رقم (٥٦٠) •

٥ ــ ازالة النجاســة :

ازالة النجاسة من ثلاث : البدن والثوب والبقعة . وحكمة طهارة البدن بالمـاء تنشـيطه وازالة ما به من النجاسة والأوسـاخ ، فتتفتح مسامه ليسهل عليه التنفس ، ويرتاح كثيرا كما ثبت ذلك طبيا ، ويتبع ذلك طهارة مكان الصلاة من النجاسة .

ولا يخفى أن الانسان اذا كان قذر الثياب والبدن ، أشمأزت منه النفوس ، وتحولت عنه القلوب والعيون ، ولهذا شرع الوضوء والغسل ، لأجل أن يكون الانسان نظيفا خاليا من النجاسة والأوساخ عنـد أداء فريضة الصـلاة ، ووقوفه بين يدى مولاه ، ودخوله فى حضرته لطلب عفوه ورضاه .

وهناك حكمة أخرى ، وهى أن الملائكة فى أوقات الصلاة تكره أن ترى المصلى وسخ الثياب ، كريه الرائحة ، وأيضا اذا وقف المصلون صفوفا . وفيهم رث الثياب ، وسخ البدن ، كريه الرائحة تضرروا منه وتأذوا ، وأذى الناس ممقوت ومذموم . فضلا عن أن غسل الأعضاء بالمـاء يوجد فيها نشاطا ، ويذهب عنها الكسل ، فيؤدى الانسان فرض الصلاة وهو نشط ، والنشاط يوجد ارتياحا فى القلب ، فيخلص العمل للرب . قال الله تعـالى : ﴿ فيـه رجـال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ﴾(١) ، وقال جل شـأنه : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ﴾(٢) ، وقال عز وجل : ﴿ وثيابك فطهر ﴾(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور »(٤) .

* * *

---

(١) التـوبة : ١٠٨ (٢) المـائدة : ٦

(٣) المـدثر : ٤

(٤) رواه البخارى ، وابن ماجه جـ ١ ص ١٠١/٣ باب مفتاح الصلاة الطهور ورقم الحديث (٢٧٥) .

٦ – ستر العورة :

خلق الله الانسان فى أحسن تقويم وفضله على كثير من خلقه ، وأسجد له الملائكة ، وسخر له ما فى الكون ، وميزه بالعقل ، قال تعالى :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾(١) .

ومن تكريم الانسان أن أمره بستر عورته واتخاذ زينته ، فان الله جميل يحب الجمال ، نظيف يحب النظافة ، طيب يحب الطيبين .

كما أمر الله الانسان أن يستر عورته بما أنعم عليه من الثياب :

﴿ يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾(٢) .

● عورة الرجل :

وعورة الرجل التى يجب سترها عند الصلاة هى : من السرة الى الركبة ، لما روى أبو أيوب الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بين السرة وبين الركبتين عورة »(٣) .

● عورة المراة :

بدن المرأة الحرة كله عورة الا الوجه والكفين ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا صلاة لحائض بالغة : الا بخمار »(٤). والمرأة خارج الصلاة عورة ، فلا تظهر شيئا من بدنها الا ما ظهر عفوا دون قصد ، روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «المرأة عورة ، فاذا خرجت استشرفها الشيطان»(٥) .

* * *

(١) الاسراء : ٧٠ (٢) الاعراف : ٢٦
(٣) رواه ابو بكر باسناده : المستدرك على الصحيحين – الحاكم النيسابورى ، ج ٣ ص ٥٦٨
(٤) رواه أبو داود والترمذى واحمد بن حنبل فى المسند ج ٦ ص ١٥٠
(٥) رواه الترمذى ج ٣ ص ٣٧٠

٧ — استقبال القبلة :

من شروط صحة الصلاة الاتجاه الى الكعبة ، وهذا الاتجاه رمز للاتجاه لله سبحانه وتعالى ، وتوحيد لأهداف المسلمين فى صلاتهم وقبلتهم ، قال تعالى : **﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾(١)** .

وقد كان المسلمون يصلون الى بيت المقدس أول الاسلام ثم أمروا بالاتجاه الى الكعبة بعد الهجرة بستة عشر شهرا وكان ذلك فى منتصف شعبان من العام الثانى للهجرة ، قال الله تعالى :

﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولنيك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام .. ﴾(٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقبل صلاة امرىء حتى يضع الطهور مواضعه ، ويستقبل القبلة ، ويقول : الله أكبر »(٣) .

ومن أحكام استقبال القبلة ما يأتى :

١ — من كان قريبا من الكعبة كالمصلى فى البيت الحرام فقبلته عين الكعبة .

٢ — ومن غابت عنه رؤية الكعبة فيكفيه التوجه الى جهتها .

٣ — ومن اشتبهت عليه القبلة اجتهد وصلى ، فان تغير اجتهاده أو أخبر أثناء صلاته بخطئه ، وأرشد الى القبلة وجب عليه الانحراف اليها ، ويبنى على ما تقدم وليس عليه أن يستأنف من جديد .

وقال تعالى : **﴿ ولله المشرق والمغرب ، فاينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم ﴾(٤)** .

---

(١) البقرة : ١٤٤ — (٢) البقرة : ١٤٤

(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ٨٠/٢ — (٤) البقرة : ١١٥

وتجوز صـــلاة النافلة على الدابة أو الســـيارة ، أما صلاة الفرض فلا تجـوز على الدابة خاصـــة وان كانت دابة برية تسير على الأرض فينبغى النزول لأداء الصلاة .

عن جابر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته حيث توجهت ، فاذا أراد الفريضة نزل ، واستقبل القبلة »(١) .

أما اذا كانت الدابة طائرة أو باخرة ولا يستطيع المســـافر النزول فعليه أن يؤدى الصلاة حيث كان .

* * *

٨ ــ دخـــول الوقت :

قال الله تعالى : ﴿ **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** ﴾(٢)

للصلوات المفروضة أوقات معينة ينبغى للمسلم أن يراعيها ويحافظ عليها ، وكلما كانت الصلاة فى أول وقتها كانت أقرب الى رضوان الله .

وقد وردت آية تجمع لنا مواعيـــد هذه الصـــلوات الخمس فى قوله تعالى : ﴿ **فسبحان الله حين تمســـون وحين تصبحون . وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون** ﴾(٣) .

أى أننا نسبح الله فى المساء لصـــلاة العصر ، وفى الصباح لصلاة الصبح ، وفى العشى لصلاة المغرب والعشاء ، وفى الظهر لصلاة الظهر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : « نزل جبريل فأمنى ، فصليت معـــه . ثم صليت معه . ثم صليت معه . ثم صليت معـــه . ثم صـــليت معـــه » ــ يحسب بأصـــابعه خمس صـــلوات (٤) ، وعن عبـــد الله بن عمرو ، أن نبى الله صـــلى الله عليـــه وسلم قال : « اذا

(١) رواه البخارى ج ٢ ص ٥٦ ــ باب ينزل للمكتوبة .
(٢) النساء : ١٠٣ (٣) الروم : ١٧ ، ١٨
(٤) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم ج ١ ص ٣١/٤٢٥ باب أوقات الصلاة الخمس ورقم الحديث (٦١٠) .

صليتم الفجر فانه وقت الى أن يطلع قرن الشمس الأول ، ثم اذا صليتم الظهر فانه وقت الى أن يحضر العصر . فاذا صليتم العصر فانه وقت الى أن تصفر الشمس ، فاذا صليتم المغرب فانه وقت الى أن يسقط الشفق ، فاذا صليتم العشاء ، فانه وقت الى نصف الليل »[1] .

هذا بعض ما ورد فى الكتب والسنة عن تحديد مواقيت الصلاة .

ولكننا الآن فى عصر تنتشر فيه مكبرات الصوت فى المساجد أى أن كل فرد يسمع الأذان ، وفى وسائل الاعلام — الراديو والتليفزيون — يؤذن للصلاة ، وكل فرد لديه ساعة يحملها فى يده .

أى أن الأذان يسمع فى البوادى والحضر ، وكلنا نعلم وقت الصلاة بالتحديد فى ظل انتشار التقويمات .

فينبغى علينا الحرص كل الحرص فى أداء الصلوات فى أوقاتها ولا نهمل ولا نقصر فى أداءها .

* * *

٩ — النيـــة :

وهى عزم القلب عليها من حيث تعيين نوعيتها : فرضا أو سنة ، ونوعية وقتها : ظهرا أو عصرا ، وعدد ركعاتها : ركعتين أو أربعا مثلا ، مقترنا ذلك بالفعل :

عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ... »[2] .

ولا يشترط اللفظ ولا يضر الخطأ به .

عن على قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة كبر »[3] .

* * *

---

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ٣١/٤٢٦ ورقم الحديث (٦١٢) .
(٢) رواه الستة واللفظ للبخارى جـ ١
(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ١٠/٢٩٤ باب اثبات التكبير ورقم الحديث (٣٠) .

اركان الصلاة

القيام — تكبيرة الاحرام — القراءة — الركوع والسجودان والاطمئنان فى الأركان — القعود — التشهد — الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم — التسليم .

● القيام :

قال الله تعالى : ﴿ ... وقوموا لله قانتين ﴾(١) وذلك عند القدرة عليه .

قال عمران بن حصين : « كانت بى بواسير : فسألت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « صل قائما ، فان لم تستطع فقاعدا ، فان لم تستطع فعلى جنب »(٢) .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الرجل قاعدا ، فقال : « ان صلى قائما فهو أفضل ، ومن صلى قاعدا فله نصف أجر القائم ، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد »(٣) .

* * *

● تكبيرة الاحرام :

قال الله تعالى : ﴿ قد افلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى ﴾(٤) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ، فدخل رجل فصلى . ثم جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرد رسول الله عليه السلام . قال : « ارجع فصل ، فانك لم تصل » فرجع الرجل فصلى كما كان يصلى . ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعليك السلام » . ثم قال : « ارجع فصل ، فانك لم تصل » . حتى فعل ذلك ثلاث مرات .

---

(١) البقرة : ٢٣٨
(٢) رواه البخارى جـ ٢ ص ٦٠ (طبعة الشعب) .
(٣) رواه البخارى جـ ٢ ص ٥٩
(٤) الأعلى : ١٤ ، ١٥

فقال الرجل : والذى بعثك بالحق ! ما أحسن غير هذا . علمنى . قال : « اذا قمت الى الصلاة فكبر . ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن . ثم اركع حتى تطمئن راكعا . ثم ارفع حتى تعتدل قائما . ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا . ثم ارفع حتى تطمئن جالسا . ثم افعل ذلك فى صلاتك كلهـا »[1] .

ويقف المسلم بعد دخول وقت الصلاة متطهرا مستقبل القبلة ، ويقيم الصلاة ، مستحضرا عظمة ربه وجلال الموقف ، ناويا فى قلبه الصلاة التى يريد أداءها ، ويرفع يديه حذو منكبيه أو الى أذنيه ، ويقول : الله أكبر ، وهـذه التكبيرة تسمى تكبيرة الاحرام[2] .

* * *

● **دعـاء الاستفتاح :**

يقرأ المسلم بعد تكبيرة الاحرام دعاء الاستفتاح . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستفتح صلاته ، وقد ورد فى ذلك صيغ مختلفة نختار منها ما يلى :

(أ) « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا اله غـيرك » .

(ب) « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما ، وما أنا من المشركين ، ان صـلاتى ونسـكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين » .

(جـ) « اللهم باعـد بينى وبين خطاياى كما باعـدت بين المشرق والمغرب . اللهم نقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلنى من الخطايا بالمـاء والثلج والبرد » .

والمسلم يقرأ بعد تكبيرة الاحرام دعاءا واحدا من هذه الأدعية .

* * *

---

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ١١/٢٩٨ ورقم الحديث (٣٩٦) .
(٢) أنظر : اركان الاسلام : الصلاة ــ أحمد عبد الجواد الدومى ؛ ص ٥٧

● **القراءة :**

قال الله تعالى : ﴿ **... فاقرءوا ما تيسر من القرآن ...** ﴾(١) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا صلاة الا بقراءة » .

قال أبو هريرة : فما أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلناه لكم ، وما أخفاه أخفيناه لكم(٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ـ ثلاثا ـ غير تمام » ، فقيل : يا أبا هريرة ، انا نكون وراء الامام ؟ فقال : « اقرأ بها في نفسك ... » .. فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين . ولعبدي ما سأل ، فاذا قال العبد : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ . قال الله تعالى : حمدني عبدي . واذا قال : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ قال الله تعالى : أثنى على عبدي . واذا قال : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ قال : مجدني عبدي . فاذا قال : ﴿ **اياك نعبد واياك نستعين** ﴾ . قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل . فاذا قال : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل »(٣) .

وبعد دعاء الاستفتاح يقرأ المسلم فاتحة الكتاب بتدبر وخشوع .

ويسن للمصلي أن يقرأ سورة أو شيئا من القرآن بعد قراءة الفاتحة في ركعتي الصبح والجمعة والأولين من الظهر والعصر والمغرب والعشاء وجميع ركعات النفل(٤) .

* * *

(١) المزمل : ٢٠
(٢) رواه مسلم جـ ١ ص ١١/٢٩٧ ورقم الحديث (٣٩٦) .
(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ١١/٢٩٦ ورقم الحديث (٣٩٥) .
(٤) أنظر : أركان الاسلام : الصلاة ـ أحمد عبد الجواد الدومي ص٥٩

● **الركوع والسجودان والاطمئنان فى الأركان :**

قال الله تعـــالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ﴾(١) .

ولحديث مسلم الذى سبق الاشارة اليه : « ... اركع حتى تطمئن راكعـــا ، ثم ارفـــع حتى تعتـــدل قائمـــا ، ثم اســـجد حتى تطمئـــن ســـاجدا ... » .

● **الركـــوع :**

بعد الانتهاء من القراءة يستعد المسلم للركوع بعد سكتة خفيفة ، ويركع قائلا : الله أكبر ، ويضـــع كفيه على ركبتيـــه ، ويســـوى ظهره ويقول وهو راكع : سبحان ربى العظيم — ثلاثا . ثم يرفع رأسه من الركوع قائلا : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمـــد حمدا طيبا كثيرا دائما مباركا فيـــه .

فقد كان النبى صلى الله عليه وســـلم اذا فرغ من القراءة سكت ثم رفع يديه وكبر وركع ، وكان يضـــع كفيه على ركبتيه ويمكنهما ، وكان يفرج بين أصابعه ، وكان اذا ركع بسط ظهره وســـواه ، وكان يطمئن فى ركوعه ، وكان يقول : ســـبحان ربى العظيم — ثلاث مرات ، ثم كان يرفع رأسه من الركوع قائلا : سمع الله لمن حمده ، ثم يقول وهو قائم : ربنا ولك الحمد ، وكان يطيل قيامه ويأمر بالاطمئنان فيه ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « صلوا كما رأيتمونى أصلى »(٢) .

● **الســـجود :**

بعد الرفع من الركوع والاطمئنان فيه ينزل المسلم للسجود قائلا : الله أكبر ، ويفترض أن يكون السجود على سبعة أعضاء .

---

(١) الحـــج : ٧٧

(٢) رواه البخارى جـ ١ ص ١٨/١٤٣ ، الدارمى : الصلاة ص ١٦٧/٤٢

عن ابن عبـــاس رضى الله عنهما أنه قال : « أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعظم على الجبهة ــ وأشـــار بيده على أنفه ــ واليدين والركبتين وأطراف القدمين »[1] .

وفى السجود يقول : سبحان ربى الأعلى ــ ثلاثا ، ويدعو المسلم فى سجوده بما شـــاء من خير الدنيا والآخرة . وكان صلى الله عليـــه وسلم يقول : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ســاجد ، فأكثروا الدعاء »[2] . ثم يرفع من السجود قائلا : الله أكبر . فيجلس على رجله اليسرى ناصبا اليمنى ، ويقـــول : رب اغفر لى وارحمنى ، واهدنى وارزقنى ، ثم يسجد السجدة الثانية فيسجد ويدعو ويكثر من مناجاته لربه ثم ينهض للركعة الثانية .

* * *

● القعـــود :

وذلك آخر الصلاة وهذا معلوم من الأحاديث الكثيرة التى تبين صلاته صلى الله عليه وسلم .

والقعود الأخير ركن من أركان الصـــلاة ، يأتى بعد آخر سجدة فى الصلاة ، ويجلس المصلى فى قعوده على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ، ويضع يديه على فخذيه ، ويتصل بالقعود الأخير ثلاثة أركان قولية هى : التشهد ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والسلام .

● التشـــهد :

والتشهد ركن من أركان الصلاة . وقد وردت صيغ متعددة فى التشـــهد ولكنها متقاربة فى المعنى ، واذا قرأ المصلى أى صـــيغة فى

---

(1) رواه الخمسة واللفظ للبخارى جـ ١ ص ٢٠٦

(2) رواه مسلم جـ ١ ص ٤٢/٣٥٠ باب ما يقال فى الركوع والسجود ورقم الحديث (٤٨٢) .

التشهد أجزأته منها : عن عبد الله قال : كنا نقول فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلام على الله . السلام على فلان . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم : « ان الله هو السلام . فاذا قعد أحدكم فى الصلاة فليقل : « التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » .. ثم يتخير من المسألة ما شاء[1] .

* * *

● **الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم :**

تصح أى صيغة كانت ، وأفضلها الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم :

قال أبو مسعود الأنصارى : « أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله تعالى أن نصلى عليك يا رسول الله ، فكيف نصلى عليك فى صلاتنا ؟

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل ابراهيم ، فى العالمين ، انك حميد مجيد »[2] .

* * *

---

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم جـ ١ ص ٣٠١ / ١٦ باب التشهد فى الصلاة رقم (٤٠٢) .

(٢) رواه مسلم جـ ١ ص ١٧/٣٠٥ باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد ورقم الحديث (٤٠٥) .

● **التسـليم :**

السلام من الصـلاة ، فلا يخرج من الصلاة بغير سلام ، ولا يسلم الا وهو جالس .

عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مفتاح الصـلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم »[1] .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه : « السلام عليكم ورحمـة الله وبركاته » وعن شـماله : « السـلام عليكم ورحمـة الله وبركاته »[2] .

* * *

واجبـات الصـلاة

١ ـ قراءة الفاتحة فى جميع ركعات الصلاة المفروضة وفى جميع ركعات الوتر والنفل ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى صـلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ، فهى خداج ، فهى خداج » . أى ناقصة[3] .

٢ ـ ضم سورة قصيرة أو آية طويلة أو ثلاث آيات قصـار الى الفاتحة فى الركعتين الأولين من الفرض وفى جميع ركعات الوتر والنفل ، عن أبى سـعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : « أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر »[4] .

---

(١) رواه الترمذى جـ ١ ص ٣١/٤٩ باب فرض الوضوء رقم الحديث (٦١) .

(٢) رواه الترمذى جـ ١ ص ١٨٩/٦٠٧ باب فى السلام ورقم الحديث (٩٩٧) .

(٣) رواه الستة واللفظ لمسلم جـ ١ ص ١١/٢٩٧ باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة رقم (٤٠) .

(٤) رواه أبو داود جـ ١ ص ٥١٢ / ١٣٦ بـاب من ترك القـراءة فى صلاته بفاتحة الكتاب رقم (٨١٨) .

٣ ـــ ضم ما صلب من الأنف الى الجبهة فى السجود ، لمواظبتـــه صلى الله عليه وسلم على ذلك • عن أبى ســـعيد الخدرى رضى الله عنه أنه : « رؤى على جبهته وأرنبته صلى الله عليـــه وسلم أثر طين من صلاة صلاها بالناس »[١] •

٤ ـــ الاطمئنان فى الأركان الأصلية ، كالركوع والسجود ونحوهما، والاطمئنان الواجب عندهم هو تسكين الأعضاء حتى يستوى كل عضو فى مقره بقدر تســـبيحة على الأقل • عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم : « دخـــل المسجد ، فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليـــه النبى صلى الله عليه وسلم السلام فقال : «ارجع فصل فانك لم تصل» ، فصلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : «ارجع فصل فانك لم تصل» ـــ ثلاثا ، فقال : والذى بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمنى ، فقال : « اذا قمت الى الصـــلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتـــدل قائما ، ثم اســـجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالســـا ، ثم اســـجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها »[٢] •

٥ ـــ القعود الأول وقراءة التشهد فيه ـــ فهما واجبان ـــ لمواظبته صلى الله عليه وسلم ، ولقول ابن مســـعود رضى الله عنه : « علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كمـــا يعلمنا الســـورة من القرآن ـــ وكفيه بين يديه ـــ « التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليـــك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله »[٣] •

---

(١) رواه أبو داود جـ ١ ، ص ٥٥٣ / ١٥٧ باب الســـجود على الأنف والجبهة رقم (٨٩٤) •

(٢) متفق عليه • واللفظ للنسائى جـ ٢ ، ص ١٢٤ ، فرض التكبيرة الأولى •

(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم جـ ١ ، ص ٣٠١ ، باب التشـــهد فى الصلاة رقم الحديث (٤٠٢) •

٦ ـــ القيام الى الركعة الثالثة بعد قراءة التشهد عقب تمامه فورا .

٧ ـــ جهر الامام فى الركعتين الأوليين من صــلاة الفجر والمغرب والعشــاء والجمعة والعيدين والوتر وصــلاة التراويح ـــ اذا صليت بجماعة ـــ والاسرار فى باقى الركعات من الصــلوات الجهرية وكذا فى جميع ركعات الظهر والعصر وســائر نفل النهار ويخير المنفرد ـــ فيما يجهر فيــه الامام ـــ بين الجهر والاسرار . لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك .

عن ابن عبـــاس رضى الله عنهمــا أنه قــال : نزلت آيــة : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾(١) .

قال الطحــاوى فى حاشــيته على « مراقى الفــلاح شرح نور الايضاح » : « والأصل فى الجهر والاسرار أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهر فى الصلوات كلها فى الابتــداء ، وكان المشركون يؤذونه ويقولون لأتباعهم : اذا سمعتموه يقرأ فارفعوا أصــواتكم بالأشــعار والأراجيز ، وقابلوه بكلام اللغو حتى تغلبوه فيسكت ، ويسبون من أنزل القرآن ومن أنزل عليــه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ، لا تجهــر بصــلاتك كلهــا ولا تخــافت بها كلهــا ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار ، فكان بعد ذلك يخافت فى صــلاة الظهر والعصر لاســتعداد المشركين للايذاء فيهما ، ويجهر فى المغرب لاشتغالهم بالأكل ، وفى العشاء والفجر لرقادهم ، وفى الجمعة والعيدين لأنه أقامهما بالمدينة وما كان للكفار فيها قوة .

٨ ـــ لفظ السلام مرتين فى ختام الصلاة ، عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وســلم كان يسلم عن يمينه : « الســـلام

---

(١) الاسراء : ١١٠ .

عليكم ورحمة الله » ، حتى يرى بياض خده الأيمن ، وعن يساره : « السلام عليكم ورحمة الله » ، حتى يرى بياض خده الأيسر[1] ، [2] .

* * *

سنن الصلاة

١ ــ رفع اليدين :

ويكون عند تكبيرة الاحرام ..

عن ابن عمر قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ، وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك بعد رفع رأسه من الركوع ، ويقول : « سمع الله لمن حمده » ، ولا يفعل ذلك فى السجود »[3] .

٢ ــ وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت السرة او فوقها :

يضع الرجل يده اليمنى على اليسرى تحت سرته ، وصورته أن يجعل باطن كفه اليمنى على ظاهر كفه اليسرى محلقا بالخنصر والابهام على الرسغ تحت سرته ، أما المرأة فتضع يدها اليمنى على اليسرى على صدرها دون تحليق لأنه أستر لها . عن وائل بن حجر رضى الله عنه أنه : « رأى النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه حين دخل الصلاة وكبر ، ثم التحف بثوبه ، ثم وضع يده اليمنى على اليسرى »[4] .

* * *

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه : الترمذى ، جـ ١ ص ٢١٩/١٨١ باب ما جاء فى التسليم رقم (٢٩٤) .

(٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ــ عبد الرحمن الجزيرى ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى جـ ١ ، ص ١٨٧ ، باب رفع اليدين .

(٤) رواه مسلم واحمد ، واللفظ لمسلم جـ ١ ص ٣٠١ / ١٥ باب وضع يده اليمنى على اليسرى رقم (٤٠١) .

٣ – حكم الاتيان بقول آمين :

التأمين سرا بعد قراءة الفاتحة أو سماعها ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم : « اذا قال الامام : ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ فقولوا : آمين ، وان الملائكة تقول : آمين ، وان الامام يقول : آمين ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقـدم من ذنبـه »(1) .

* * *

٤ – قراءة دعاء الثناء فى ابتداء الصلاة : عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استفتح الصـلاة قال : « سـبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك »(2) .

* * *

٥ – التعوذ والبسـملة للقـراءة والاسرار بهمـا فى الصـلاة السرية والجهـرية ، قـال تعـالى : ﴿ **فاذا قرأت القرآن فاسـتعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾(3) ، وقال أنس رضى الله عنـه : « صليت مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فلم أسـمع أحدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم »(4) .

* * *

٦ – التكبير للركوع والسجود والرفع : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصـلاة يكبر حين يقوم ، ثم يكبر حين يركع ، ثم يقول : « سمع الله لمن حمده »

(1) رواه أحمد والنسائى والدارقطنى واسناده صحيح . (النسائى ج ٢ ، ص ١٤٤ ، جهر الامام بآمين) .

(2) رواه الطبرانى فى كتابه المفرد بالدعاء ، ورواه الدارقطنى .

(3) النحل : ٩٨

(4) رواه النسائى ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ، باب ترك الجهر بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

حين يرفع صلبه من الركوع ، ثم يقول وهو قائم : «ربنا ولك الحمد» . ويشارك الامام فى هـذا المقتدى ويأتى به المنفرد على كل حال — ثم يكبر حين يهوى ، ثم يكبر حين يرفع رأسـه ، ثم يكبر حين يسجد ، ثم يكبر حين يرفـع رأسـه ، ثم يفعـل ذلك فى الصـلاة كلها حتى يقضيها ، ويكبر حين يقوم من اثنتين بعد الجلوس »[1] .

* * *

٧ — وتسن تسـبيحات الركوع والسجدتين ، وأن تكون ثلاثا ، وذلك أدنى السـنة فيها ، عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح فى ركوعه : « سبحان ربى العظيم » — ثلاثا ، وفى سجوده : « سبحان ربى الأعلى » — ثلاثا »[2] .

* * *

٨ — وكذا التحميد بعد تسميع الامام حين قيامه من الركوع ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قال الامام : سـمع الله لمن حمـده فقولوا : ربنا ولك الحمد . فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه »[3] .

* * *

٩ — ويسن فى الركوع أن يأخـذ المصلى ركبتيه بيديه ويفرج بين أصابعه وينصب سـاقيه دون انحناء ، وأن يبسـط ظهره ويسـوى رأسـه بعجزه ، عن عقبـة ابن عامر رضى الله عنه : « أنه ركع فجافى

---

(١) متفق عليه ، واللفظ للبخارى جـ ١ ص ٢٠٠ ، باب التكبير اذا قام من السـجود .
(٢) رواه البزار والطبرانى .
(٣) متفق عليه ، واللفظ للبخارى ، جـ ١ ، ص ٢٠١ ، باب فضل : اللهم ربنا لك الحمد .

يديه ووضع يديه على ركبتيه وفرج بين أصابعه من وراء ركبتيه ، وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى »[1] .

* * *

١٠ – ويسن وضع الركبتين ثم اليدين ثم الوجه على الأرض للسجود وعكسه للرفع منه ، بأن يرفع الوجه ثم اليدين ثم الركبتين عن الأرض ، عن وائل بن حجر رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه واذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه »[2] .

* * *

١١ – ويسن افتراش الرجل اليسرى ونصب اليمنى فى الجلوس بين السجدتين ، وفى القعود الأول والأخير ، أما المرأة فتقعد على اليتها لأنه أستر لها . عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة ب **﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾** ، وكان اذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك ، وكان اذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوى قائما ، وكان اذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوى جالسا ، وكان يقول فى كل ركعتين التحية ، وكان يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى ، وكان ينهى عن عقبة الشيطان ، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع ، وكان يختم الصلاة بالتسليم »[3] .

* * *

(١) رواه أبو داود ج ١ ، ص ٥٤١ ، باب وضع اليدين على الركبتين رقم (٨٦٨) .

(٢) رواه الأربعة ، واللفظ لمسلم ج ١ ، ص ٣٥٤ / ٤٤ باب اعضاء السجود .

(٣) رواه مسلم ج ١ ، ص ٣٥٧ / ٤٦ باب ما يجمع صفة الصلاة رقم الحديث (٢٤٠) .

١٢ — وتسن الاشـارة برفع سـبابة اليـد اليمنى فى التشـهد عند النفى ووضعها عنـد الاثبات ، عن عبـد الله بن الزبير رضى الله عنهما : « كان رسـول الله صلى الله عليـه وسلم اذا قعد يقرأ التشهد وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويده اليسرى على فخذه اليسرى وأشـار بأصبعه السـبابة ، ووضع ابهامه على أصبعه الوسطى ويلقم كفه اليسرى ركبته »[١] .

* * *

١٣ — وتسن الصـلاة على النبى صلى الله عليه وسـلم فى القعود عقب قراءة التشـهد ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : لقينى كعب ابن عمرة رضى الله عنهما قال : ألا أهدى لك هدية سـمعتها من رسول الله صلى الله عليـه وسلم ؟ فقلت : بلى فأهدها الى ، فقال : سألنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقلنا : يا رسـول الله ، كيف الصلاة عليكم أهل البيت ، فان الله قـد علمنا كيف نسلم عليك ، قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميـد مجيـد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد »[٢] .

* * *

١٤ — ثم يسـن الدعـاء بمـا هـو من الفـاظ القرآن مثـل : ﴿ ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحسـاب ﴾[٣] ، ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسـنة وقنـا عـذاب النـار ﴾[٤] ، وبما ورد فى السنة ، مثل ما روى عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، علمنى الدعاء أدعـو به فى صـلاتى ، قال : « قل : اللهم

---

(١) رواه مسـلم جـ ١ ، ص ٤٠٨ / ٢١ بـاب صـفة الجلوس رقم الحديث (١١٣) .
(٢) رواه البخارى جـ ١ ، ص ٣٠٥ / ١٧ باب الصلاة على النبى ﷺ ورقم الحديث (٦٥) .
(٣) ابراهيم : ٤١ (٤) البقرة : ٢٠١

انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم »[1] .

* * *

١٥ — واخيرا الالتفات يمينا : السلام عليكم ورحمة الله ، ويسارا : السلام عليكم ورحمة الله ، دون خفض الرأس ودون رفع الكتف الأيمن مع السلام على اليمين ، والأيسر مع السلام على اليسار . عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم : « كان يسلم عن يمينه وعن يساره : السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، حتى يرى بياض خده »[2] ، [3] .

* * *

مكروهات الصلاة

١ — العبث بالثوب أو البدن لمنافاته الخشوع الذى هو روح الصلاة ، والعبث عمل ما لا فائدة فيه ولا حكمة تقتضيه .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله كره لكم ثلاثا : العبث فى الصلاة ، والرفث فى الصيام ، والضحك على المقابر »[4] .

٢ — فرقعة الأصابع ، تشبيكها فى الصلاة :

عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تفقع أصابعك وأنت فى الصلاة »[5] .

---

(١) متفق عليه : جـ ٤ ، ص ٢٧٨ / ١٣ باب استحباب خفض الصوت بالذكر رقم الحديث (٤٨) .

(٢) رواه الخمسة وصححه الترمذى ، واللفظ لابن ماجه جـ ١ ، ص ٢٩٦ ، ٢٨ باب التسليم رقم (٩١٤) .

(٣) انظر الفقه على المذاهب الاربعة — عبد الرحمن الجزيرى ، ص ٢٤٩ — ٢٧٤

(٤) رواه القضاعى مرسلا .

(٥) رواه ابن ماجه جـ ١ ص ٩٦٥/٤٢

وعن كعب بن عجرة : « أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجـلا قد شبك أصابعه فى الصلاة ، ففرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه »[1] .

٣ ــ وضع اليدين على الخصرين :

عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى الرجل مختصرا »[2] .

٤ ــ الالتفات : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « لا يزال الله مقبلا على عبـده وهو فى صـلاته ما لم يلتفت ، فاذا التفت انصرف عنه »[3] .

٥ ــ وضع الألية على الأرض ونصب القدم فى الصلاة :

ومنها الاقعاء ، وهـو أن يضـع أليتـه على الأرض ، وينصب قدمه ، لقول أبى هريرة رضى الله عنه : « نهانى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم عن نقر كنقر الديك ، واقعاء كاقعـاء الكلب ، والتفات كالتفات الثعلب »[4] .

٦ ــ مد الذراع وتشـميره :

ومنها افتراش ذراعيه ، أى مدهما ، كما يفعـل السـبع ، ومنها تشمير كميه عن ذراعيه ، وهو مكروه باتفاق .

٧ ــ الاشارة فى الصـلاة :

ومنها الاشارة بالعين أو الحاجب واليد ونحوهما .

---

(١) رواه ابن ماجه ج ١ ، ص ٤٢ / ٩٦٧
(٢) رواه البخارى ج ٢ ، ص ٥٨ / ١٦
(٣) رواه النسـائى وابو داود واحمـد ــ سنن أبى داود ج ١ ص ١٦٥ / ٩٠٩
(٤) متفق عليه : مسند احمد بن حنبل ج ٢ ص ٣١١ / ٣٠

٨ ــ رفع المصلى ثوبه من خلفه أو قدامه وهو يصلى :

منها رفع ثوبه بين يديه ، أو من خلفه فى الصــلاة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أســجد على سبعة أعظم ، وأن لا أكف شعرا أو ثوبا »[١] .

٩ ــ ســدل الثوب وتغطية الفم :

عن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الســدل فى الصلاة ، وأن يغطى الرجل فاه »[٢] .

والسدل : هو أن يلتحف الرجل بثوبه ، ويدخل يديه من داخله فيركع ويسجد وهو كذلك ، وكانت اليهود تفعله فنهى المسلمون عنه .

١٠ ــ النظر الى الســماء :

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء فى صــلاتهم » ؟ ــ فاشتد قوله فى ذلك ــ حتى قال : « لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم »[٣] .

١١ ــ تسوية التراب للسجود : ويعفى عن مرة واحدة .

عن معيقب : « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ــ فى الرجــل يسوى التراب حيث يسجد ــ قال : « ان كنت فاعلا فواحدة »[٤] .

١٢ ــ تطويل قراءة الركعة الثانية على الأولى :

عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخارى ومسلم جـ ١ ص ٥/١٨٢ باب فضل السجود .

(٢) رواه ابو داود والترمذى ــ سنن ابو داود جـ ١ ص ٦٤٣/٨٦

(٣) رواه البخارى جـ ١ ص ١٠/١٦٩ باب ايجاب التبكير .

(٤) رواه البخارى ومســلم واللفظ للبخارى : صحيح البخــارى جـ ٢ ص ٨/٥٨

يقرأ فى الركعتين الأوليين من صــلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين يطول فى الأولى ويقصر فى الثانية ، ويســمع الآية أحيانا ، وكان يقرأ فى العصر بفاتحة الكتــاب وسورتين ، وكان يطول فى الأولى ، وكان يطول فى الركعة الأولى من صلاة الصبح ، ويقصر فى الثانية »[1] .

١٣ ـــ النكس فى القراءة :

وذلك بأن يقرأ فى الركعة الثانية سورة قبل التى قرأها فى الأولى ، كأن يقرأ فى الأولى سورة النصر ، وفى الثانية الكوثر .

وعن ابن مسعود : « أنه قيل له : ان فلانا يقرأ القرآن منكوسا ، فقال : ذلك منكوس القلب »[2] .

١٤ ـــ القراءة فى الركوع أو السجود :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستار ، والناس صفوف خلف أبى بكر ، فقال : « أيها الناس ، انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصــالحة يراها المؤمن ، أو ترى لــه ، ألا وانى نهيت أن أقرأ القرآن راكعــا أو ســاجدا . فأما الركوع فعظموا فيــه الرب عز وجل . وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء . فقمن أن يســتجاب لكم »[3] .

١٥ ـــ التثــاؤب :

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليــه وســلم قال : « التثاؤب

---

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى : صحيح البخــارى جـ ١ ص ٩٦/١٥٠ باب الأذان .

(٢) رواه احمد بن حنبل جـ ٣ ص ١٧ .

(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ٤١/٣٤٨ باب النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود رقم الحديث (٤٧٩) .

في الصـــلاة من الشـــيطان ، فـاذا تثـاءب أحـــدكم فليكظم ما اســتطاع »[1] ، [2] .

* * *

الأذان

● **مشروعية الأذان :**

شرع الأذان في السنة الأولى من الهجرة النبوية بالمدينة المنورة ، وهو معلوم من الدين بالضرورة ، فمن أنكر مشروعيته يكفر ، أما سبب مشروعيته فهو أن النبى صلى الله عليه وسلم لمـا قدم المدينة صعب على الناس معرفة أوقات الصــلاة ، فتشاوروا فى أن ينصبوا علامة يعرفون بها وقت صلاة النبى صلى الله عليـه وسلم كيــلا تفوتهم الجمــاعة ، فأشــار بعضــهم بالناقوس ، فقــال النبى صلى الله عليــه وسلم : « هو للنصــارى » ، وأشــار بعضهم بالبوق فقال : « هو لليهود » ، وأشار بعضهم بالدف ، فقال : « هو للروم » وأشــار بعضهم بايقــاد النار ، فقال : « ذلك للمجوس » ، وأشــار بعضهم بنصب راية ، فاذا رآها الناس أعلم بعضهم بعضــا ، فلم يعجبه صلى الله عليه وسلم ذلك ، فلم تتفق آراؤهم على شيء ، فقام صلى الله عليــه وسلم مهتما ، فبات عبد الله بن زيد الأنصارى مهتما باهتمام رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، فرأى فى نومه ملكا علمه الأذان والاقامة ، فأخبر رســول الله صلى الله عليــه وسلم بذلك . وقــد وافقت الرؤيا الوحى ، فأمر بهما النبى صلى الله عليه وسلم[3] .

---

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى واللفظ له ــ الترمذى جـ ١ ص ٢٦٩/٢٣٠ باب الصلاة .

(٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ــ عبد الرحمن الجزيرى ص ٢٧٤، كفاية المصلى ــ محمد خير الزيتونى ص ٢٩١

(٣) هذا معنى حديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .

عن أنس ، قال : لمـا كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصـلاة بشىء يعرفونه ، فذكروا أن يوقدوا نارا ، أو يضربوا ناقوسـا ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا أن يشـفع الأذان ، ويوتر الاقامة .

* * *

● **فضـل الأذان :**

فقـد دلت عليـه أحـاديث كثيرة صحيحة : منها ما روى عن أبى هريرة من أن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « لو يعلم الناس ما فى النداء ، والصف الأول ، ثم لم يجدوا الا أن يسـتهموا عليـه لاستهموا عليـه »(1) .

ومنها ما روى عن معـاوية من أن النبى صلى الله عليـه وسـلم قال : « المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة »(2) .

* * *

● **ألفـاظ الأذان :**

الله أكـبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكـبر
أشـهد أن لا اله الا الله ، أشـهد أن لا اله الا الله
أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله
حـى على الصـلاة ، حـى على الصـلاة
حـى على الفـلاح ، حـى على الفـلاح
الله أكبـر ، الله أكـبر ، لا الـه الا الله .

ويزاد فى أذان الصبح بعد « حى على الفلاح » : « الصلاة خير من النوم » مرتين(3) .

* * *

(1) متفق عليه : واللفظ لمسـلم ج 1 ص ٣٢٥ / ٢٨ باب تسوية الصفوف رقم الحديث (١٢٩) .

(2) رواه مسـلم ج 1 ص ٢٩٠/٨ بـاب فضـل الاذان وهرب الشيطان عند سماعه رقم الحديث (١٤) .

(3) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ـ عبد الرحمن الجزيرى ص ٣١١ ومـا بعـدها .

الاقـــامة

الاقامة هى الاعـلام بالقيـام الى الصـلاة بذكر مخصـوص ، وألفاظها هى :

« الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله » .

***

● **الفصل بين الأذان والاقامة :**

يســن للمؤذن أن يجلس بين الأذان والاقامة بقـدر ما يحضر المـلازمون للصلاة فى المسجد مع المحافظة على وقت الفضولة ، الا فى صلاة المغرب ، فانه لا يؤخرها[1] .

***

الصـلوات المفروضـة

قال الله تعالى : ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون . اولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾[2] .

عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خمس صلوات افترضهن الله ، من أحسن وضوءهن ، وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وسـجودهن وخشوعهن ، كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهـد ، ان شـاء غفر له ، وان شـاء عذبه »[3] .

---

(١) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ـ عبد الرحمن الجزيرى، ص٣٢٢
(٢) المؤمنون : ٩ ـ ١١
(٣) رواه أبو داود جـ ١ ص ٩/٢٩٦ بـاب المحـافظة على وقت الصلاة رقم الحديث (٤٢٥) .

والصلوات التى فرضها الله سبحانه وتعالى على المسلمين فى اليوم هى :

١ ــ الصبح : وهو ركعتان ، والقراءة فيهما بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن الكريم جهرا .

٢ ــ الظهر : وهو أربع ركعات ، والقراءة فى الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن سرا ، والقراءة فى الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب فقط سرا .

٣ ــ العصر : وهو أربع ركعات ، والقراءة فى الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن سرا ، والقراءة فى الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب فقط سرا .

٤ ــ المغرب : وهو ثلاث ركعات ، والقراءة فى الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن جهرا ، والقراءة فى الركعة الأخيرة بفاتحة الكتاب سرا .

٥ ــ العشاء : وهو أربع ركعات ، والقراءة فى الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن جهرا ، والقراءة فى الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب فقط سرا[١] .

خمس صلوات فى اليوم والليلة كتبهن الله على المسلمين ليزكوا بها نفوسهم ، ويطهروا قلوبهم ، ويكونوا مع الله العلى الكبير فى صلة وذكر دائمين باقيين . ولا يدرك لذة هذه الصلة ويذوق حلاوة الايمان والعبادة الا المتقون الأبرار ، ومن أدى هذه الصلوات كان له عهد على الله أن يدخله الجنة ، ومن لم يؤدها فليس له عهد ، فان شاء عذبه وان شاء غفر له . وهى خمس فى الأداء وخمسون فى الأجر والمثوبة ، والحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء .

---

(١) انظر : الصلاة ــ أحمد عبد الجواد الدومى ، ص ٤٩

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة . ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف »[1] .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »[2] .

فينبغى علينا أن نحافظ على الصلاة لتكون لنا نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ان شاء الله . فهى الصلة بين العبد وربه ، واقامتها من أكبر علامات الايمان وأعظم شعائر الدين وأظهر آيات الشكر لله على نعمه التى لا تحصى ، وبالصلاة يمحو الله الخطايا ، وبتركها يكون العبد مجرما كما وصفه الله تعالى ويوجب السلوك فى سقر التى لا تبقى ولا تذر .. لواحة للبشر .

* * *

كيفية صلاة النبى ﷺ

الى كل من يحب أن يصلى كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتمونى أصلى »[3] .

١ — يسبغ الوضوء وهو أن يتوضأ كما أمره الله عملا بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين ﴾[4] .

---

(١) رواه احمد والطبرانى : مسند احمد بن حنبل ج ٣ ص ١٣٩

(٢) رواه احمد ومسلم ، واللفظ لمسلم ج ١ ص ٣٥/٨٨ باب بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة رقم الحديث (١٣٤) .

(٣) رواه البخارى ج ١ ص ١٨/١٤٣ كتاب الأذان .

(٤) المائدة : ٦

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تقبل صلاة بغير طهور »[1].

٢ — يتوجه المصلى الى القبلة وهى الكعبة أينما كان بجميع بدنه قاصـــدا بقلبه الصلاة التى يريدها من فريضة أو نافلة ولا ينطق بلسانه بالنية لأن النطق باللســـان غير مشروع لكون النبى صلى الله عليه وسلم لم ينطق بالنية ولا أصحابه رضى الله عنهم ، ويجعل له ســـترة يصـــلى اليها ان كان اماما أو منفردا .

٣ — يكبر تكبيرة الاحرام قائلا : « الله أكبر » ناظرا ببصره الى محل ســـجوده .

٤ — يرفع يديه عند التكبير الى حذو منكبيه أو الى حيال أذنيه .

٥ — يضع يديه على صدره ، اليمنى على كفه اليسرى .

٦ — يسن أن يقرأ دعاء الاستفتاح وهو : « اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعـــدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثـــوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغســـلنى من خطاياى بالمـــاء والثلج والبرد » .

وان شـــاء قال بدلا من ذلك : « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك » ، ثم يقـــول : « أعـــوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم » ويقرأ سورة الفاتحة ، لقوله صلى الله عليـــه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

ويقول بعدها : « آمين » جهـــرا فى الصـــلاة الجهرية ، ثم يقرأ ما تيسر من القرآن .

٧ — يركع مكبرا رافعا يديه الى حـــذو منكبيه أو أذنيه جاعلا رأسه حيال ظهره واضعا يديه على ركبتيه مفرقا أصـــابعه ويطمئن فى ركوعه ويقول : « ســـبحان ربى العظيم » والأفضـــل أن يكررها ثلاثا

---

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٢٠٤ / ٢ باب وجوب الطهارة للصـــلاة رقم (٢٢٤) .

أو أكثر ويستحب أن يقول مع ذلك : « سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لى » •

٨ ـ يرفع رأسه من الركوع رافعا يديه الى حذو منكبيه أو أذنيه قائلا : « سمع الله لمن حمده » ان كان اماما أو منفردا ، ويقول حال قيامه : « ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد » •• أما ان كان مأموما فانه يقول عند الرفع : « ربنا ولك الحمد » الى آخر ما تقدم ، ويستحب أن يضع كل منهم يديه على صدره كما فعل فى قيامه قبل الركوع لثبوت ما يدل على ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث وائل بن حجر وسهل بن سعد رضى الله عنهما •

٩ ـ يسجد مكبرا واضعا ركبتيه قبل يديه اذا تيسر ذلك فان شق عليه قدم يديه قبل ركبتيه مستقبلا القبلة ضاما أصابع يديه ويكون على أعضائه السبعة ، الجبهة مع الأنف واليدين والركبتين وبطون أصابع الرجلين • ويقول : « سبحان ربى الأعلى » ويكرر ذلك ثلاثا أو أكثر ، ويستحب أن يقول مع ذلك : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك •• اللهم اغفر لى » ، ويكثر من الدعاء لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن أن يستجاب لكم » ، ويسأل ربه من خير الدنيا والآخرة سواء أكانت الصلاة فرضا أو نفلا ، ويجافى عضديه عن جنبيه وبطنه عن فخذيه وفخذيه عن ساقيه ويرفع ذراعيه عن الأرض لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اعتدلوا فى السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب » •

١٠ ـ يرفع رأسه مكبرا ويفرش قدمه اليسرى ويجلس عليها وينصب رجله اليمنى ويضع يديه على فخذيه ويقول : « رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى وعافنى واجبرنى » ويطمئن فى هذا الجلوس •

١١ ـ يسجد السجدة الثانية مكبرا ويفعل فيها كما فعل فى السجدة الأولى •

١٢ — يرفع رأسه مكبرا ويجلس جلسة خفيفة وتسمى جلسة الاستراحة وهى مستحبة وان تركها فلا حرج عليه وليس فيها ذكر ولا دعاء ، ثم ينهض قائما الى الركعة الثانية معتمدا على ركبتيه ان تيسر ذلك وان شق عليه اعتمد على الأرض ثم يقرأ الفاتحة وما تيسر له من القرآن بعد الفاتحة ثم يفعل كما فعل فى الركعة الأولى .

١٣ — اذا كانت الصلاة ثنائية أى ركعتين — كصلاة الفجر أو الجمعة والعيد — جلس بعد رفعه من السجدة الثانية ناصبا رجله اليمنى مفترشا رجله اليسرى واضعا يده اليمنى على فخذه اليمنى قابضا أصابعه كلها الا السبابة فيشير بها الى التوحيد وان قبض الخنصر والبنصر من يده وحلق ابهامها مع الوسطى وأشار بالسبابة فحسن . لثبوت الصفتين عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والأفضل أن يفعل هذا تارة وهذا تارة ويضع يده اليسرى على فخذه اليسرى وركبته ثم يقرأ التشهد فى هذا الجلوس وهو : « التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » .. ثم يقول : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد » . ويستعيذ بالله من أربع فيقول : « اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال » ثم يدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة ، واذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين فلا بأس سواء أكانت الصلاة فريضة أو نافلة ، ثم يسلم عن يمينه وشماله قائلا : « السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم ورحمة الله » .

١٤ — ان كانت الصلاة ثلاثية كالمغرب ، أو رباعية كالظهر والعصر والعشاء قرأ التشهد المذكور آنفا مع الصلاة على النبى صلى الله

عليــه وسلم ثم نهض قائما معتمدا على ركبتيه رافعا يديه حذو منكبيه قائلا : « الله أكبر » ويضعهما — أي يديه — عن صدره كما تقدم ويقرأ الفاتحة فقط ، وان قرأ فى الثالثة والرابعة من الظهر زيادة فلا بأس لثبوت ما يدل على ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى سعيد رضى الله عنه ، ثم يتشهد بعد الثالثة من المغرب وبعد الرابعة من الظهر والعصر والعشــاء كما تقدم ذلك فى الصــلاة الثنائية ، ثم يسلم عن يمينه وشـــماله ويستغفر الله ثلاثا ويقول : « اللهم أنت الســلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا مانع لمــا أعطيت ولا معطى لمــا منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، لا حول ولا قــوة الا بالله ، لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » ، ويسبح الله ثلاثا وثلاثين . ويحمده مثل ذلك ويكبره مثــل ذلك ويقول تمام المائة : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » ، ويقرأ آية الكرسى و « قل هو الله أحد » و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » بعد كل صلاة ، ويستحب تكرار هذه السور الثلاث ثلاث مرات بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب لورود الأحاديث بها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكل هذه الأذكار ســنة وليست بفريضة ، والله ولى التوفيق .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد ابن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه باحسان الى يوم الدين[1] .

* * *

صـــلاة الجمـاعة

لا ينبغى للمسلم أن يتهاون بأمر عظم الله شــأنه فى كتابه العظيم ، وعظم شــأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد أكثر الله سبحانه

---

(١) انظر : ثلاث رسائل فى الصلاة — عبد العزيز بن باز ص ٣ — ٦

من ذكر الصلاة فى كتابه الكريم وعظم شـأنها وأمر بالمحـافظة عليها وأدائها فى الجماعة ، وأخبر أن التهاون بها والتكاسل عنهـا من صفات المنافقين فقال تعالى فى كتابه المبين : ﴿ **حافظوا على الصـلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾(١) .

وكيف تعرف محافظة العبد عليها وتعظيمه لها وقد تخلف عن أدائها مع اخوانه وتهاون بشأنها ، وقال تعالى : ﴿ **واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** ﴾(٢) وهذه الآية الكريمة نص فى وجوب الصلاة فى جماعة والمشـاركة للمصلين فى صلاتهم ، ولو كان المقصـود اقامتها فقـط لم تظهر مناسـبة واضـحة فى ختم الآية بقـوله سـبحانه : ﴿ **واركعوا مع الراكعين** ﴾ لكونه قد أمر باقامتها فى أول الآية ، وقال تعالى: ﴿ **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخـذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصـلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ...** ﴾(٣) .

فأوجب الله سبحانه الصلاة فى جماعة فى حال الحرب فكيف بحال السلم ، ولو كان أحد يسامح فى ترك الصلاة فى جماعة لكان المصافون للعدو المهددون بهجومه عليهم أولى بأن يسـمح لهم فى ترك الجماعة فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصـلاة فى جماعة من أهم الواجبات ، وأنه لا ينبغى لأحد التخلف عن ذلك ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسـلم أنه قال : « لقد هممت أن آمر بالصـلاة فتقام ، ثم آمر رجلا أن يصلى بالناس ثم أنطلق برجال معهم حـزم من حطب الى قـوم لا يشـهدون الصـلاة فأحرق عليهم بيوتهم »(٤) .

---

(١) البقرة : ٢٣٨ — (٢) البقرة : ٤٣
(٣) النسـاء : ١٠٢
(٤) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم جـ١ ص٤٥١/٢٢ باب فضل صلاة الجماعة رقم الحديث (٦٤٩) .

والأحاديث الدالة على وجوب الصلاة فى الجماعة وعلى وجــوب اقامتها فى بيوت الله التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كثيرة جدا ، فالواجب على كل مســلم العناية بهذا الأمر والمبادرة اليه والتواصى به مع أبنائه وأهل بيته وجيرانه وســائر اخوانه المسلمين امتثالا لأمر الله ورســوله ، وحذرا مما نهى الله عنه ورسوله والابتعاد عن مشابهة أهل النفاق الذين وصفهم الله بصفة ذميمة من أخبثها تكاسلهم عن الصلاة ، فقــال تعــالى : **« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا »**(1).

ولا يخفى ما فى الصــلاة فى الجماعة من الفوائد الكثيرة والمصالح الجمة ، ومن أوضح ذلك التعارف والتعاون على البر والتقوى والتواصى بالحق والصبر عليــه .

وتشجيع المتخلف وتعليم الجاهل واغاظة أهل النفاق والبعد عن ســبيلهم واظهار شــعائر الله بين عباده والدعوة اليــه سبحانه بالقــول والعمل الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة(2) .

ومن فضل صلاة الجماعة : مضاعفة الأجر والثواب ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صــلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة »(3) .

وتكفير السيئات ورفع الدرجات ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رســول الله صلى الله عليــه وسلم : « من تطهر فى بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ،

---

(1) النسـاء : ١٤٢ ، ١٤٣

(2) انظر : ثلاث رسائل فى الصلاة ــ عبد العزيز بن باز ، ص ٧ــ٩

(3) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم جـ ١ ص ٤٥٠/٤٢ باب صلاة الجماعة رقم الحديث (٦٥٠) .

ليقضى فريضة من فرائض الله ، كانت خطوتاه احداهما تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة »[1] .

* * *

صـــلاة الجمعـــة

يوم الجمعة هو يوم المسلمين المفضل لأنه يوم مبارك كثير الخيرات.

قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « خير يوم طلعت فيــه الشمس يوم الجمعة »[2] وفيه ســاعة لا يصادفها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه . وهو اليوم المبارك الذى يجتمع فيه المسلمون مرة كل أســبوع فى المساجد ، وكأنه يوم عيد لهم ، فيخرج المسلم من بيته بعــد ما يغتســل غسل الجمعة ويتطيب ويلبس أحسن الثياب ، ويقصــد المسجد فى تؤدة ســاعيا الى ذكر الله حيث يجــد الجموع المحتشــدة وهم بين مصل وتال للقرآن وذاكر لربه ومصــل على رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وهناك تقع عينه على اخوانه المســلمين فى أبهى مظهر ، وقــد تآلفت قلوبهم وتعاطفت ، وتمازجت أرواحهم فى طاعة الله وتعارفت ، وفى اطار هــذه الرابطة الوثيقة الربانية وفى ظلال هذه الأخوة الاســلامية ، تحفهم رحمة الله ، وتتنزل عليهم الملائكة .

وقد فرضت صلاة الجمعة فى الســنة الأولى من الهجرة فى شهر ربيع الأول ، وقــد صــلاها الرســول لأول مرة فى مسجد بنى النجار المعروف الآن بمســجد الجمعة خارج المدينة المنورة ، وحكمتها اجتماع المسلمين لتوحيــد صفوفهم ، وتزويدهم بالنصح والوعظ والارشــاد ، فهى فى الحقيقة تعبئة روحية للمسلمين فى كل أســبوع .

---

(١) رواه مسلم : جـ ١ ص ٥١/٤٦٢ باب المشى الى الصــلاة ، رقم الحديث (٦٦٦) .

(٢) رواه مسلم جـ ٢ ص ٥/٥٨٥ باب فضل يوم الجمعة ، رقم الحديث (١٧) .

ومن خطبة للنبى صلى الله عليه وسلم يوم فرضت الجمعة قوله :

« واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة من عامى هذا الى يوم القيامة ، فمن تركها فى حياتى أو بعدى وله امام عادل أو جائر استخفافا بها وجحودا بها فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ، ألا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا صوم ولا حج ولا بر له حتى يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه »[1] .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾[2] .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :

« الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة ، ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر »[3] .

وينبغى التبكير الى الصلاة : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »[4] . وخطبة الجمعة تشمل

---

(١) رواه ابن ماجه فى الزوائد جـ ١ ص ٧٨ باب فى فرض الجمعة (١٠٨١) .

(٢) الجمعة : ٩ ، ١٠

(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ٢٠٩/٥ باب الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان رقم الحديث (١٤) .

(٤) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى جـ ١ ص ٢١٢ باب فضل الجمعة (٦) ، ورواه مسلم جـ ٢ ص ٢/٥٨٢ باب الطيب والسواك يوم الجمعة رقم الحديث (١٠) .

خطبتين تفصل بينهما جلسة خفيفة ، وفى الخطبة الأولى يبدأ الخطيب بالحمد والثناء على الله بما هو أهله ، والشهادتين والصلاة على النبى • ثم يدخل فى موضوع الخطبة التى تتناول عادة مسألة دينية أو اجتماعية تنتهى بحديث نبوى ، وبعد ذلك يجلس الخطيب على المنبر جلسة خفيفة ، ثم يقوم بعدها للخطبة الثانية التى تبدأ أيضا بالحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله ، والدعاء بعد ذلك للاسلام والمسلمين بالعزة والنصر ، وللأولياء الأمور بالتوفيق والتأييد • ومن آداب صلاة الجمعة أن المصلى اذا وصل الى المسجد يجلس فى أقرب مكان ولا يتخطى رقاب العباد ، ولا يزاحمهم ، ولا يحدث لغطا ولا جلبة اكراما لحرمة المسجد ، وتمسكا بآداب المسلمين الشرعية •

* * *

صلاة المسافر

للمسافر الذى يتحمل المتاعب والمشاغل فى سفره برا أو بحرا أو جوا الحق فى أن يقصر صلاته وأن يجمعها • وذلك رحمة من الله تعالى به •

شرع الله تعالى للمسافرين صلاة مختصرة تلائم ظروفهم وهى صلاة القصر ، وذلك تخفيفا عنهم :

قال الله تعالى : ﴿ **واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ، ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** ﴾(1) • ولا يشترط فيه خوف ولا مشقة ••

عن يعلى بن أمية قال : **قلت لعمر بن الخطاب : « ••• ليس عليكم** جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ••• » فقد أمن الناس •

(1) النساء : 101

فقال : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته »[1] .

ولم يرد القصر الا للصلوات الرباعية : الظهر والعصر والعشاء ، حيث ان الصلوات كلها كانت ثنائية ، فزيدت فى الحضر وبقيت فى السفر على الأصل ، بينما الثنائية والثلاثية لما فرضت بهذا الشكل بقيت على الأصل سفرا وحضرا ..

عن عائشة قالت : « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فى الحضر وفى السفر ، فأقرت الصلاة فى السفر ، وزيد فى صلاة الحضر ، الا المغرب فانها وتر النهار »[2] .

ويشترط لصحة قصر الصلاة أن يكون السفر مسافة تبلغ حوالى ثمانين كيلو ونصف كيلو ومائة وأربعين مترا — مسيرة يوم وليلة بسير الابل المحملة بالأثقال سيرا معتادا[3] .

ويجوز للمسافر أن يجمع بين الصلاتين تقديما أو تأخيرا ، والجمع تقديما هو أن يجمع المصلى بين الظهر والعصر فى وقت الظهر ، بأن يصلى العصر مع الظهر قبل حلول وقت العصر ، أو يجمع بينهما تأخيرا ، بأن يؤخر الظهر حتى يخرج وقته ، ويصليه مع العصر فى وقت العصر ، مثل الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، فيجمع بينهما تقديما وتأخيرا ، أما الصبح فانه لا يصح فيه الجمع على أى حال ، ولا يجوز للمكلف أن يؤخر فرضا عن وقته أو يقدمه بدون سبب من الأسباب ، لأن الله سبحانه قد أمرنا بأداء الصلاة فى أوقاتها ، ولكن الدين الاسلامى دين يسر فأباح الصلاة فى غير أوقاتها عند وجود مشقة دفعا للحرج .

---

(1) رواه مسلم جـ ١ ص ٦/٤٧٨ كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١) باب صلاة المسافرين رقم (٤) .

(2) رواه البخارى ومسلم واحمد ، واللفظ لمسلم جـ ١ ص ١/٤٧٨ باب صلاة المسافرين وقصرها (١) .

(3) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة — عبد الرحمن الجزيرى ، جـ ١ ص ٤٧٢

كما يجوز للمسافر أن يصلى خلف المقيم ويقتدى به وله أن يقصر الصلاة كما له أن يتم مع المقيمين موافقة للامام والجماعة ، والاتمام أفضل لما ثبت وأخرجه الامام أحمد فىمسنده عن ابن عباس رضىالله عنهما : « أنه سئل : ما بال المسافر يصلى ركعتين اذا انفرد ، وأربعا اذا ائتم ؟ فقال : تلك السنة »[1] .

* * *

صلاة المريض

اقتضت حكمة الله تعالى التخفيف على المريض ، واعطاءه أجر ما كان يأتى من الطاعات فى صحته ، والتساهل معه فى صورة الصلاة التى يؤديها ..

والمريض الذى ليس فى قدرته أن يؤدى الصلاة قائما ، يمكنه أن يصلى قاعدا بركوع وسجود ويقعد كيف يشاء ، ومثل قعود التشهد أفضل لأنه من أفعال الصلاة ، وان تعذر عليه الركوع والسجود أيضا صلى قاعدا بالايماء بالاشارة — ويجعل الايماءة للسجود أخفض من ايمائه للركوع ، ولا يصح أن يرفع شيئا الى رأسه ليسجد عليه فان ذلك غير مشروع . واذا تعذر عليه القعود أيضا صلى على جنب ، وان تعذر صلى مستلقيا يومىء بالركوع والسجود .

عن عمران بن الحصين رضى الله عنه قال : كانت لى بواسير فسألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال : « صل قائما ، فان لم تستطع فقاعدا ، فان لم تستطع فعلى جنب » . وزاد فى رواية : « فان لم تستطع فمستلقيا ، لا يكلف الله نفسا الا وسعها »[2] .

---

(1) رواه احمد : مسند الامام احمد بن حنبل جـ ١ ص ٢١٤ مسند عبد الله بن عباس .
(2) رواه النسائى جـ ٣ ص ٢٢٣ باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد .

واذا بلغ المريض من الضعف حدا يعجزه عن الحركة وفقد الوعى ، ولم يستطع الاتيان بهذه الايماءات سقطت عنه الصلاة • وعندما يبرأ المريض من مرضه ويسترد صحته ، عليه أن يعيد ما فاته من الصلوات ، أما النوافل فيجوز أن يصليها القادر قاعدا أو مضطجعا •

* * *

صـــلاة الجنـــازة

الاسلام يكرم الانسان حيا وميتـــا ، فاذا مات المســـلم فقـــد أمرنا الدين بتغســـيله ، وتطييبه ، وتكفينه ، والصلاة عليـــه ، وتشـــييعه ، ودفنه ، والدعاء له •

وصلاة الجنازة فرض كفاية اذا قام به البعض ســـقط الاثم عن الباقين وهى رحمة للميت وتكريم •

وصـــورتها هكذا :

يوضع الميت الى جهة القبلة ، ثم يقف الامام عند رأسه وكتفه ان كان المتوفى رجلا ، ويقف فى الوســـط ان كانت الجنـــازة لامرأة ، ويقف المصلون عن يمين الامام وشماله وورائه فيكبر الامام أربع تكبيرات يرفع يديه عنـــد كل تكبيرة ويكبر معه المصلون •

التكبيرة الأولى : تكبيرة الاحرام ثم يتعوذ ، ثم يبســـمل ، ثم يقرأ الفاتحـــة •

التكبيرة الثانية : ثم يكبر رافعا يديه ، ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم كما فى التشهد الأخير وهى :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، فى العالمين انك حميد مجيد » •

التكبيرة الثالثة : ثم يكبر رافعا يديه ويقول : « اللهم اغفر لحينـــا

وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا ، انك تعلم منقلبنا ومثوانا وأنت على كل شيء قدير ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام والسنة ، ومن توفيته فتوفه عليهما ، اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وجوارا خيرا من جواره ، وزوجا خيرا من زوجه ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار ، وأفسح له في قبره ونور له فيه » .

التكبيرة الرابعة : ثم يكبر رافعا يديه ويسلم تسليمة واحدة عن يمينه قائلا : « السلام عليكم ورحمة الله »[1] .

* * *

الصلاة على الغائب

وتجوز صلاة الجنازة على الغائب ، وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى صلاة الغائب على النجاشي ملك الحبشة عند موته رحمه الله فأصبحت سنة مطهرة .

وهي تجوز على الواحد والجماعة ، فاذا استشهد مثلا جماعة من المسلمين في بلد ما ، فالمسلمين أن يصلوا عليهم صلاة الجنازة على الغائب .

وبعد الصلاة يحمل الميت الى مقره الأخير ، مشيعا بالاحترام والهيبة . وعند مثواه الأبدي يسن للمشيعين أن يكرروا الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة ، والرضوان والثبات ، لاجابة الملكين اللذين سيسألانه عن ربه ، ودينه ، ونبيه بالانفراد . وقد كان النبي صلى الله

---

(١) انظر : تعليم الصلاة ــ محمد محمود الصواف ، ص ٨١ ، ٨٢
وانظر أيضا : العدة شرح العمدة في فقه الامام أحمد بن حنبل ــ عبد الرحمن المقدسي ، ص ١١٨

عليه وسلم يقول للمشيعين بعد انتهاء الدفن : « استغفروا لأخيكم وأسألوا له التثبت فانه الآن يسئل »[1] • نسأل الله أن يلهمنا الصواب فى الجواب ، فكل نفس ذائقة الموت ، وأن يرحم غربتنا فى الدنيا ومصرعنا عند الموت ، ووحشتنا فى قبرنا ، ووقوفنا بين يديه ، وأن يهون علينا سكرات الموت ، انه تعالى بعباده غفور رحيم[2] •

* * *

صلاة العيدين

١ ـ صلاة عيد الفطر •　　　　٢ ـ صلاة عيد الأضحى •

وكل منهما ركعتان يجهر الامام فيهما بالقراءة ، ولا أذان فيهما ولا اقامة ، ولا يصلى بشىء قبلهما ولا بعدهما ، وتصليان بعد طلوع الشمس بمقدار عشرين دقيقة ، ووقتهما من طلوع الشمس الى الزوال •

• صلاة عيد الفطر :

بعد أن يؤدى المسلمون فريضة الصيام فى رمضان المبارك يعيدون بعده عيد الفطر الذى هو ثلاثة أيام ، ويستقبلون هذا العيد بالشكر لله والدعاء والثناء عليه عز وجل •

فبعد أن يؤدى المسلم صلاة الصبح فى اليوم الأول من شهر شوال يخرج الى المسجد بعد أن يكون قد اغتسل ، وتزين ، وتطهر ، وتطيب ، وأفطر ولو على تمرات ، وهذه كلها من سنن النبى صلى الله عليه وسلم فى العيد ، يدخل المسجد فيجلس من غير أن يصلى شيئا ، فيستمع لقراءة القرآن الكريم الى أن تطلع الشمس ، وبعد طلوعها بمقدار ثلث ساعة وارتفاعها حتى تكون ظاهرة للعيان يبدأ وقت صلاة العيد •

---

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ٢٢/٦٥٧ باب فى التكبير على الجنازة •
(٢) انظر : تعليم الصلاة ـ محمد محمود الصواف ، ص ٨٣

فيقوم الامام ليصلى بالناس هـذه الصلاة المباركة فيأخذ الناس صفوفهم ويسوونها ، ثم يكبر الامام تكبيرة الاحرام ، ويكبر الناس من بعـده ثم يقرأون جميعـا دعـاء الاستفتاح : « سـبحانك اللهم وبحمدك » .. الخ ، أو « وجهت وجهى » .. الخ بصورة سرية . وبعدها يكبر الامام ست تكبيرات مثل تكبيرة الاحرام وتكبر الجماعة من بعده وفى كل تكبيرة يرفع الامام يديه حذاء أذنيه ثم يضمهما الى صـدره وتفعل الجماعة مثله فى الرفع ويقولون جميعا بصـورة سرية بين كل تكبيرة وأخـرى : « سـبحان الله ، والحمـد لله ، ولا الـه الا الله ، والله أكبر » .

وبهذه التكبيرات مع تكبيرة الاحرام يتم سـبع تكبيرات وهـذه كلها قبل البدء بالقراءة . ثم يبدأ بقراءة الفاتحة جهرا ويحسـن أن يقرأ بعدها سورة « الأعلى » كلهـا . ثم يركع ويرفـع ويسـجد سجدتين كالمعتاد فى بقية الصلوات ثم ينهض واقفا ليأتى بالركعة الثانية ، وقبل البدء بالقراءة يكبر خمس تكبيرات يفصل بين كل تكبيرة وأخرى بقوله : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .

ثم يقرأ الفاتحة جهرا وبعدها يحسن أن يقرأ سورة « الغاشـية » كلها ، ثم يركع ويرفع ويسـجد سـجدتين ثم يجلس للتشـهد فيقرأ « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .
والجماعة معه بقولهم : « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . لا اله الا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد » ، وبهذه التكبيرات تختم الصـلاة .

ثم يصـعد الخطيب على المنبر ليلقى خطبة العيـد ، والتى يجب أن تكون درسـا بليغا فى معانى العيد السـامية ، وفيما يجب أن يفعله المسلمون فى العيـد من التناصح ، والتسامح ، والتزاور ، والتناصر ، والبر والاحسـان ، وطاعة الرحيم الرحمن ، ونبذ الشقاق والنفاق ،

والفسوق والعصيان ... الى ما هنالك من المعانى الجليلة التى دعا اليها الاسلام وندب المسلمون الى التحلى بها والتمسك بآدابها .

وبعد الخطبة ينزل الخطيب من منبره فيصافح الناس ويصافحونه ، ويتبادل الناس التهانى والأفراح .

● صلاة عيد الأضحى :

صلاة عيد الأضحى كصلاة عيد الفطر تماما فى تكبيراتها وقراءتها وشكلها ولا تختلف عنها الا فى النية ، ففى عيد الفطر تنوى صلاة عيد الفطر ، وفى صلاة عيد الأضحى تنوى صلاة عيد الأضحى .

وفى عيد الفطر لا تحتاج الى التكبير حين خروجك من دارك الى المسجد ، أما الأضحى فيسن لك التكبير منذ خروجك من البيت حتى تصل المسجد[1] .

* * *

صلاة الاستسقاء

الاستسقاء فى الشرع : هو طلب سقى العباد من الله تعالى عند حاجتهم الى الماء كما اذا كانوا فى موضع لا يكون لأهله أودية وأنهار وآبار يشربون منها ويسقون زرعهم ومواشيهم ، أو يكون لهم ذلك ولكن الماء لا يكفيهم . فاذا احتاج الناس الى الماء على هذا الوجه فانه يطلب من المسلمين أن يصلوا صلاة الاستسقاء .

وهى صلاة مسنونة سنة مؤكدة ، عندما ينقطع المطر ، ويحصل الجدب الذى يتأذى بسببه الانسان والحيوان والزرع .

---

(١) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ـ عبد الرحمن الجزيرى ص ٢٤٤ ، تعليم الصلاة ـ محمد محمود الصواف ص ٧٨ ـ ٨٠ .

وكيفية صلاة الاستسقاء مثل صلاة العيد تماما ، فيكبر فيها سبعا فى الركعة الأولى ، وخمسا فى الثانية ، ويقرأ فى الأولى سورة « الأعلى » بعد الفاتحة وفى الثانية « الغاشية » ، وبعد التسليم يصعد الخطيب الى المنبر ليخطب خطبة واحدة لا خطبتين يجلس قبلها اذا صعد الى المنبر جلسة الاستراحة ، ثم يفتتحها بالتكبير تسعا كخطبة العيد ، ويكثر فيها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ويكثر فيها الاستغفار ويقرأ فيها : ﴿ **فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا** ﴾(1) .

ويسن أن يرفع يديه وقت الدعاء حتى يرى بياض ابطيه ، وتكون ظهور اليدين نحو السماء وبطونها جهة الأرض ، ويؤمن المأمومون على دعائه ، ويرفعون أيديهم كالامام وهم جالسون ، ويصح الدعاء بكل ما يراه ، ولكن الأفضل بالدعاء الوارد وهو : « اللهم اسقنا غيثا مغيثا (منقذا من الشدة) هنيئا (حاصل بلا مشقة) ، مريئا (محمود العاقبة) مريعا (كثير النبات) غدقا (طبقا) نافعا غير ضار ، عاجلا غير آجل ، اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، واحيى بلدك الميت ، اللهم اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ، ولا بلاء ولا هدم ولا غرق ، اللهم انبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، واسقنا من بركات السماء ، وأنزل علينا من بركاتك ، اللهم ارفع عنا الجوع والجهد والعرى ، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك ، اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا ، فأرسل السماء علينا مدرارا » ، واذا دعا الامام أمن المستمعون ، ويستحب أن يستقبل الامام القبلة أثناء الخطبة ثم يحول رداءه ، فيجعل ما على الأيمن على الأيسر وما على الأيسر على الأيمن ، ويفعل المأمومون مثل فعله ، فيحولون أرديتهم ، ويتركون الرداء محولا ، حتى ينزعوه مع ثيابهم ، ويدعو سرا حال استقبال القبلة لنزع الرداء

(1) نوح : ١٠ ، ١١

فيقول : « اللهم انك أمرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك ، وقد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا انك لا تخلف الميعاد» ، فاذا فرغ من الدعاء استقبلهم ثانيا ، وحثهم على الصدقة والخير ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات ويقرأ ما تيسر من القرآن ، ثم يقول : « أستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين » وبذلك ينتهى من خطبته ، ولا يشترط لصلاة الاستسقاء أذان كما لا يشترط الأذان لخطبتها وينادى لها بقوله : « الصلاة جامعة » • وهى سنة مؤكدة عند الحاجة الى الماء ، فمتى احتاج الناس الى الماء فانه يسن لهم أن يصلوا صلاة الاستسقاء[1] •

***

صلاة الاستخارة

وهى ركعتان كسائر السنن يصليها المسلم اذا تردد بين أمرين مباحين أيهما يفعل ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، ويقول : « اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كان هذا شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ــ أو قال عاجل أمرى وآجله ــ فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » ، قال : « ويسمى حاجته »[2] •

***

---

(١) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ــ عبد الرحمن الجزيرى ، ص٣٥٨

(٢) رواه اصحاب السنن الا مسلما ــ سنن أبى داود جـ ٢ ص ١٨٧ / ١٥٣٨

صلاة الحاجة

ورد فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من كانت له عند الله حاجة ، أو الى أحد من بنى آدم ، فليتوضأ ويحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ، ثم ليثن على الله تعالى ، وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ليقل : لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة لى فيها رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين »[1] .

* * *

صلاة التراويح

صلاة التراويح أو صلاة القيام سنة مؤكدة عند الأئمة للرجال والنساء فى ليالى رمضان ، ووقتها بعد صلاة العشاء حتى مطلع الفجر ، وبعدها تأتى صلاة الوتر .

عن السيدة عائشة رضى الله عنها : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بالليل احدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة . فاذا فرغ منها اضطجع على شقه الأيمن . حتى يأتيه المؤذن فيصلى ركعتين خفيفتين »[2] .

ولكن سيدنا عمر بن الخطاب فى مدة خلافته قد جعلها عشرين ركعة ووافقه الصحابة على ذلك تحقيقا لقول رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أخرجه الترمذى عن عبد الله بن ابى أوفى جـ ١ ص ٢٩٧ / ٣٤٣ باب ما جاء فى صلاة الحاجة رقم (٤٧٧) .

(٢) رواه مسلم جـ١ ص ١٧/٥٠٨ باب صلاة الليل رقم الحديث (٧٣٦)

وسلم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ »[1] .

ومن هذا يتبين أن النبى صلى الله عليه وسلم سن لهم التراويح والجماعة فيها ، ولكنه لم يصل بهم عشرين ركعة ، كما جرى عليه العمل من عهد الصحابة ، ومن بعدهم الى الآن .

وقد سئل أبو حنيفة عما فعله عمر رضى الله عنه قال : التراويح سنة مؤكدة ، ولم يتخرجه عمر من تلقاء نفسه ، ولم يكن فيه مبتدعا ، ولم يأمر به الا من أصل لديه ، وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعم زاد فيها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فجعلت ستا وثلاثين ركعة ، ولكن كان القصد من هذه الزيادة مساواة أهل مكة فى الفضل ، لأنهم كانوا يطوفون بالبيت بعد كل أربع ركعات مرة ، فرأى رضى الله عنه أن يصلى بدل كل طواف أربع ركعات ، وهذا دليل على صحة اجتهاد العلماء فى الزيادة على ما ورد من عبادة مشروعة ، اذ مما لا ريب فيه أن للانسان أن يصلى من النافلة ما استطاع بالليل والنهار[2] .

وكيفية صلاتها أن تصلى ركعتين ، كصلاة الصبح تماما ، وبين كل ركعتين يسبح المصلون أو يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ، والأفضل صلاتها فى المسجد لأن كل ما شرعت فيه الجماعة ففعله بالمسجد أفضل . وحكمة صلاة التراويح أنها كما يدل عليها اسمها تروح عن النفس بما تحدثه من تسهيل للهضم بعد امتلاء المعدة بالطعام والشراب ، وفيها احياء لليالى رمضان المباركة بالاجتماع بالمساجد للعبادة[3] .

* * *

(1) رواه ابو داود جـ ٥ ص ٦/١٠ باب لزوم السنة رقم الحديث (٧٣٦١) .
(2) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ــ عبد الرحمن الجزيرى ص.٣٤
(3) انظر : الصلاة ــ محمد اسماعيل ابراهيم ، ص ١٩٢ ، ١٩٣

صلاة الكسوف والخسوف

صلاة كسوف الشمس سنة مؤكدة وقد شرعت فى السنوات الأخيرة من الهجرة ، وكان ذلك عندما انتقل تجل الرسول صلى الله عليه وسلم ابراهيم الى رحمة الله وفى نفس اليوم كسفت الشمس .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : « وانكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم مات ابنه ابراهيم ، فقال الناس : انكسفت الشمس لموت ابراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى تنكشف »[1].

● **كيفية صلاة الكسوف :**

صلاة الكسوف والخسوف تختلف فى الشكل عن بقية الصلوات، فهى ركعتان ، تصليان فى جماعة — وهو الأفضل — ويجوز للمنفرد أن يصليهما وحده ، واذا صليت فى الجماعة : يجهر الامام فيهما بالقراءة ثم يخطب بالجماعة بعد الانتهاء من الصلاة خطبة قصيرة يذكر العبرة فى مثل هذه الحالات .

وشكل الصلاة : هو أن يبدأ الصلاة بتكبيرة الاحرام ، ثم قراءة الفاتحة ، ثم قراءة ما تيسر من القرآن — والأفضل التطويل فى القراءة — ثم يركع ، وبعد الركوع يرفع رأسه ويستقيم واقفا ، ثم يستمر فى قراءة القرآن قبل أن يسجد ، وبعد قراءة ما تيسر ، يركع مرة أخرى ، ثم يرفع من الركوع وبعده يهوى ساجدا ، فكل ركعة تصلى بركوعين وسجدتين ويفعل هذا فى الركعة الأولى والثانية معا .

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : « خسفت الشمس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فقام وكبر وصف الناس وراءه ، فاقترأ قراءة

---

(١) متفق عليه : رواه مسلم جـ ٢ ص ١/٦٢٠ باب صلاة الكسوف.

طويلة ، ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم رفع رأسه فقال : « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد» ، ثم قام فاقترأ قراءة طويلة هى أدنى من القراءة الأولى ثم كبر فركع ركوعا طـويلا هو أدنى من الركوع الأول . ثم قال : « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » ، ثم سـجد ، ثم فعل فى الركعة الأخرى مثل ذلك حتى استكمل أربع ركعات وأربع سجدات وانجلت الشمس قبل أن ينصرف . ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا ينخسفان لموت أحـد ، ولا لحيـاته ، فاذا رأيتموهما فافزعوا الى الصـلاة »[1] .

* * *

صـــلاة التسبيح

صلاة التسبيح أو التسابيح سـنة وهى أربع ركعات يقرأ المصلى فيها سـور : التكاثر ، والعصر ، والكافرون ، والاخـلاص ، ويسبح فيها ثلاثمـائة مرة بلفظ : « سـبحان الله والحمـد لله ولا اله الا الله والله أكبر » وقد أوصى بها رسـول الله صلى الله عليـه وسلم عمـه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب : « يا عباس ! يا عماه ألا أعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبوك ، ألا أفعـل لك عشر خصال . اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره ، وقديمه وحديثه ، وخطأه وعمـده ، وصغيره وكبيره ، وسره وعلانيته . عشر خصـال : أن تصـلى أربع ركعات . تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة . فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعـة قلت وأنت قائم : « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » خمس عشرة مرة . ثم تركع فتقـول وأنت راكع

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم جـ ٢ ص ١/٦١٩ باب صلاة الكسوف ، رقم الحديث (٣) .

عشرا ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا . ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا . فذلك خمسة وسبعون فى كل ركعة . تفعل فى أربع ركعات . ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل . فان لم تستطع ففى كل جمعة مرة . فان لم تفعل ففى كل شهر مرة . فان لم تفعل ففى عمرك مرة »[1] .

* * *

صلاة التوبة من الذنب

روى أصحاب السنن عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له »[2] ، ثم قرأ هذه الآية : **﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾**[3] .

وعن عقبة بن عامر قال : أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس . فأدركت من قوله : « ما من مسلم يتوضأ ، فيحسن وضوءه . ثم يقوم يصلى ركعتين . مقبل عليهما بقلبه ووجهه . الا وجبت له الجنة »[4] .

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه واللفظ له جـ ١ ص ٤٤٣/١٩٠ باب ما جاء فى صلاة التسبيح رقم الحديث (١٣٨٧) .

(٢) رواه البيهقى فى السنن الكبرى جـ ١ ص ٨١ باب فضيلة الوضوء .

(٣) آل عمران : ١٣٥

(٤) رواه مسلم جـ ١ ص ٦/٢٠٩ باب الذكر المستحب عقب الوضوء رقم الحديث (٢٣٤) .

وينبغى أن يتحقق الاستغفار بشروط التوبة : الندم على ما فعله ، والاقلاع عنه ، والعزم على أن لا يعود لمثله . ﴿ **ان الله يغفر الذنــوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم** ﴾(١) .

* * *

صـــلاة الضـــحى

صلاة الضحى سنة وهى ركعتــان وأربعا الى اثنتى عشرة ركعــة ووقتها بعد طلوع الشمس بنصف ســاعة الى قبيل الظهر بقليل .

عن معاذة العدوية قالت : ســألت عائشة : أكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى ؟ قالت : نعم أربعا ويزيد ما شاء(٢) .

وعن أنس بن مالك قال : سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى الضحى اثنتى عشرة ركعة ، بنى الله له قصرا من ذهب فى الجنــة »(٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حافظ على شــفعة الضحى ، غفرت له ذنوبه ، وان كانت مثل زبد البحر »(٤) .

* * *

تحيـــة المســـجد

اذا دخل المصلى مسجدا فانه يسن له أن يصلى ركعتين بنية تحية المسجد .

---

(١) الزمر : ٥٣
(٢) رواه ابن ماجه جـ ١ ص ٨٧/٤٣٩ باب ما جاء فى صلاة الضحى رقم الحديث (١٣٨١) .
(٣) رواه الترمذى وابن ماجه واللفظ له جـ ١ ص ١٨٧/٤٣٩ باب ما جاء فى صلاة الضحى رقم الحديث (١٣٨٠) .
(٤) رواه ابن ماجه جـ ١ ص ١٨٧/٤٤٠ رقم الحديث (١٣٨٢) .

عن أبى قتـادة رضى الله عنـه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخل أحـدكم المسـجد فليركع ركعتين قبـل أن يجلس »[1] .

* * *

صـلاة ركعتى الوضـوء

عن عقبة بن عامر قال : كانت علينا رعاية الابل . فجاءت نوبتى فروحتها بعشى . فأدركت رسـول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس . فأدركت من قوله : « ما من مسلم يتوضـأ فيحسن وضوءه . ثم يقوم فيصلى ركعتين . مقبل عليهما بقلبه ووجهه . الا وجبت لـه الجنة » قال فقلت : ما أجـود هذه ! فاذا قائل بين يدى يقول : التى قبلها أجـود . فنظرت فاذا عمر . قال : انى قد رأيتك جئت آنفا (أى الآن وما سمعت ما قاله قبله) قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحـد يتوضأ فيبلغ ـ أو يسـبغ ـ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبد الله ورسـوله ، الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شـاء »[2] .

فيندب أن يصلى المسـلم ركعتين عقب الوضوء وكذا الغسل . ويحسن أن يقرأ فيهما « الكافرون » و « الاخلاص » .

* * *

صـلاة الخـوف

صـلاة الخوف أو صلاة الجهاد والمجاهـدين كمـا يطلق عليها أحيانا ، هى الصلاة التى يؤديها المحاربون وقت اشتباكهم مع العدو فى ميدان القتـال ، أو وقت تأهب العدو وتحفزه للالتحام معهم ، كمـا

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم جـ ١ ص ١١/٤٩٥ باب استحباب تحية المسجد بركعتين رقم الحديث (٧١٤) .

(٢) رواه مسلم جـ ١ ص ٦/٢٠٩ باب الذكر المستحب عقب الوضوء رقم الحديث (٢٣٤) .

تصلى اذا خاف الناس من حيوان مفترس ، وقد ورد فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قام بهذه الصلاة فى بعض غزواته ، وتعلم الصحابة كيفيتها عمليا منه ، كما نزلت آيات الله مبينة نظام هذه الصلاة ، قال الله تعالى : **﴿ واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتات طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ﴾**(1) .

كيفيتها : لهذه الصلاة ثلاث حالات لكل حالة منها نظام خاص :

الحالة الأولى : وهى وقت الالتحام فى القتال مع العدو بحيث لا يستطيع المسلمون من شدة الاحتدام والاصطدام أن يجتمعوا للصلاة ، فعندئذ يصلى كل واحد منهم كيفما أمكنه أن يصلى ، ولو بالايماء ، مستقبلا القبلة أو غير مستقبل لها ، مترجلا أو راكبا حصانه أو دبابته أو طائرته . لقول ابن عمر : « فاذا كان خوف أكثر من ذلك فصل راكبا ، أو قائما . تومىء ايماء »(2) .

الحالة الثانية : أن يكون ميدان القتال هادئا ، وانما العدو واقف متربص جهة القبلة ، ففى هذه الحالة :

عن جابر قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من جهينة ، فقاتلونا قتالا شديدا . فلما صلينا الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم .

فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك . فذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقالوا : انه ستأتيهم صلاة هى أحب اليهم من الأولاد . فلما حضرت العصر ، قال : صفنا صفين . والمشركون بيننا وبين القبلة . قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه

---

(1) النساء : 102

(2) رواه مسلم ج 1 ص 574/57 باب صلاة الخوف رقم الحديث (306) .

وسلم وكبرنا . وركع فركعنا . ثم سجد وسجد معه الصف الأول . فلما قاموا سجد الصف الثانى . ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الثانى . فقاموا مقام الأول . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبرنا . وركع فركعنا ، ثم سجد وسجد معه الصف الأول وقام الثانى . فلما سجد الصف الثانى ، ثم جلسوا جميعا ، سلم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] .

الحالة الثالثة : أن يكون ميدان القتال هادئا كما فى الحالة الثانية والعدو متأهب متربص ، ولكنه لا يقف جهة القبلة هذه المرة ، بل فى جهة أخرى :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فى بعض أيامه . فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو . فصلى بالذين معه ركعة ثم ذهبوا . وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة . ثم قضت الطائفتان ركعة ركعة[2] .

* * *

سجود السهو

ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم نسى فى صلاته أكثر من مرة بزيادة أحيانا وبنقصان تداركه أحيانا ثم سجد للسهو ، وعلم أصحابه كيف يفعلون اذا حصل لأحدهم نسيان فى الصلاة ، فقال : « انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون . فاذا نسى أحدكم فليسجد سجدتين »[3] .

---

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ٥٧/٥٧٥ باب صلاة الخوف رقم الحديث (٣٠٨) .

(٢) رواه مسلم جـ ١ ص ٥٧/٥٧٤ باب صلاة الخوف رقم الحديث (٣٠٦) .

(٣) رواه مسلم جـ ١ ص ١٩/٤٠١ باب السهو فى الصلاة والسجود له رقم الحديث (٩٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان يدخل بين ابن آدم وبين نفسه . فلا يدرى كم صلى . فاذا وجد ذلك فليسجد سجدتين قبل أن يسلم »[1] .

ويجوز سجود السهو قبل السلام ، كما يجوز بعده باتفاق .

وسجود السهو يكون من زيادة فى الصلاة أو من نقص منها ، أو من شك فى الزيادة والنقصان .

عن عبد الرحمن بن عوف قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا شك أحدكم فى الثنتين والواحدة ، فليجعلها واحدة ، واذا شك فى الثنتين والثلاث فليجعلها ثنتين . واذا شك فى الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثا . ثم ليتم ما بقى من صلاته حتى يكون الوهم فى الزيادة ثم يسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم »[2] .

* * *

سجود التلاوة

يستحب لمن قرأ آية سجدة أو سمعها أن يسجد سجود التلاوة وذلك بأن يكبر ويسجد سجدة كسجدة الصلاة يقول فيها : « سبحان ربى الأعلى » .

ومواقع سجود التلاوة فى القرآن الكريم هى «أربعة عشر آية» :

١ ــ سورة الأعراف ــ الآية الأخيرة : ﴿ **ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** ﴾(٣) .

٢ ــ سورة الرعد ــ الآية : ﴿ **ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها** ﴾(٤) .

---

(١) رواه ابن ماجه جـ ١ ص ١٣٥/٣٨٤ باب ما جاء فى سجدتى السهو رقم الحديث (١٢١٧) .

(٢) رواه ابن ماجه جـ ١ ص ١٣٢/٣٨١ باب من شك فى صلاته رقم الحديث (١٢٠٩) .

(٣) الاعراف ٢٠٦   (٤) الرعد : ١٥

٣ ــ سورة النحل ــ الآية : ﴿ ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾(١) .

٤ ــ سورة الاسراء : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ، ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾(٢)

٥ ــ سورة مريم : ﴿ ... اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴾(٣) .

٦ ــ آيتان فى سورة الحج : ﴿ الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ، ومن يهن الله فما له من مكرم ، ان الله يفعل ما يشاء ﴾(٤) .

٧ ــ الآية : ﴿ يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾(٥) .

٨ ــ الفرقان : ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا ﴾(٦) .

٩ ــ النمل : ﴿ الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ﴾(٧) .

١٠ ــ السجدة : ﴿ انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾(٨) .

---

(١) النحل : ٤٩
(٢) الاسراء : ١٠٧ ــ ١٠٩
(٣) مريم : ٥٨
(٤) الحج : ١٨
(٥) الحج : ٧٧
(٦) الفرقان : ٦٠
(٧) النمل : ٢٥ ، ٢٦
(٨) السجدة : ١٥

١١ ــ فصلت ــ الآية : ﴿ ... لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ﴾(١) .

١٢ ــ النجم : ﴿ افمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون . وانتم سامدون . فاسجدوا لله واعبدوا ﴾(٢) .

١٣ ــ الانشقاق ــ الآية : ﴿ واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون ﴾(٣) .

١٤ ــ العلق ــ الآية : ﴿ كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾(٤) .

● **كيفيتها :**

١ ــ اذا تليت فى الصلاة يسجد سجدة واحدة عقب تلاوتها فورا ثم يقوم المصلى قائما ويكمل تلاوته للسورة ويكمل صلاته بعد ذلك عاديا .

٢ ــ أما اذا كانت خارج الصلاة ، فيمكن أن يسجد المصلى لها فورا عقب تلاوة آية السجدة ثم يكمل بعد ذلك قراءته القرآنية وفى هذه الحالة يمكن أن يسجد وهو فى وضعه(٥) .

* * *

سجدة الشكر

هى سجدة واحدة كسجود التلاوة عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة ، ولا تكون الا خارج الصلاة . وهى مستحبة .

عن أبى بكرة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه أمر يسره أو يسر به ، خر ساجدا ، شكرا لله تبارك وتعالى(٦) .

* * *

---

(١) فصلت : ٣٧ (٢) النجم : ٥٩ ــ ٦٢
(٣) الانشقاق : ٢١ (٤) العلق : ١٩
(٥) أنظر : الصعود الى الايمان ــ محمد العشيرى ، ص ١٩٩
(٦) رواه ابن ماجه جـ ١ ص ١٩٢/٤٤٦ باب ما جاء فى الصلاة والسجدة عند الشكر رقم الحديث (١٣٩٤) .

قضـــاء الصلاة الفائتة

يجب أداء الصلاة المفروضة فى أوقاتها ، فمن أخرها عن وقتها بغير عذر كان آثما اثما عظيما ، أما من أخرها لعذر فلا اثم عليــه ، وتارة يكون العذر مسقطا للصـــلاة رأســا ، وتارة يكون غير مسقط بحيث يجب على من فاتته صـــلاة لعذر أن يقضيها عند زوال العذر واليك بيـــان الأعـــذار .

ــ تسقط الصلاة رأسا عن الحائض والنفســاء ، فلا يجب عليهما قضاء ما فاتهما أثناء الحيض والنفاس بعد زوالهما ، وكذلك تســقط عن المجنون والمغمى عليــه ، والمرتد اذا رجع للاســلام ، فهو كالكافر الأصلى لا يجب عليه قضاء ما فاته من الصلاة .

ذهب جمهور أئمة أهل العلم من السلف والخلف رضى الله عنهم الى أن من ترك صلاة مفروضـــة عمدا لزمه قضـــاؤها ، كمـــا يلزم من فاتته لنســـيان أو نوم ، فكلهم مكلفون بالقضاء .

واستدلوا على ذلك بما فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من نسى صـــلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها اذا ذكرها »[1] .

ــ يجب على من فاتته صلوات قليلة ، خمس صلوات وما دونها ، وأراد أن يقضيها ، فيجب عليه أن يرتب بين الفائتة والوقتية ، فيقدم الفائتة أو الفوائت على الوقتية لوجوبها فى الذمة قبلا .

* * *

● **متى يسقط الترتيب ؟**

يسقط الترتيب فى حالات :

١ ــ اذا بلغت الفوائت ســـتا أو أكثر ، دفعا للحرج .

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم جـ ١ ص ٥٥/٤٧٧ باب قضاء الصلاة الفائتة رقم الحديث (٣١٥) .

٢ ــ خوف فوت الصلاة الوقتيــة ، بأن كان ما بقى من الوقت لا يزيد عن أداء صلاة واحــدة ، فيؤخر الفائتة لأنها تؤدى قضاء على أى حال ، ويصلى الوقتية حتى لا يقع فى اثم تأخير الصلاة .

٣ ــ نسيان الفائتة ، لأنه لا يقدر أن يأتى بالفائتة مع نسيانها : **﴿ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ﴾**(١) .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٨٦

مراجــع الفصل الأول

١ ــ القرآن الكريم •

٢ ــ المعجم المفهرس لألفــاظ القرآن الكريم ــ محمــد فــؤاد عبد الباقى •

٣ ــ صحيح البخارى ــ محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى •

٤ ــ صحيح مسلم ــ الامام أبى الحسين مســلم بن الحجــاج القشيرى النيسابورى •

٥ ــ سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح ــ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى •

٦ ــ سنن أبى داود ــ أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى•

٧ ــ سنن النسائى ــ أحمد بن شعيب بن على بن دينار النسائى •

٨ ــ مسند الامام أحمد بن حنبل •

٩ ــ سنن ابن ماجه ــ الحافظ أبى عبد الله بن يزيد القزوينى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى •

١٠ ــ سنن الدارمى ــ عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى •

١١ ــ الفقه على المذاهب الأربعة ــ عبد الرحمن الجزيرى •

١٢ ــ المستدرك على الصحيحين ــ الحاكم النيسابورى •

١٣ ــ السنن الكبرى ــ البيهقى •

١٤ ــ العبادة فى الاسلام ــ يوسف القرضاوى •

١٥ ــ الطريق الى الاسلام ــ أحمد صالح محايرى •

١٦ ــ فقه العبادات ــ عبد الله شحاته .
١٧ ــ الترغيب والترهيب ــ للمنذرى .
١٨ ــ الاسلام عقيدة وشريعة ــ محمود شلتوت .
١٩ ــ الصلاة ــ محمد اسماعيل ابراهيم .
٢٠ ــ خلاصة الكلام فى أركان الاسلام ــ على فكرى .
٢١ ــ أركان الاسلام : الصلاة ــ أحمد عبد الجواد الدومى .
٢٢ ــ ثلاث رسائل فى الصلاة ــ عبد العزيز بن باز .
٢٣ ــ الصعود الى الايمان ــ محمد العشيرى .
٢٤ ــ تعليم الصلاة ــ محمد محمود الصواف .

* * *

الفصل الثاني

برّ الوالدين ..

● مقدمة في بر الوالدين :

قال النووي في المنهاج : قال العلماء : البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة ، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق . وقال ابن الأثير في النهاية : البر - بالكسر - الاحسان وهو في حق الوالدين وحق الأقربين من الأهل ضد العقوق وهو الاساءة اليهم والتضييع لحقهم يقال : بر يبر فهو بار وجمعه بررة ، وجمع البر : أبرار .

وقال ابن قرقول في المطالع : البر اسم جامع للخير ، وبر الأبوين كله من الصلة وفعل الخير والتوسع فيه واللطف والطاعة .

والبر في استعمال الشرع كلمة جامعة لكل أصناف الخير ويراد منه ما زاد على حدود التقوى ، فهو مرتبة فوق التقوى ودون مرتبة الاحسان .

وبر الوالدين : هو الاحسان اليهما ، والقيام بحقوقهما ، وتكريمهما ، والتزام طاعتهما في غير معصية لله تعالى ، واجتناب كل ما فيه اساءة لهما ، وفعل ما يرضيهما ، فمن قام بهذا استحق رضا الله تعالى ، ومعونته وتوفيقه ..

* * *

ان عطف الوالدين على الولد من أبرز صور الرحمة ، وهى تفرض على الولد أن يقابل رحمة والديه له بأن يرحمهما ، فيخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، ويدعو لهما بالمغفرة رحمة بهما .

ان رحمة الوالدين بأولادهما ، عطاء بلا حدود ، عطاء لا يلاحظ فيه ترقب العوض ، وفطرة فطر الله خلقه عليها ، ولذلك كان بر الوالدين من أعظم واجبات الصلة الاجتماعية ، ولذلك كان عقوق الوالدين مقاربا لدرجة الشرك بالله ، وكان الأمر بالاحسان للوالدين عقب الأمر بعبادة الله والنهى عن الاشراك به[1] .

* * *

● **الاحسان للوالدين فى القرآن :**

١ ـ قال الله تعالى فى سورة « النساء » :

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾(٢).

ففى هذا النص نلاحظ أن الله تبارك وتعالى يأمر بعبادته ، وينهى عن الاشراك به ، ويتبع ذلك بالأمر بالاحسان للوالدين ، ثم يأمر بوجوب الاحسان لأصناف من الناس تستدعى أحوالهم الاجتماعية ، أو قراباتهم ، أو قرب الصلة بهم فى المسكن أو فى الصحبة ، زيادة الاحسان اليهم والشفقة عليهم والرحمة بهم .

ان هذه الآية من الآيات الكريمة التى توجه لواجبات الصلات الاجتماعية ، التى تعتبر الرحمة من أعظم دوافعها فى أعماق النفس الانسانية .

٢ ـ وقال تعالى فى سورة (العنكبوت) :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ﴾(٣) .

(١) انظر : الاخلاق الاسلامية واسسها ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ، ص ١٨

(٢) النساء : ٣٦ (٣) العنكبوت : ٨

ففى هذه الآية يأمر الله تبارك وتعالى بالاحسان الى الوالدين ، والطاعة فى غير معصية الله ، اذ طاعة الله ورسوله تقع فى الدرجة الأولى ، ثم يأتى من بعدها الاحسان الى الوالدين •

٣ ــ وقال الله تعالى فى سورة « لقمان » :

« ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير • وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من اناب الى ، ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون »(١) •

فى هذا النص يوصى الله الانسان بالاحسان لوالديه ، مبينا على وجه الخصوص مبلغ متاعب الأم بولدها ، اشعارا بمبلغ استحقاقها للاحسان والرعاية ، شكرا لها على ما قدمت من عطاء دفعت اليه دوافع الرحمة •

وفى قوله تعالى : **« حملته امه وهنا على وهن »** صورة رائعة ودقيقة جدا لمبلغ المتاعب التى تتحملها الأم فى حمل جنينها ، والتى تستوجب على الولد أن يشكر لها •

وفى قوله تعالى : **« وفصاله فى عامين »** اشارة الى مدة الرضاع التى تكون فيها متاعب ارضاع الطفل وتربيته متاعب جمة ، وهى فى الغالب تتحملها الأم • وقد يشارك فيها الأب وهذا يستوجب الشكر •

ولما كانت العناية الربانية هى المهيمنة على الانسان منذ نشأته ، والمسايرة له مدى وجوده ، كان من حقه على عباده أن يشكروه •

ولذلك قال الله تعالى فى النص : **« ان أشكر لى ولوالديك الى المصير »**

وأكد الله فى هذا النص ما جاء فى آية « العنكبوت » السابقة مع بعض زيادات فى الدلالات •

---

(١) لقمان : ١٤ ، ١٥

ففى آية « العنكبوت » : ﴿ **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** ﴾ وهذا يتضمن مجرد الوصية بالاحسان للوالدين .

أما ما جاء فى سورة « لقمان » ففيه الأمر بالشكر لهما ، بعد التنبيه على متاعبهما ، وجعل هذا الأمر مقرونا بالأمر بالشكر لله : ﴿ **ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير** ﴾ .

ففى هذه الآية تكليف زائد على مجرد الوصية ، وبيان لموجب هذا التكليف .

وفى آية « العنكبوت » : ﴿ **وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾ .

أما فى « لقمان » فالنص كما يلى : ﴿ **وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى** ﴾ .

والفرق بينهما أن آية العنكبوت تضمنت أن مجاهدة الوالدين فى الدعوة الى الشرك بالله مجاهدة من مستوى السعى غير الملزم ، ولذلك كان التعبير : ﴿ **وان جاهداك لتشرك** ﴾ أى سعيا لأجل أن تشرك . بخلاف آية لقمان فقد تضمنت أن مجاهدتهما مجاهدة من مستوى الالزام والايجاب ، ولذلك جاءت التعدية فى التعبير بحرف « على » : ﴿ **وان جاهداك على أن تشرك** ﴾ أى : حرصا على أن تشرك ، وهنا كان لا بد من تحديد موقف الولد بوضوح بعد نهيه عن طاعتهما فى هذا الأمر ، وهذا الموقف يتلخص بعنصرين :

الأول : مصاحبتهما فى الدنيا بالمعروف ﴿ **وصاحبهما فى الدنيا معروفا** ﴾ .

الثانى : اتباع سبيل من أناب الى الله ، وهو سبيل المؤمنين ﴿ **واتبع سبيل من أناب الى** ﴾

ومن كل النصوص نستخلص أن الاحسان للوالدين يجب أن لا يكون على حساب حق الله على عباده • ان مبدأ الاحسان للوالدين مبدأ ثابت ولو كان الوالدان كافرين ، ولكن هذا المبدأ لا يصح بحال من الأحوال أن يطغى على مبدأ وجوب الايمان بالله والتزام طاعته واتباع شريعته لعباده •

ومن واجب الولد أن يصاحب والديه الكافرين فى الدنيا مصاحبة بالمعروف ، أى : بما هو معروف بين الناس من أصول الاحسان فى المصاحبة ، وحين يطلبان منه أن يعصى الله فى شىء لم يكن لهما عليه حق الطاعة ، ولم يجز له أن يطيعهما فى ذلك ، اذ لا طاعة لمخلوق مهما كان شأنه فى معصية الخالق جل وعلا ، ان حق الله على عباده أعظم وأجل من أى حق •

٤ ــ وقال الله تعالى فى سورة « الاسراء » :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾(١) •

(النهر : هو النهى الشديد مع الزجر) •

فى هذا النص يأتى النهى عن عبادة غير الله ، والأمر بالاحسان للوالدين مقترنين ، وفى هذا اشارة الى الأهمية البالغة لواجب بر الوالدين والاحسان اليهما ، اذ توحيد الله أصل وأساس وقاعدة الشريعة وأعظمها ، فاذا جاء الأمر ببر الوالدين مقرونا به دل ذلك على مبلغ اهتمام الاسلام بهذا الواجب • وفى قوله تعالى : **﴿ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ﴾** قوة فى الالزام بهذين الواجبين ، اذ جاء التعبير عن هذا التكليف بعبارة « قضى » ومعلوم

---

(١) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

أن القضاء اذا كان فى مجال التكوين كان لا بد من وقوعه حتما ، فلما جاء فى مجال التكليف دل على شدة الزام المكلفين به ، الى أقصى حد .

وفى هذا النص اهتمام بحالة الأبوين حينما يبلغان مبلغ الكبر والعجز ، اذ يؤكد فريضة الاحسان اليهما فى هذه الحالة ، ومن الاحسان اليهما تكريم مقامهما ، وعدم التضجر من أفعالهما مهما كانت مثيرة للتضجر ، وعدم مواجهتهما بما يؤذيهما من القول ، حتى ولا بكلمة « أف » علما بأن الانسان متى كبرت سنه وبلغ مبلغ العجز كثرت مطالبه ، وضاق صدره ، وكثرت مداخلاته فى كل صغيرة وكبيرة ، ومنهم من يرد الى أرذل العمر ، ومع ذلك فالولد مطالب شرعا بأن يقول لكل من والديه مهما كانت حالهما قولا كريما ، وبأن لا يواجههما بأى قول يؤذيهما ، وأدنى ذلك كلمة « أف » التى تشعر بالتضجر .

ويكاد الانسان لا يفى والديه حقهما عليه مهما أحسن اليهما : لأنهما كانا يحسنان اليه حينما كان صغيرا وهما يتمنيان له كل خير ، ويخشيان عليه من كل سوء ، ويسألان الله له السلامة وطول العمر ، ويهون عليهما من أجله كل بذل مهما عظم ، ويسهران على راحته دون أن يشعر بأى تضجر من مطالبه ، ويحزنان عليه اذا آلمه أى شىء ، أما الولد فاذا قام بما يجب عليه من الاحسان لوالديه فان مشاعره النفسية نحوهما لا تصل الى مثل مشاعر أنفسهما التى كانت نحوه ، ولا تصل الى مثل مشاعره هو نحو أولاده الا فى حالات نادرة جدا . وفى قوله تعالى : ﴿ **فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما** ﴾ بتقديم النهى عن الأمر الأخف على النهى عن الأمر الأشد وهو النهر ، وكان الظاهر يقتضى العكس بتقديم النهى عن قهرهما على مواجهتهما بكلمة « أف » ، فى هذا جرى عن سنن العرب فى كلامهم ، اذ يقدمون الأقل على الأكثر ، والأخف على الأشد ، والمفضول على الأفضل ، فهم يقولون : لم يترك قليلا ولا كثيرا ، مع أن من لم يترك القليل

لم يترك الكثير من باب أولى ، وهذا ينسجم مع طبيعة العربى الذى يتدرج من الأدنى الى تصوره فالأدنى ، فالبعيد فالأبعد .

وفى قوله تعالى : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** ﴾ رائعة بيانية عجيبة ، فالله تبارك وتعالى يأمر الولد بأن يخضع لوالديه ، ويلين لهما لينا ناشئا عن خلق الرحمة المتغلغل فى قلبه ، ويتذلل لهما تذلل الراحم لا تذلل الضعيف المهين ، فيشبه الرحمة بالطائر ، ويجعل لهذا الطائر ـ طائر الرحمة الخيالى ـ عدة أجنحة ، وأحد هذه الأجنحة يسمى جناح الذل ، واذ يصل القرآن الى هذه الصورة الخيالية الحلوة ، يأمر الانسان بأن يخفض جناح الذل هذا لوالديه .

ويعنى خفض هذا الجناح تقديم كل صور العطف والاحسان والتكريم العملية ، التى يستطيع أن يقوم بها رحمة بوالديه ، من خدمة ومساعدة ، وعطاء وتكريم واحترام ، وسهر ، وصبر ، وبذل وتضحية ، وتواضع وتذلل وتحبب ، فكل ذلك من خفض جناح الذل . وهذه الرائعة البيانية هى من قبيل الاستعارة التخييلية ، لأن المشبه وهو الطائر قد حذف ورمز اليه فى الاستعارة ببعض خواصه وهو الجناح ، ومعلوم أن الاستعارة من روائع الأساليب البيانية ، وتبدو نافعة جدا حينما تقرب الحقائق الفكرية والمعانى النظرية ، اذ تجعلها فى صورة تدرك فى التصور الحسى ، وكذلك حينما تزينها فتعطى من الأثر ما لا تعطيه المعانى الفكرية المجردة .

فقوله تعالى : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** ﴾ يحمل من الأثر فى أنفس السامعين ما لا يحمله قول آخر ، كقولنا : واخضع لهما وارحمهما ، أو نحو ذلك .

وفى ختام النص يأمر الله الولد بأن يدعو لوالديه بالرحمة ، وذلك بقوله : ﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ وهذا الدعاء وفاء من الولد لوالديه فى حال غيابهما .

٥ — وقال الله تعالى فى سورة « الأحقاف » :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته امه كرها ووضعته كرها، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لى فى ذريتى ، انى تبت اليك وانى اول المسلمين﴾(١)

(فصاله : فطامه) .

فأبان هذا النص ما تتعرض له الأم من متاعب الحمل والوضع وأشار الى متاعب الرضاع .

ووصف المؤمن البار بأنه يسأل الله أن يوفقه الأن يشكر نعمة الله عليه وعلى والديه ، وأن يعمل صالحا يرضيه تعالى ، وأن يصلح له فى ذريته .

٦ — وأبان الله تعالى أن بر الوالدين والاحسان اليهما شريعة من شرائع الله فى الأديان السالفة التى أنزلها على رسله السابقين فقال تعالى فى سورة « البقرة » :

﴿ واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا ... ﴾(٢) .

وأثنى الله على يحيى عليه السلام بأنه كان برا بوالديه ، فقال تعالى فى سورة « مريم » : **﴿ وكان تقيا . وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ﴾(٣) .**

وحدث عيسى عن نفسه وهو فى المهد طفل بأنه بر بوالدته ، حكى الله عنه ذلك بقوله تعالى فى سورة «مريم» : **﴿ قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اين ما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ﴾(٤) .**

---

(١) الأحقاف : ١٥ — (٢) البقرة : ٨٣

(٣) مريم : ١٣ ، ١٤ — (٤) مريم ٣٠ — ٣٢

٧ ــ وقال الله تعالى فى سورة « الأنعام » :

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ... ﴾(١) .

فدلت جملة النصوص القرآنية على أن الأمر بالاحسان للوالدين مما وصى الله به الانسان ، وهذا يدل على أن هذا الأمر شريعة ربانية منذ أول الشرائع التى أنزلها الله للناس ، وأن الله أخذ الميثاق على بنى اسرائيل بالمحافظة على هذا الواجب وجعله مقارنا لأخذ الميثاق عليهم بأن لا يشركوا بالله شيئا »(٢) .

* * *

● **بر الوالدين والاحسان اليهما فى السنة :**

١ ــ عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أى العمل أحب الى الله ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله »(٣) .

فبدأ الرسول صلوات الله عليه فى هذا الحديث بحق الله على عباده ، وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، والصلاة على وقتها هى أهم أركان العبادة فى الاسلام . ثم ذكر بر الوالدين ، وقد اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا ما جاء فى النصوص القرآنية التى سبق الاستشهاد بها . ثم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الجهاد فى سبيل الله ، لأن ركن الجهاد من أهم الأركان التى يرتبط بها نشر الدين واعلاء كلمة الله واقامة الحق والعدل .

---

(١) الأنعام : ١٥١

(٢) انظر : الأخلاق الاسلامية واسسها ــ عبد الرحمن الميدانى جـ ٢ ص ١٨ ــ ٢٤

(٣) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى جـ ٢ ص ٧ ، ٨ فى مواقيت الصلاة ــ باب فضل الصلاة لوقتها .

٢ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال ; قال رجل : يا رسـول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال رسول الله : « أمك » . قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : « أمك » . قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : « أمك » قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : «أبوك»[1].

فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة حقوق كاملة للأم وللأب حـق واحد . وقد يقال : ان تكرير حق الأم لتأكيد الاهتمام بضرورة القيام بحقها نظرا الى ضعفها ، لا لبيان مقدار حقها بالنسبة الى حـق الأب .

٣ ــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : أقبل رجـل الى نبى الله صلى الله عليـه وسلم : فقـال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغى الأجر من الله تعالى ، فقال : « فهل من والديك أحـد حى » ؟ قال : نعم . بل كلاهمـا . قـال : « فتبتغى الأجـر من الله » ؟ قال : نعم . قال : « فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما »[2].

ــ وعن عبد الله بن عمرو يقول : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد . فقال : « أحى والداك » ؟ قال : نعم . قال : « ففيهما فجاهد »[3] .

وهكذا تتعاضد التوجيهات النبوية على ترجيح بر الوالدين والقيام بخدمتهما على الغزو فى سـبيل الله فى حالات خاصة ، وهى الحالات التى تكون حاجات الوالدين فيها حاجات ملحة ، ويكون الغزو والقتال فى سبيل الله من الأمور المندوبة ، لا من الواجبات العينية على الشخص الذى تعارض عنده الأمران .

٤ ــ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، أن النبى

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٧٤/٤٥ كتاب البر والصـلة والآداب رقم الحديث (٢٥٤٨) .
(٢) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٧٥/٤٥ كتاب البر والصـلة والآداب .
(٣) نفس المرجع والصفحة .

صلى الله عليـه وسلم قال : « ان من أبر البر صـلة الرجل أهل ود أبيه ، بعد أن يولى »[1] ... أى بعد وفاته .

ان هذا الحديث يبرز رائعة من روائع المفاهيم الاسلامية فى ميادين السلوك الخلقى ، فبر الوالدين لا يقتصر على الاحسان المباشر اليهما ، بل هو يتعدى الى الاحسان الى كل من يسرهما الاحسان اليه .

وفى هذا اسـتبقاء لروابط المودة التى كانت بين الأب وأهـل وده ، وانتقالها الى أولاده .

٥ — عن أبى بكرة ، قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة مثل البغى وقطيعة الرحم »[2] .

ومما لا ريب فيه أن أقرب الرحم للانسان والداه .

٦ — عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « من سره أن يمد له فى عمره ، ويزاد له فى رزقه ، فليبر والديه وليصل رحمه »[3] .

الله الذى بيده ملكوت كل شىء جعل لكل شىء سـببا ، وربط الأسباب بالمسـببات مثال ذلك : أنه جعل الاستغفار سـببا فى نزول المطر وزيادة الرزق والولد . كمـا جعل بر الوالدين سـببا فى طول العمر وزيادة الرزق ، حسـبما صرح بذلك الحديث الشريف ، وهـذا ان دل على شىء فانما يدل على فضل بر الوالدين .

٧ — حدثنا عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه ، قال : كنـا عند

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ٤/١٩٧٩ باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما .

(٢) رواه الترمذى جـ ٥ ص ٥١/٢٠٨ كتاب الأدب — باب فى النهى عن البغى رقم الحديث (٢٩٠٢) .

(٣) رواه مسلم جـ ٤ ص ٦/١٩٨٢ كتاب البر — باب صلة الرحم رقم الحديث (٢٥٥٧) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟ (ثلاثا) : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين . وشهادة الزور » ـــ أو « قول الزور » ـــ فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت[1] .

٨ ـــ عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « نعم .. الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ، واكرام صديقهما .. »[2] .

(المعنى : جاء رجل من الأنصار من بنى سلمة يسأل النبى عليه الصلاة والسلام هل بقى عليه من بر والديه شىء بعد موتهما ؟

فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « نعم » بقى عليك من بر والديك خمسة أمور :

الأول : الدعاء لهما بالرحمة عملا بقوله تعالى : ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾[3] .

الثانى : طلب المغفرة لذنوبهما من الله عز وجل .

الثالث : انفاذ عهدهما ، والمراد انجازه ، والوفاء به .

الرابع : صلة الرحم التى لها صلة قرابة بالوالدين .

الخامس : اكرام صديقهما ، بمعنى أن الانسان يحب من كان يحبه والده ، ويقوم لهم بمثل ما كانا يقومان به من الاكرام ونحوه) .

---

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ٣٨/٩١ باب بيان الكبائر واكبرها ـــ رقم الحديث (٨٧) .

(٢) رواه الترمذى جـ ٥ ص ١٢٩/٣٥٢ باب فى بر الوالدين ـــ رقم الحديث (٥١٤٢) .

(٣) الاسراء : ٢٤

واعلم أخى المسلم أن بر الوالدين واجب حتى ولو كانا على غير الدين الاسـلامى .

٩ ــ عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت : قدمت على أمى وهى مشركة على عهد رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قدمت على أمى وهى راغبـة ، أفأصل أمى ؟ قال : « نعم صلى أمك »[1] .

ان منهج الاسـلام من أسـمى المناهـج التى قدمت لاصـلاح المجتمعات منذ بدء التاريخ بل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأنه منهج الله العزيز الحكيم .

١٠ ــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الكبائر شـتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله ، وهل يشـتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم . يسب أبا الرجل فيسب أباه . ويسب أمه ، فيسب أمه »[2] .

١١ ــ عن البراء بن عازب ، عن النبى صلى الله عليـه وسـلم قال : « الخاله بمنزلة الأم »[3] .

وجاء أيضـا فى كلام الرسـول صلى الله عليـه وسلم أن « عم الرجل صنو أبيه » .

فدلت النصوص على أن حـق الوالدين قائم ولو كانا كافرين ، فعلى الولد أن يحسن صحبتهما ، دون أن يطيعهما فى معصية الله عز وجل ، فطاعة الله لا تقدم عليها طاعة لأحد مهما كان ذا حق .

وحينما يكون الوالدان بحاجة الى مسـاعدة واحسـان ، ومعونة

---

(١) رواه مسلم جـ ٢ ص ١٤/٦٩٦ باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ــ رقم الحديث (٥٠) .

(٢) رواه مسلم جـ ١ ص ٣٨/٩٢ باب بيـان الكبائر واكبرهـا ــ رقم الحديث (٩٠) .

(٣) رواه الترمذى جـ ٢ ص ٧١ ــ رقم الحديث (٢٢٨٠) .

وخدمة ، لا سيما فى كبرهما وعجزهما ، فان خلق الرحمة يفرض الاحسان اليهما ، فكيف وهمـا أقرب الناس اليـه ، ولهما عليـه حـق التربية والخدمة والعطاء ، وسوابق الفضـل الجسيم ، والوالدان حينما يكبران ويصيبهما ما يصيب الانسـان فى شيخوخته من عجز وضيق صـدر وتدخل فى الصغائر من الأمـور ، حتى يردان الى أرذل العمر ، فانهما يحتاجان الى من يصبر عليهما ، ومن أولى بالصبر عليهما من ولدهما ؟!

وبر الوالدين والاحسـان اليهمـا ومصاحبتهما بالمعروف تتطلب بذلا ، ورحمة وحنانا ، وخـدمة ، ومخـالفة لأهـواء النفس ، وصبرا وتسامحا ، وتغاضيا ، وطاعة فى المعروف ، وكل ذلك يحتاج الى مخزون جم من جملة من فضائل الأخلاق .

ومن عظيم فضل الله أنه تعالى جعـل لمن يقوم بواجب الشـكر لوالديه أن يدخله الجنـة ويكفر عنه من سـيئاته اذا كان من أهـل الايمان . فمن تهيأت له فرصـة خدمة والديه أو أحدهما ، والاحسان اليهما وبرهما وهما كبيران عاجزان عن القيـام بخدمة أنفسهما ، ففوت على نفسـه هذه الفرصة الذهبية العظيمة ، فلم يبرهما ، فهو لا شك خائب خاسر . لقد أتته سـوق التجارة الرابحة فلم يظفر بها ، وهبت عليـه رياح المغانم العظيمة فلم يغتنمها . وأبان الرسول صلى الله عليه وسلم أن من الكبائر أن يتسبب الانسـان بشتم والديه أو أحدهما . وأن من أبر البر أن يصل الانسـان أهل ود أبيه بعد موته ، وكذلك أهل ود أمه قياسـا ، وأن من البر بالوالدين أن يصل الولد الرحم التى لا توصل الا بهما ، وأن من البر اكرام صديقهما[1] .

* * *

(١) انظر الأخلاق الاسلامية واسسها ــ عبد الرحمن الميدانى جـ ٢ ص ٢٤ ــ ٣٠

فى ثمرة بر الوالدين

(أ) قصة اصحاب الغار الثلاثة :

من ثمرات بر الوالدين استجابة الدعاء ، ومن أمثلة ذلك قصة أحد الثلاثة الذين أووا الى غار فى ليلة ممطرة ، فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ، فدعا كل منهم متوسلا بعمل صالح عمله ، وكان عمل أحدهم بره بوالديه ، فاستجاب الله دعاء كل منهم ، ففرج لهم فخرجوا من الغار .

— عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر . فأووا الى غار فى جبل . فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل . فانطبقت عليهم . فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله ، فادعوا الله تعالى بها ، لعل الله يفرجها عنكم . فقال أحدهم : اللهم انه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى . ولى صبية صغار أرعى عليهم . فاذا أرحت عليهم[1] ، حلبت ، فبدأت بوالدى فسقيتهما قبل بنى . وأنه نأى بى ذات يوم الشجر[2] . فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما . فحلبت كما كنت أحلب . فجئت بالحلاب . فقمت عند رءوسهما . أكره أن أوقظهما من نومهما . وأكره أن أسقى الصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون[3] عند قدمى . فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر . فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فأفرج لنا منها فرجة ، نرى منها السماء . ففرج الله منها فرجة . فرأوا منها السماء .

وقال الآخر : اللهم انه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء . وطلبت اليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار .

---

(١) فاذا ارحت عليهم : اى رددت الماشية من المرعى اليهم .
(٢) نأى بى ذات يوم الشجر : اى بعد المرعى .
(٣) يتضاعفون : أى يصيحون ويستغيثون من الجوع .

فتعبت حتى جمعت مائة دينار . فجئتها بها . فلما وقعت بين رجليها[١] قالت : يا عبد الله ! اتق الله . ولا تفتح الخاتم الا بحقه[٢] . فقمت عنها . فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج لنا منها فرجة . ففرج لهم .

وقال الآخر : اللهم انى كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز[٣] . فلما قضى عمله قال : أعطنى حقى . فعرضت عليه فرقه فرغب عنه[٤] . فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعائها . فجاءنى فقال : اتق الله ولا تظلمنى حقى . قلت : اذهب الى تلك البقر ورعائها . فخذها . فقال : اتق الله ولا تستهزىء بى . فقلت : انى لا أستهزىء بك . خذ ذلك البقر ورعائها . فأخذه فذهب به . فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فأفرج لنا ما بقى . ففرج الله ما بقى »[٥] .

هذه قصة هؤلاء الثلاثة أصحاب الغار ، وقد فرج الله عنهم اذ توسلوا اليه بما قدموه من أعمال صالحة :

فالأول : كان عمله الصالح من باب بر الوالدين .

والثانى : كان عمله الصالح من باب العفة عن الحرام .

والثالث : كان عمله الصالح من باب أداء الحقوق الى أهلها بأمانة تامة مقرونة باحسان وفضل .

* * *

(ب) قصة اويس القرنى :

ـ عن أسير بن جابر ، قال : كان عمر بن الخطاب ، اذا أتى

---

(١) فلما وقعت بين رجليها : اى جلست مجلس الرجل للوقاع .

(٢) لا تفتح الخاتم الا بحقه : الخاتم كناية عن بكارتها ، وقولها : بحقه اى بنكاح ، لا بزنا .

(٣) بفرق : وهو اناء يسع ثلاثة آصع .

(٤) فرغب عنه : اى كرهه وسخطه وتركه .

(٥) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم جـ ٤ ص ٤٨/٢٠٩٩ كتاب الذكر والدعاء (٢٧) باب قصة أصحاب الغار الثلاثة رقم الحديث (٢٧٤٣)

أمداد أهل اليمن ، سـألهم : أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس . فقال : أنت أويس بن عامر ؟ فقال : نعم . قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه الا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهـل اليمن من مراد ، ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم . له والدة هو بها بر . لو أقسم على الله لأبره . فان استطعت أن يستغفر لك فافعل » . فاستغفر لى . فاستغفر له . فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك الى عاملهـا ؟ قال : أكون فى غبراء الناس أحب الى .

قال : فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم . فوافـق عمر . فسـأله عن أويس قال : تركته رث البيت قليـل المتاع . قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « يأتى عليكم أويس ابن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن . كان به برص فبرأ منـه . الا موضـع درهم ، له والدة هو بها بر . لو أقسـم على الله لأبره . فان استطعت أن يسـتغفر لك فافعل » فأتى أويسـا فقال : اسـتغفر لى . قال : أنت أحـدث عهـدا بسفر صالح ، فاستغفر لى . قال : استغفر لى . قال : أنت أحدث عهدا بسفر صالح ، فاستغفر لى . قال : لقيت عمر ؟ قال نعم . فاستغفر له . ففطن له الناس . فانطلق على وجهه[1] .

(أمداد أهل اليمن : هم متطوعة الجهاد الذين كانوا يأتون مـددا لجيوش الفتح الاسـلامى من مختلف الجهات ، وكان اليمانيون عنصرا مهما يمد بالأعداد الكثيرة من المقاتلين .

لو أقسم على الله لأبره : أى لو حلف يمينا قال فيه : والله ليفعلن الله هذا الأمر ، لأبر الله قسمه ففعل الله ما حلف عليه .

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٦٩/٤٤ كتاب فضائل الصحابة (٥٥) باب من فضائل أويس القرنى رقم الحديث (٢٢٥) .

أكون فى غبراء الناس أحب الى : أى أكون من عامتهم وفقرائهم ومن لا ينظر اليه منهم أحب الى ، وهـذا من تواضعه واخلاصه العظيم رضى الله عنـه .

رث البيت : الرث هو الخلق البالى المهترىء الخسيس من كل شيء ، تقول : ثوب رث ، ورجل رث الهيئة ، ومتاع رث ، والجمع : رثاث .

فانطلق على وجهه : أى ذهب ثم لم يعرف مكانه ، اخفاء لنفسه ، وبعدا عن التظاهر مخافة أن يدخل الى قلبه الرياء) .

***

واضح من قصة أويس أنه كان يتمتع بميزتين عظيمتين :

الأولى : أنه كان برا بأمه ، فكان من ثمرة بره بها أن منحه الله تبارك وتعالى الدعوة المستجابة ، فهو امرؤ ــ كما أخبر الرسول صلى الله عليـه وسلم ــ لو أقسم على الله لأبر الله قسمه .

وأويس تابعى لم ير الرسـول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الرسول صلى الله عليـه وسلم قد أخبر عنه وعن صـفته قبل أن يأتى ، ثم جاء مع أمداد أهل اليمن كما أخبر الرسـول فهى احـدى معجزاته صلوات الله عليـه .

الثانية : تواضعه واخلاصه لله تعالى وزهده فى الدنيا ، وقد ظهر ذلك بايثاره البعد عن كل ما فيـه ظهور وشهرة ، حرصـا على مرتبة الصـدق والاخلاص لله عز وجل ، وظهر أيضـا برفضـه أن يكتب له أمير المؤمنين عمـر الى عامله فى الكوفة يوصى به ، وقـوله : أكون فى غبراء الناس أحب الى .

ولكن لم يحرمه الله من الذكر الحسن ، فقد زاده الله بتواضـعه رفعة وشهرة وذكرا ، وارتبط اسمه بمعجزة نبوية تروى .

● **اويس خير التابعين :**

ولما كان أويس هذا عظيم الايمان عظيم الاخلاص لله كثير التقوى والبر والاحسان كان خير التابعين ، وقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ، كما جاء فى رواية عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان خير التابعين رجل يقال له أويس . وله والدة . وكان به بياض . فمروه فليستغفر لكم »[1] .

***

البر بالأم

فرض الله على الولد الاحسان الى والديه وجعل طاعتهما واجبة فى كل ما يأمران به ، من غير جدل ولا مناقشة ولا تردد الا ما كان منها فى معصية .

قال الله تعالى : **﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير . وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا، واتبع سبيل من اناب الى ، ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ﴾**[2] .

أمر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين مع تقديم الشكر لهما ، ويعنى هذا أن تطيعهما ، وتخدمهما ، وتنفق عليهما ، ثم تشكرهما على قبول خدمتك وانفاقك ، تشكرهما لأنهما رضيا بك خادما لهما ومنفقا عليهما ، تشكرهما لأنهما جعلاك موضع ثقتهما ومحط آمالهما ، تشكرهما لأنهما بذلا من أجلك النفس والنفيس ، والصحة والراحة ، واكتفيا منك بجزء يسير مما أسدياه اليك من معروف ، وسامحاك بما لهما عليك من حقوق .

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٦٨/٤٤ كتاب فضائل الصحابة (٥٥) باب من فضائل أويس القرنى — رقم الحديث (٢٢٤) .
(٢) لقمان : ١٤ ، ١٥

أما الوالدة فقد حملتك فى بطنها تسعة أشهر ، تزيدها بنموك ضعفا ، وتحملها فوق طاقتها عناء ، وهى الضعيفة الجسم ، الواهنة القوة ، ثم أخرجتك فيئست فى خروجك من حياتها ، فلما بصرت بك الى جانبها نسيت آلامها ، وعلقت فيك آمالها ، ورأت فيك بهجة الحياة وزينتها ، ثم انصرفت الى خدمتك ليلها ونهارها ، تغذيك بصحتها ، وتقويك بضعفها ، تخاف عليك رقة النسيم وطنين الذباب ، وتؤثرك على نفسها بالغذاء والراحة ، فلما تم فصالك فى عامين وبدأت بالمشى . أخذت تحيطك بعنايتها ، وتتبعك نظراتها ، وتسعى وراءك خوفا عليك ، وبقيت ترعاك وتحنو عليك حتى آخر لحظاتها من الدنيا . ومن هنا قدمها الله تعالى فى الطاعة على أبيك ، ووصاك بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكثر مما وصى بأبيك ، والأحاديث فى هذا الشأن كثيرة ، نروى الآن بعضها ليتعظ الأبناء ويعرفوا حقوق أمهاتهم عليهم :

(أ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أمك » . قال : ثم من ؟ قال : « أبوك »(1) .

(ب) وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله ، من أبر ؟ قال : « أمك » . قلت : من أبر ؟ قال : « أمك » . قلت : من أبر ؟ قال : « أمك » . قلت : من أبر ؟ قال : « أباك ثم الأقرب فالأقرب »(2) .

ـــ هذان الحديثان يبينان بوضوح ما تستحقه الأم من بر وصلة ، وخدمة وطاعة ، لقاء ما بذلته من جهد وتعب .

(جـ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رغم أنفه . ثم رغم أنفه . ثم رغم أنفه » قيل :

---

(1) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم جـ ٤ ص ١٩٧٤/٤٥ كتاب البر والصلة ــ باب بر الوالدين ــ رقم الحديث (٢٥٤٨) .

(2) الأدب المفرد ــ للبخارى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ص ١١/٢ باب بر الأم .

من يا رسول الله ؟! قال : « من أدرك والديه عند الكبر ، أحدهما أو كليهما ، ثم لم يدخل الجنة »[1] .

قال العلماء : سبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ، ومعاناة المشاق فى حمله ثم وضعه ثم ارضاعه ، ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك .

ان فى تقديم الأم على الأب حكمة بالغة ، فهى — بالاضافة الى ما تبذل من جهد يفوق جهده — بحاجة الى من يعولها ويبرها ، لأنها ضعيفة الجسم عديمة الكسب ، ومن أولى ببرها من ابنها ؟ ومن أحق منه بخدمتها والاحسان اليها ؟

(د) عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان فى الطواف حاملا أمه يطوف بها ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم : هل أديت حقها ؟ قال : « لا ، ولا بزفرة واحدة »[2] .

(هـ) عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة : عيسى ابن مريم وصاحب جريج . وكان رجلا عابدا . فاتخذ صومعة فكان فيها . فأتته أمه وهو يصلى . فقالت : يا جريج ! فقال : يا رب أمى وصلاتى . فأقبل على صلاته . فانصرفت . فلما كان من الغد أتته وهو يصلى . فقالت : يا جريج ! فقال : يا رب أمى وصلاتى . فأقبل على صلاته . فانصرفت . فلما كان من الغد أتته وهو يصلى . فقالت : يا جريج ! فقال : أى رب ! أمى وصلاتى . فأقبل على صلاته . فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات . فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته . وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها . فقالت : ان شئتم لأفتننه لكم . قال : فتعرضت له فلم يلتفت اليها . فأتت راعيا كان يأوى الى صومعته فأمكنته من نفسها . فوقع عليها . فحملت . فلما ولدت . قالت : هو

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ٤٥/١٩٧٨ كتاب البر والصلة — باب رغم انف من ادرك ابويه — رقم الحديث (٢٥٥١) .

(٢) الأدب المفرد — للبخارى ص ٦/١٣ باب جزاء الوالدين .

من جريج . فأتوه فاستنزلوه وهـدموا صـومعته وجعلوا يضربونه . فقال : ما شـأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغى . فولدت منك . فقال : أين الصبى ؟ فجاءوا به . فقال : دعونى حتى أصلى . فصلى . فلمـا انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه . وقال : يا غلام ، من أبوك ؟ قال : فلان الراعى . قال : فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا : نبنى لك صومعتك من ذهب . قال : لا ، أعيدوها من طين كما كانت . ففعلوا ... »[1] .

وفى رواية البخارى : « أنه مر على المومسـات فرآهن فتبسم ... فقال له الملك : فما الذى تبسمت ؟ قال : أمرا عرفته ، أدركتنى دعـوة أمى ... ثم أخبره . هذا جريج العابد الزاهد يبتليه الله تعالى بمروءته وعفته وطهارته ، وهى أعلى شىء عنـده : لأنه لم يجب نداء أمه ولم يلب طلبها . وكثيرا ما تكون الأم فى ضيق أو عسر ، فتستغيث بابنها وهو أحب الناس اليها ، فان لم يغثها كان ذلك عقوقا منه . ان بعض الأولاد تناديهم أمهاتهم فيسـمعون ولا يجيبـون ، وكأن فى آذانهم وقرا . أرأيتم أما استنجد بهـا ابنها فلم تنجـده ؟ أو صرخ فلم تسرع اليـه ؟ أليـس من المروءة أن يعاملهـا بمـا تعـامله به ، و﴿ هل جزاء الاحسان الا الاحسان ﴾[2] .

* * *

البـر بالأب

فى القرآن الكريم آيات تأمر ببر الوالدين معا ، وآيات تفرد كلا منهما بالبر ، اذ فى الجمع والافراد دليـل على مدى اهتمام الشـارع بهما ، كل فيما يخصه من جهة ، وفيما يخصهما معا من جهة أخرى . وقد مر معنـا شىء من برهما معا ، وكذلك بر الأم وحدها ، فلنذكر الآن بعض ما جاء فى بر الأب وحده :

---

(۱) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٧٦/٤٥ كتـاب البر والصـلة (٢) ــ باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة ــ رقم الحديث (٢٥٥٠) .
(۲) الرحمن : ٦٠

ان أبلغ مثـــل يضربه القرآن الكريم فى طاعة الوالد وبره قصـــة سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وهى قصة شهيرة معروفة ، ذكرها القرآن بايجاز بلاغته .

فقال تعالى : **﴿ فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر . ستجدنى ان شـــاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين . ان هـــذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ﴾**(1) .

وجاءت هذه القصـــة بالتعبير الانسانى كمـــا شرحها العلماء فى روايات :

كان ابراهيم اذا زار هاجر واسماعيل حمـــل على البراق ، فيغدو من الشـــام فيقيل بمكة ويبيت عند أهله بالشام . حتى اذا بلغ اسماعيل معه الســـعى أمر فى المنـــام أن يذبحه ، فلمـــا تيقن ذلك قال لابنه : يا بنى خـــذ الحبل والمدية ، وانطلق الى هـــذا الشعب نحتطب . فلما خلا ابراهيم بابنـــه فى شـــعب « ثبير »(2) أخبره بمـــا أمر . فقال : **﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ﴾** . فلما أراد ذبحه قال له : «يا أبت ، اشدد رباطى حتى لا أضطرب ، واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمى شىء فينقص أجرى ، وتراه أمى ، واشحذ شفرتك ، وأسرع مر الســـكين على حلقى ليكون أهون على ، فان الموت شـــديد ، واذا أتيت أمى فاقرأ عليها الســـلام منى ، واذا رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل ، فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى . فقال له ابراهيم عليه السلام : نعم العـــون أنت يا بنى على أمر الله ، ثم أقبل عليـــه يقبله وقـــد ربطه وهـــو يبكى والابن يبكى . ثم انه وضـــع السكين على حلقـــه فلم تحز . فشـــحذها مرتين أو ثلاثا بالحجر ، فلم تقطع ، فقال الابن عند ذلك : يا أبت ، كبنى على وجهى ، فانك اذا نظرت

---

(1) الصافات : ١٠١ ـــ ١٠٧

(2) ثبير : مكان فى مكة وبالتحديد احد جبال مكة .

فى وجهى رحمتنى ، وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر الى الشفرة فأجزع ، ففعل ذلك ابراهيم عليه السلام . ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ، ونودى : ﴿ يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا ﴾ .

وروى أن ابراهيم لما رأى ذبح ابنه قال الشيطان : لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا . فمثل برجل ، وأتى أم الغلام فقال لها : أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك ؟ قالت : ذهب به ليحتطبا من هذا الشعب . قال : والله ما ذهب به الا ليذبحه . قالت : كلا ، هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك . قال : انه يزعم أن الله أمره بذلك . قالت : فان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع أمره . فخرج من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى على اثر أبيه ، فقال له : يا غلام ، هل تدرى أين يذهب بك أبوك ؟ قال : نحتطب لأهلنا من هذا الشعب . قال : والله ما يريد الا أن يذبحك . وقال : ولم ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قال : فليفعل ما أمره ربه فسمعا وطاعة . ثم أقبل على ابراهيم وقال له : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه . قال : والله انى لأرى الشيطان قد جاءك فى منامك ، فأمرك بذبح ابنك هذا ، فعرفه ابراهيم ، فقال : اليك عنى يا عدو الله لأمضين لأمر ربى . فرجع ابليس بغيظه لم يصب ابراهيم وآله بشىء .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن ابراهيم عليه السلام لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ، ثم الى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب . ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب . ثم مضى ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن . فقال : هذا فداء ابنك فاذبحه دونه . فكبر جبريل وكبر الكبش وكبر ابراهيم ، فأخذه ابراهيم وأتى المنحر من منى فذبحه »[1] .

---

(1) مسند الامام أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢١٤ ، مسند عبد الله ابن عباس .

كان لاسماعيل عليه السلام حين البلاء ثلاث عشرة سنة ، فى سن يبدأ فيها طـور المراهقة ، فتطيش سهام الأولاد وتغلب عليهم الرعونة ، ويتولاهم الجموح ويغمر حياتهم اللهو واللعب ، ولا يصـدر عنهم عمل بروية ، أو قول بتعقل ، أو تصرف بحكمـة ، لا يشـعرون بوطـأة الحياة ، وثقل العيش ، ومسئولية العيـال ، لقـد بدأوا يشـبون عن الطوق ، وينطلقون من سـجن الدار ، وأخذوا يتمردون ليبنوا بأنفسهم شـخصياتهم ، ويفرضوا على الناس اعتبارهم .

وهذه صفات معظم الأولاد . فاذا تصرف أحدهم تصرف العاقل ، ونطق نطق الحكيم ، وناقش مناقشـة المفكر ، وأطـاع والديه طـاعة البنان ، كان مثالا للنبوغ والبر والفهم . وهكذا كان سـيدنا اسماعيل عليه السـلام ، لم يفتنه الشـيطان ولم يشـككه فى حنان أبيه ، ولم يزغه عن أمر ربه ، أخبره أبوه بالرؤيا ، والرؤيا غير اليقظـة ، والايحاء النفسى التلقائى شىء ، والوحى الالهى بواسـطة جبريل عليـه السلام شىء آخر ، فلم يجزع ولم يخالف ، بل استسـلم ، استسـلم لأمر الله تعالى ، وأمر أبيه ، ولم تقف به نفسـه العالية عنـد هذا الحد ، بل أعـان أباه على الطـاعة ، وشـجعه على تنفيـذ أمـر ربه فقـال : ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ . أما أنا فقـد رضيت بما قـدره الله لى ، وما ارتأيتـه أنت لى ، وان أبت على نفسى فسـأرغمها بالصـبر ﴿ ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ﴾ .

وها هو اسماعيل يقلب لأبيه أوجه الرأى فى تسهيل مهمته ليختار منها ما هو أسـهل عليـه فى تنفيذها ، حتى اذا أسلما الى الله أمرهما ، وطابت النفس بحكمه ، ورضيت بقضائه فداه الله بذبح عظيم .

هذه أروع قصـة فى الحيـاة البشرية ، وأعظم مثل على طاعة الله وطاعة الوالد ، فيها الايمان التام ، والبر البـالغ ، فيها حكمة الله ، وشـفقة الوالد ، وطاعة الولد ، فيها الاخلاص فى الدين ، والقـول اليقين . والصبر المتين ، فيها مثال رائع للانسـانية فيما يلى :

كان تحت سيدنا ابراهيم عليه السلام امرأتان : هاجر وله منها اسماعيل ، وسارة وله منها اسحاق . فذهب بهاجر وابنها من بلاد الشام ، حيث طيبات العيش ، ولذات الحياة ، والماء والنبات والطقس الجميل ، الى بلد صحراوى ، لا ماء فيه ولا نبات ، لا زرع فيه ولا ضرع . فتركها هناك ، وأوكل الى الله تعالى أمرهما ثم عاد الى أهله .

أما ما يستنتج من قصة اسماعيل عليه السلام فهو ما يلى :

أولا : تنفيذ ابراهيم أمر ربه .

ثانيا : معرفة هاجر حقوق زوجها ، وواجباته عليها ، وانصياعها لأمر الله تعالى .

ثالثا : رسوخ طاعة الوالد فى نفس اسماعيل رسوخا لا تزعزعه الأهواء والنزعات ووساوس الشيطان .

هذا هو الفارق بين أبناء هذا الزمان وبين اسماعيل عليه السلام ، فارق بين الظلام والنور ، والطيش والروية ، والحمق والحلم .

* * *

● **آداب البر بالأب :**

عن أم المؤمنين عائشة رضى عنها قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ومعه شيخ ، فقال له : « يا فلان ، من هذا الذى معك » ؟ قال : أبى . قال : « فلا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستسب له »[1] .

وعن هشام بن عروة عن أبيه (أو غيره) أن أبا هريرة رضى الله عنه أبصر رجلين ، فقال لأحدهما : ما هذا منك ؟ قال : أبى . فقال : لا تسمه باسمه ، ولا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله »[2] .

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ للهيثمى جـ ٨ ص ١٣٧ كتاب البر والصلة .

(٢) الأدب المفرد ــ للبخارى ص ٢٢ ، ٢٣ باب لا يسمى الرجل أباه.

وعن أبي غسان الضبي قال : خرجت أمشي مع أبي بظهرة الحرة فلقيني أبو هريرة فقال لي : من هذا ؟ قلت : أبي . قال : لا تمش بين يدي أبيك ولكن امش خلفه أو الى جانبه ، ولا تدع أحدا يحول بينك وبينه ، ولا تمش فوق أجار أبيك تخفه ، ولا تأكل عرقا قد نظر أبوك اليه لعله اشتهاه ...[1] .

هذا هو النهج الذي يجب أن يسلكه الولد مع أبيه ، يرى نفسه أقل منه فلا يمشي أمامه ، ويوقن أنه قطعة منه فلا يدع أحدا يفصل بينهما ، ويعرف أنه دونه فلا يعلوه في سطح ولا مجلس ، ويعترف أنه يعيش على فضله واحسانه فلا يتناول ما اختصه لنفسه .

— والولد لا يفي والده حقه ، مهما يبذل في سبيله ، اللهم الا في حالة واحدة اعتبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكافأة له ، فقال : « لا يجزى ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه »[2] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد[3] .

والوالد لا يرضيه الا أن يرى من ابنه اقبالا عليه بقلبه ونفسه ، وانصياعا منه لأمره ، والسعي لتحقيق ما يسره ويبهجه ، وغاية البر أن تقضي له حاجته من غير أن يسألك قضاءها ، وتقدم اليه مالا يبين لك حاجته اليه ، وتعطيه من غير أن يطلب[4] .

***

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — للهيثمي جـ ٨ ص ١٣٧ — باب ما جاء في البر وحق الوالدين .
(٢) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣١٤
(٣) الأدب المفرد — للبخاري ص ١/١١ باب قوله تعالى : ﴿ **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** ﴾ .
(٤) انظر : بر الوالدين — عبد الرؤوف الحناوي ، ص ٢

● بر الوالدين مقدم على الجهاد فى سبيل الله :

عمت الدعوة الاسـلامية أرجاء المعمورة بفضل الجهاد فى سبيل الله الذى بذله المسلمون لاعلاء كلمة الله تعالى . ولولا الجهاد فى سبيل الله فى تلك البقعة الصـغيرة التى انطلق منها ، ما انتشر الاسـلام ، ولدثرت معالمـه فى مدة وجيزة من الزمن .

لم تنتشر تلك الدعـوة الا بالحكمة والموعظة الحسنة ، فاذا حال دون انتشارها حائل بعـد ذلك أزيح بالقوة ، وهذا هو الذى صـارت عليـه الدعوة ، وهو رد على من يقول بأن الاسلام انتشر بالسيف .

ومع عظم قدر الجهاد وفضـله فى بث كلمة التوحيد ــ التى من أجلها أوجـد الله تعالى الكائنات وخلق السموات والأرض وما فيهن ، وأحبط عمـل كل امرىء لم يقر بها ــ فقـد قدم عليـه بر الوالدين وطاعتهما .. ولا يعنى هـذا أن برهما اذا خلا من كلمة التوحيد يدخل صاحبه الجنة : لأن البر مع الشرك لا يقام له عند الله وزن ، ولا يغنى منه شـيئا اذ جاءت الآية الكريمـة صريحة فى ذلك فقـال تعـالى : ﴿ وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ... ﴾(1).

ولكن ايثار برهما على الجهاد دليـل على المنزلة التى أنزلهما الله فيها ، وعلى الحق الذى منحهما اياه ، ليعرف الأبناء فضلهما وقدرهما .

واليكم بعض الأحاديث الشريفة الواردة فى هذا الشأن :

(أ) عن عبد الله بن مسـعود رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أى العمل أفضـل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » . قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى(2) .

---

(1) العنكبوت : 8

(2) رواه البخارى ج 2 ص 7 ، 8 فى مواقيت الصلاة ــ باب فضل الصلاة لوقتها ، ورواه مسـلم ج 1 ص 90/1 كتـاب الايمان (36) ــ باب بيان كون الايمان بالله تعالى أفضل .

الصلاة هى الدعامة الأولى من دعائم الاسلام الأربع . وبما أنها أفضل الدعامات وأعظمها منزلة عند الله تعالى ، وكان جحودها كفرا يقتل مرتكبه كالجحود بالأساس ، فقد خصها الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقديم لبيان قدرها وفضلها .

(ب) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : أجاهد . قال : « لك أبوان » ؟ قال : نعم . قال : « ففيهما فجاهد »[1] .

أى ابذل غاية جهدك فى خدمتهما ، واعمل أقصى ما تستطيع لارضائهما . لأن من عادة الولد أن يعتبر أقل معروف يسديه الى والديه فضلا كبيرا عليهما ، ويخال أنه وفاهما به حقهما . أما هما فيبذلان الغالى والثمين من أجله عن طيب نفس ورضا ، ولا يمنان عليه .

(جـ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أقبل رجل الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله . قال : فهل من والديك أحد حى » ؟ قال : نعم كلاهما . قال : « فتبتغى الأجر من الله » ؟ قال : نعم . قال : « فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما »[2] .

ان الأجر الذى تطلبه ليس وقفا على الجهاد ولا قصرا على الهجرة . فهناك عمل آخر هو خير وأبقى . يختص بك وحدك . ولا يرتبط بغيرك . ولا يمضيه أحد سواك . فيه الأجر الذى تطلبه . والثواب الذى تبتغيه . ارجع الى والديك فأحسن صحبتهما . والزم خدمتهما . وأطع أمرهما . وأدخل السرور على قلبهما . فان عملت ذلك عدل عملك الجهاد وفاقه .

(د) وعن نعيم مولى أم سلمة قال : خرج ابن عمر رضى الله عنهما حاجا حتى كان بين مكة والمدينة أتى شجرة فعرفها فجلس تحتها ثم

---

(١) رواه البخارى جـ ٤ ص ٤٧

(٢) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٧٥ كتاب البر والصلة ـ باب بر الوالدين

قال : رأيت رســول الله صلى الله عليه وسلم تحت هــذه الشجرة اذ أقبل رجل شــاب من هذه الشــعبة حتى وقف على رســول الله صلى الله عليــه وسلم فقال : يا رســول الله ، انى جئت لأجاهد معك فى سبيل الله أبتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة فقال : « أبواك حيان كلاهما » ؟ قال : نعم . قال : « فارجع فبرهما » فانفتل راجعا من حيث جاء[1] .

كل هذه الأحاديث تدل دلالة واضــحة على أن الله تعــالى أعــد للوالدين منزلة عالية . وفرض لهما حقــوقا كثيرة . وقدم برهمــا على الجهاد فى سبيل الله رحمة منه وفضلا .

وليس هذا البر فى الحقيقة الا نوع من الجهاد . فهو جهاد بالجسم فى الخدمة . وبالنفس فى الطاعة . وبالمــال فى الانفاق . ولا يبدر ذلك الا ممن أراد الله له الخير وكتبه من السعداء .

لا تعجب أيها الأخ المؤمن أن قدم الله تعالى بر الوالدين على الجهاد فى سبيله . فكلمة التوحيد ــ لا اله الا الله ــ وعبادة الله عز وجل أعلى وأغلى من برهما . ولكن هناك أمر واحد يزيل هذا العجب من نفسك وهو أن بر الوالدين فرض عين . فاذا قصرت فى برهما فمن ذا الذى يبرهما ؟ . أما الجهاد فهو فرض كفاية ــ الا فى حال غزو العدو بلاد المســلمين واعــلان النفير العــام ــ فاذا صحبت والديك . ولزمت أقدامهما قام بالجهاد غيرك . أما خدمتهما فلا يتولاها أحد سواك .

ولقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم قيــام الولد فى خدمة أبويه والســعى عليهما جهادا فى ســبيل الله . روى الطبرانى أن النبى صلى الله عليــه وسلم كان جالســا مع أصحابه ذات يوم ، فنظروا الى شــاب ذى جلد وقوة قد بكر يســعى ، فقالوا : ويح هــذا ، لو كان شــبابه وجلده فى ســبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يســعى على ولده صغارا فهو فى

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ الهيثمى جـ ٨ ص ١٣٨ باب ما جاء فى البر وحق الوالدين .

سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه ليعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان »[1] .

الجهاد فى سبيل الله خير تجارة يتعاطاها المؤمن : لأن فيها الفوز فى الدنيا والسعادة فى الآخرة . ومن أحسن عملا ممن وهب نفسه لله تعالى يبتغى الأجر منه والثواب ؟ لقد تفضل الله فاعتبر المجاهد فى كسب المال للانفاق على والديه كالمجاهد فى سبيله لاعلاء كلمته[2] .

* * *

بر الوالدين بعد موتهما

آيات الاسراء لم تكتف بالأمر بالاحسان الى الوالدين واطاعتهما واكرامهما وأياديهما بالشكر والثناء فلا ينساهما من الدعاء والاستغفار وطلب الرحمة : **« رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »[3]** . ولا يقتصر على الدعاء لهما فى حياتهما فحسب بل بعد موتهما أيضا حيث تنقطع أعمالهما عن الدنيا ، فلا يتزودان بأكثر مما قدما الا بما يهبهما ابنهما ، والسفر طويل ، والزاد مهما بلغ ضئيل ، ولا يسهل السفر ويعزز الزاد الا أحد ثلاثة ذكرها الحديث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات العبد انقطع عنه عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[4] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ترفع للميت بعد موته درجته . فيقول : أى رب ، أى شىء هذه ؟ فيقال : ولدك .. استغفر لك[5] .

---

(١) رواه الطبرانى : معجم الطبرانى الصغير جـ ١ ص ٢٠٧

(٢) انظر : بر الوالدين — عبد الرؤوف الحناوى ص ٣٥ — ٤٧

(٣) الاسراء : ٢٤

(٤) الأدب المفرد — للبخارى ، ص ١٩/٢١ باب بر الوالدين بعد موتهما .

(٥) نفس المرجع والصفحة .

ألا ان خير ما يرجو الولد لوالديه المغفرة لهما: ﴿ **رب اغفر لى ولوالدى** ﴾(١) وهو ما جاء على لسان الرسل الكرام ، وطلب الرحمة لهما : ﴿ **رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾(٢) ان استغفاره لهما عساه أن يقبل ، لأنه شكر على معروف ، واسداء لفضل ، ووفاء لدين ، والوالدان بعد موتهما فى أشد الحاجة الى الاحسان ، لأنهما أدركا حقيقة الموت ، وذاقا ضمة القبر وهول الحساب ، وندما على كل لحظة قضياها فى حياتهما الدنيا بلهو وعبث ، وتحسرا على ضآلة زادهما من العمل الصالح ، وانقطع رجاؤهما الا من رحمة الله تعالى ، فاذا وصل اليهما خير من ولدهما تلقياه بتلهف وابتهاج كما تتلقى الأرض الجدبة ماء السماء .

ـ وعن مالك بن ربيعة الساعدى قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله ، هل بقى على من بر أبوى شىء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال : « نعم .. خصال أربع : الدعاء لهما . والاستغفار لهما . وانفاذ عهدهما . واكرام صديقهما . وصلة الرحم التى لا رحم لك الا من قبلهما »(٣) .

فالصلة اذن ما زالت قائمة بينه وبين أبويه ، يطلب الرحمة والمغفرة لهما من الله تعالى ، وينفذ عهدهما ، ويكرم صديقهما ، ويصل رحمه التى هى من قبلهما ، فينال بذلك رضا الله ورضاهما . ومن الوفاء ألا ينسى الانسان المعروف ولا يجحد الفضل . ومن كافأ على معروف أسدى اليه وهو لا يزال يعتبر نفسه مقصرا تجاه صاحبه ، كان أكثر الناس وفاء ومروءة . والولد المغمور بأفضال والديه يرى نفسه عاجزا ومقصرا ومدينا ولو بلغ فى البر أقصاه .

وهذا عبد الله بن عمر يضرب لنا المثل الصالح للولد الصالح ، ويروى لنا عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة . فسلم عليه عبد الله . وحمله

---

(١) نوح : ٢٨ (٢) الاسراء : ٢٤
(٣) الأدب المفرد ــ للبخارى ص ١٩/٢٠ باب بر الوالدين بعد موتهما.

على حمار كان يركبه . وأعطاه عمامة كانت على رأسه . فقال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله ! انهم الأعراب وانهم يرضون باليسير . فقال عبد الله : ان أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب . وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه »[1] .

هكذا فليكن الأبناء : حب للآباء وبر بهم ، اعتراف بفضلهم وطاعة لهم ، ايثارهم على النفس والأهل والولد ، خفض الجناح لهم ولين الكلام ، ثم امتداد لهذه الرابطة القوية بعد وفاتهم : دعاء لهم واستغفار ، واستمطار الرحمة عليهم والرضوان ، اكرام من كانوا يحبون ، صلة من كانوا يوادون ، حفظ مودة من كانوا يوادون ، حفظ مودة من كانوا يصادقون ، تزويدهم بالصدقات والمبرات ، وأخيرا تقرب الى الله تعالى ببرهم .

وابن عمر رضى الله عنه أوضح لنا هذه المعانى كلها بلقاء ابن صديق أبيه .

ـ عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من البر أن تصل صديق أبيك »[2] .

من الأمور المسلم بها أن ينتقل كثير من طباع الأب عن طريق الدم الى ابنه ، فيأتى شبيها به فى الخلق والخلق[3] ، وينزع فى صغره الى تقليده فى حركاته ، ومشيه وكلامه ، وينشأ على حب من يحب ، وبغض من يبغض ، ويرث عنه كثيرا من الصفات والمزايا ، فما لاءم منه ميوله ورغباته داوم عليه واحتفظ به فى كبره ، ومنه الصداقة والمودة .

---

(۱) رواه مسلم جـ ٤ ص ۱۹۷۹/٤ باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ـ رقم الحديث (٢٥٥٢) .

(۲) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للهيثمى جـ ۸ ص ١٤٧ باب صديق الأب .

(۳) الخلق والخلق : الأولى بنصب الخاء والثانية بضمها .

روى أبو بكر بن حزم ، عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : كفيتك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الود يتوارث »[1] .

وأما المثل فيقول : « محبة الآباء تتصل بالأبناء » .

ولقد دفع الاسلام الى المحافظة على مودة أصدقاء الآباء ، وحث عليها ليستمر الترابط الأخوى بين الناس ، وتزيد الصلة والألفة ، فتبقى الكلمة متحدة ، والقلوب مؤتلفة ، وتسود الطمأنينة والسلام . وحذر مغبة التقاطع ، وتوعد من يقطع صلة أهل ود أبيه باطفاء نوره ، لأنه حاول اطفاء نور التحابب والتآلف ، فروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احفظ ود أبيك ، لا تقطعه فيطفىء الله نورك »[2] .

هذه فرصة سانحة لمن فاته الخير فى حياة والديه فلم يعمل على ارضائهما ، ورحمة من الله واسعة لمن قصر عن مقام الأبرار . والولد يشعر بحسرة كبيرة بعد وفاة والديه ، ولا سيما ان كان مسيئا اليهما فى حياتهما ، لأنه لم يعرف قيمتهما الا بعد زوالهما ، ولقد وصف له هذا الحديث الشريف ما يزيل من نفسه الحسرة والندامة ، وما يعوض عليه ما فاته من خيرات .

ليس بر الوالدين مقصورا بعد موتهما على الدعاء لهما فحسب ، بل للولد أن يصوم صوم نذر ويحج عنهما ، والصوم والحج كما نعلم ركنان من أركان الاسلام ، فاذا علم أحدنا أن على والديه أو أحدهما دينا من صيام قضاه عنهما ، واذا لم يحجا حج عنهما ولو لم يوصياه بذلك . وقيام الولد بأداء هذين الفرضين عنهما يزيل مسؤليتهما أمام الله تعالى ، ويزيد فى حسناتهما ، ولا ينقص من أجره شىء .

---

(1) الادب المفرد ـ للبخارى ، ص ٢٢/٢٢ باب الود يتوارث .
(2) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للهيثمى جـ ٨ ص ١٤٧ باب صديق الأب .

قال بريدة رضى الله عنه : بينما أنا جالس عند رسـول الله صلى الله عليـه وسلم اذ أتته امرأة فقالت : انى تصـدقت على أمى بجارية ، وانها ماتت (أى أمها) فقال : « وجب أجرك ، وردها عليك الميراث » . قالت : يا رسـول الله ، انه كان عليها صـوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال : « صـومى عنها » . قالت : انها لم تحج قـط أفأحـج عنها ؟ قال : « حجى عنها »[1] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن امرأة قالت : يا رسول الله ، ان أمى ماتت وعليها صوم نذر ، أفأصوم عنها ؟ فقال : « أرأيت لو كان على أمـك دين فقضـيته أكان يؤدى ذلك عنها » ؟ قالت : نعم . قال : « فصومى عن أمك .. »[2] .

نستدل من هـذا على أن الأبوين أولى بالصـدقة ، وأن مفهوم الصدقة هنـا يختلف عن المفهوم المتعارف بين الناس من حيث أنه جبر للخاطر الكسير ، وسـد رمق للبطن الجائع ، وسـتر لعورة البائس العريان ، وكف للنفس عن التسول والذل ، وتطهير المـال وتحصين له ، وانما مفهومها : مكافأة على الاحسان ، واعتراف بالجميل ، وتأدية للواجب وتقرب الى من أنت بحاجـة اليه ﴿ ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم ﴾[3] . والله الغنى وأنتم الفقراء . من هنـا كان صوم الرجل عن والديه ، وحجه عنهما نوعا من جزاء الاحسان بالاحسـان ، ومكافأة الهدية بالهدية ، ومبادلة الخير بالخير .

روى عن شعيب عن أبيه عن جـده أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما على أحـد اذا أراد أن يتصدق بصـدقة أن يجعلها لوالديه ، ويكون لوالديه أجرهما ، ويكون له مثل أجـورهما من غير أن ينتقص من أجورهما شىء »[4] .

---

(١) رواه مسلم جـ ٢ ص ١٣/٨٠٥ كتاب الصيام (٢٧) باب قضـاء الصـيام عن الميت .
(٢) نيل الأوطار ــ للشوكانى جـ ٤ ص ٢٤٩
(٣) التغابن : ١٧
(٤) اخرجه الطبرانى فى الاوسط .

فقوله : « يجعلها لوالديه » معناه أن يهب والديه ثوابها ، ولم يقل « يتصدق بها على والديه » لأن الوالدين أعز وأرفع من أن يأخذا صدقة ولدهما ، اذ أن الله تعالى فرض عليه نفقتهما بما يكفيهما ، ومن آتاه الله ما يكفيه فقد حرم عليه تناول الصدقة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج عن والديه أو قضى عنهما مغرما بعثه الله يوم القيامة مع الأبرار »[1] .

فى تأدية الحج وفاء لحق الله تعالى ، وفى قضاء الدين تسديد لحق العباد ، ومن وفى عن والديه حق الله وحق الناس كان أهلا للشكر والاحسان ، وشكره من الله تعالى أن يسجله فى قائمة الأبرار ، واحسانه اليه أن يدخله الجنة .

ان من قصر فى بر والديه فى حياتهما . وندم على ما فرط ، وخاف عاقبة العقوق ، فباب الاحسان اليهما مفتوح على مصراعيه . فليدخل منه صائما أو حاجا عنهما . أو داعيا أو مستغفرا لهما ، أو واصلا أهل ودهما وواهبا ثواب الخير لهما .

* * *

صلة الرحم

ومن ظواهر خلق الرحمة صلة الرحم ، وقد أوصى الاسلام بصلة الرحم ، ونهى نهيا شديدا عن قطيعة الأرحام .

ان من مبادىء الاسلام الاجتماعية الأولى تشبيك جماعات المسلمين فى وحدة جسدية جماعية عامة . وأولى الناس بذلك الأقربون رحما . فلهم حق أخوة الاسلام ، ولهم حق قرابة الرحم .

وتكون صلة الرحم بزيارتهم ، وتفقد أحوالهم ، واكرامهم ، والاهداء اليهم والتصدق على فقيرهم باعتباره أحق من الفقير البعيد ،

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — للهيثمى جـ ٨ ص ١٤٦ باب ما جاء فى الأبرار .

وتكون بتعهد مرضاهم ، ومشاركتهم فى مسراتهم ، ومواساتهم فى أحزانهم ، وتقديمهم على غيرهم فى كل أمر هم أحق به من غيرهم بسبب قرابتهم .

أما قطيعتهم فتكون بهجرهم ، والاعراض عن زياراتهم المستطاعة ، وعدم مشاركتهم فى مسراتهم ، وعدم مواساتهم فى أحزانهم ، وتكون بتفضيل غيرهم عليهم فى الصلات والعطاءات الخاصة التى هم أحق بها من غيرهم .

وقد وصف الله المؤمنين أهل الجنة ، بأنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويدخل فى ضمن ذلك صلة الرحم ، قال الله تعالى : ﴿ **والذين يصلون ما امر الله به أن يوصل ...** ﴾(1) .

ووصف الله من لهم اللعنة ولهم سوء الدار بأنهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويدخل فى ضمن ذلك قطيعة الرحم . قال الله تعالى :

﴿ **والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾(2) .

وصلة الرحم من موجبات دخول الجنة .

ــ عن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل أعمله يدنينى من الجنة ويباعدنى من النار . قال : « تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل ذا رحمك » فلما أدبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان تمسك بما أمر به دخل الجنة »(3) ومن وصل الرحم وصله الله ، ومن قطع الرحم قطعه الله .

---

(1) الرعد : 21 (2) الرعد : 25

(3) رواه مسلم جـ 1 ص 1/43 كتاب الايمان (4) باب الايمان الذى يدخل الجنة ــ رقم الحديث (14) .

— عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله . ومن قطعنى قطعه الله »[1] .

وهذا كناية عن أن حق الأرحام حق ثابت ، وأن الله يصل من وصل الرحم ، ويقطع من قطع الرحم ، نظرا الى أن الرحم مستجيرة برحمة الله .

— عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرحم شجنة من الرحمن ، فقال الله : من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته »[2] .

(الشجنة فى اللغة : عروق الشجر المشتبكة ، والمتداخل بعضها فى بعض ، ولا شك أن الرحم متداخلة متشابكة بعضها مع بعض ، كتداخل عروق الشجر المشتبكة . وكونها من الرحمن ، أى اشتق الله لها اسما من اسمه « الرحمن » . وقد جاء هذا المعنى مصرحا به فى حديث رواه أبو داود وقال عنه : حسن صحيح) .

— عن عبد الرحمن بن عوف قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تبارك وتعالى : أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته »[3] .

(بتته : أى قطعته ، فالبت فى اللغة : القطع) .

وقطيعة الرحم من العناصر التى تحرم القاطع من دخول الجنة :

— عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٨١ / ٤٥ كتاب البر والصلة (٦) باب صلة الرحم — رقم الحديث (٢٥٥٥) .

(٢) رواه البخارى جـ ٧ ص ٧٣ كتاب الأدب — باب من وصل وصله الله .

(٣) رواه ابو داود والترمذى واللفظ له ، جـ ٣ ص ٩/٢١١ باب ما جاء فى قطيعة الرحم — رقم الحديث (١٩٧٢) .

قال : « لا يدخل الجنة قاطع »[1] أى قاطع رحم ، وقاطع لما أمر الله به أن يوصل ، وهـذا يفضى الى الكفر الذى يتمرد فيه العبد على أمر الله ، ويرفض فيه طاعته .

وليس الواصل لرحمه هو أن يعامل أرحامه بالمثـل ، فان وصلوه وصلهم ، وان قطعوه قطعهم ، ولكن الواصـل هو الذى اذا قطعتـه رحمه وصـلها :

ــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصـلها »[2] .

وشـكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيعة قرابة له ، على الرغم من أنه يواصلهم ويحسـن اليهم ، ويحلم عنهم ، فأبان له الرسـول صلى الله عليـه وسلم مبلغ عقوبتهم عنـد الله على قطيعتهم واساءتهم له ان صـدق فيما يقول :

ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله ، ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى . وأحسـن اليهم ويسيئون الى . وأحلم عنهم ويجهلون على . فقال : « لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسـفهم المـل . ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ، ما دمت على ذلك »[3] .

(المـل : هو الرماد الحار . والمعنى فكأنما تطعمهم الرماد الحار ، وهذا تشـبيه لنوع العقاب الذى يجازون به يوم القيـامة على قطيعتهم لرحمهم) .

ــ عن أبى هريرة قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق الخلق . حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هـذا

---

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، جـ ٤ ص ١٩٨١/٤٥ كتاب البر والصلة (٦) باب صلة الرحم ــ رقم الحـديث (٢٥٥٦) .

(٢) رواه البخارى جـ ٧ ص ٧٣ باب ليس الواصل بالمكافىء .

(٣) رواه مسـلم جـ ٤ ص ١٩٨٢/٤٥ كتـاب البر والصـلة (٦) باب صلة الرحم ــ رقم الحـديث (٢٥٥٨) .

مقام العائذ من القطيعة . قال : نعم . أما ترضين أن أصـل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذاك لك »[1] .

ثم قـال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : « اقرأوا ان شئتم :

﴿ فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا ارحامكم . اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم . افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ﴾[2] .

فمن هـذه النصوص يتبين لنـا أن قطيعة الرحم معصية كبيرة ، واثم شـنيع ، وأن عقابها عند الله عقاب مريع ، ونحن نعلم أن الوالدين أقرب الرحم ، نعوذ بالله من سيء العمل ، ومزالق الزلل ، وكبائر الاثم ، وسـوء المصير .

ومن لطائف الشريعة أن الصدقة على المسكين تحسب بصـدقة ، أما الصدقة على ذى الرحم فتحسب باثنتين ، صدقة وصلة :

ـــ عن سلمان بن عامر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم صدقة وصلة »[3] .

وصلة الرحم مما يكافىء الله عليـه فى الدنيا ببسط الرزق واطالة العمر ، وهذا ثواب معجل يتسـابق اليه معظم الناس ، وهو زائد على ثواب الآخـرة الذى ادخـره الله للمؤمنين الذين يعملون الصـالحات ابتغاء مرضـاته :

ـــ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم قال : « من أحب أن يبسـط له فى رزقه وينسـأ له فى أثره فليصل رحمه »[4] .

(ينسأ : أى يؤخر ، والنسيء هو التأخير) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، جـ ٤ ص ١٩٨٠/٤٥ كتاب البر والصلة (٦) باب صلة الرحم ـــ رقم الحديث (٢٥٥٤) .

(٢) محمـد : ٢٢ ـــ ٢٤

(٣) رواه الترمذى جـ ٢ ص ٢٦/٨٤ باب ما جاء فى الصدقة على ذى القربى ـــ رقم الحديث (٦٥٣) .

(٤) رواه البخارى جـ ٧ ص ١٢/٧٢ باب من بسط له فى الرزق .

والمراد من الأثر : الأجل والعمر ، وذلك لأن عمر الانسان فى هذه الحياة هو الزمن الذى تسجل له فيه آثارة — أى أعماله ذات الآثار — سواء أكانت خيرا أو شرا . فيكون المعنى المراد من « وينسأ له فى أثره » : يؤخر له فى عمره ، أى يطول له فى عمره .

وأفضل الصدقة وأفضل أعمال البر هو ما كان منها على الأرحام والأقربين ما وجد فيهم ذو حاجة .

— عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن » قالت : فرجعت الى عبد الله فقلت : انك رجل خفيف ذات اليد ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة . فاته فاسأله : فان كان ذلك يجزى عنى والا صرفتها الى غيركم (تريد بذلك اعطاء صدقتها الى زوجها اذا كان ذلك جائزا) قالت : فقال لى عبد الله : بل ائتيه أنت . قالت : فانطلقت . فاذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتى حاجتها . قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليه المهابة . قالت : فخرج علينا بلال فقلنا له : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك : أتجزى الصدقة عنهما على أزواجهما ، وعلى أيتام فى حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن . قالت : فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هما » ؟ فقال : امرأة من الأنصار وزينب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى الزيانب » ؟ قال : امرأة عبد الله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة »[1] .

---

(١) رواه مسلم ج ٢ ص ١٢/٩٦٤ كتاب الزكاة (١٤) باب فضل النفقة على الأقربين — رقم الحديث (١٠٠٠) .

هذه تعاليم الاسلام الرائعة ، وهــذا حال نساء الصدر الأول من المســلمين . والأمر بصــلة الرحم من أوائل ما أنزل من التشريع فى الاســلام .

— عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أبو طلحــة أكثر أنصــارى بالمدينة مالا . وكان أحب أمواله اليه بيرحى (اسم لحديقة من نخل) وكانت مستقبلة المســجد . وكان الرســول صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت هذه الآية: **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾**[1] قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله يقول فى كتابه : **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾** ، وان أحب أموالى الى بيرحى . وانها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عنــد الله . فضعها يا رســول الله حيث شئت . قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « بخ بخ ! ذلك مال رابح . ذلك مال رابح . قد سمعت ما قلت فيها . وانى أرى أن تجعلها فى الأقربين » فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه[2] .

— عن أبى أيوب الأنصارى أن رجلا قال : يا رسول الله ، أخبرنى بعمل يدخلنى الجنــة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « تعبــد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم »[3] .

وصلة الرحم مطلوبة فى الاسلام ، ولو كانت الرحم غير مسلمة ، ولكن صلتها حينئذ تكون فيما لا يتعارض مع الاسلام وأحكامه أو مع مصلحة المســلمين :

عن أبى هريرة رضى الله عنــه قال : لمــا أنزلت هــــذه الآية : **﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾**[4] . دعا رســول الله صلى الله عليه وسلم قريشــا فعم وخص . فقال : « يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفســكم

(١) آل عمران : ٩٢
(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ لـه ، جـ ٢ ص ٦٩٣/١٢ كتاب الزكاه (٤) باب فضل النفقة والصدقة على الاقربين — رقم الحديث (٩٩٨).
(٣) رواه البخارى جـ ٧ ص ٧٢ باب فضل صلة الرحم .
(٤) الشعراء : ٢١٤

من النار • يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار • يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار • يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار • يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار • يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار • يا فاطمة أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيئا ، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها »[1] .

(ببلالها : البلال مصدر بله بالماء اذا نداه به ، جمع البلل ، والعرب يطلقون النداوة على الصلة ، واليبس على القطيعة) • ومعنى الحديث : سأصلها — شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ، ووصلها باطفاء الحرارة ببرودة • ومنه : بلوا أرحامكم : أى صلوها •

وصلة الرحم قد تكون مقدمة على عتق الرقاب فى بعض الأحوال :

— عن أم المؤمنين ميمونة ، أنها أعتقت وليدة ، ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه ، قالت : أشعرت يا رسول الله أنى أعتقت وليدتى ؟ قال : « أو فعلت » ؟ قالت : نعم • قال : « أما أنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك »[2] •

ويظهر أن أخوالها كانوا ذوى حاجة ، أو أن صلتها لهم تؤلف قلوبهم ، وتجبر خواطرهم •

فصلة الرحم ظاهرة ترجع الى جملة من الأسس الأخلاقية ، منها الرحمة ، ومنها حب الحق وايثاره ، لأن الله تعالى قد عقد بين الرحم شبكة حقوق متبادلة ، ومنها الدافع الجماعى ، والشعور بالمحبة تجاه الآخرين •

وأبان الرسول صلى الله عليه وسلم أن صلة الأرحام من الأعمال التى يثيب الله عليها بثوابين معجلين فى الدنيا •

---

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٨٩/١٩٢ باب فى قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ — رقم الحديث (٢٠٤) .
(٢) رواه البخارى ج ٣ ص ١٣٥ باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها.

الأول : البسـط في الرزق والتوسعة فيه ، فالذى يصـل رحمه يبسط الله له في رزقه .

الثاني : اطالة العمر والبركة فيه .

وأبان الرسـول صلى الله عليه وسلم أن المكافيء على الصـلة بمثلها ليس هو الواصـل ، انما الواصـل هو الذى اذا قطعت رحمـه وصلها . وأبان أن قطيعة الرحم من الذنوب التى يعجل الله لصـاحبها العقوبة فى الدنيا ، مع ما يدخره له فى الآخرة من عقوبة .

ونفهم من حديث ميمونة مع أحاديث أخرى أن الأفضليات الواردة فى كلام الرسـول صلى الله عليـه وسلم كثيرا ما كان يراعى الرسول فيها حال السـائل وظروف الحادثة ، فلكل حادثة حكمها ، ومن العسير الحكم بالأفضلية المطلقة الا الايمان . وفيما عـدا ذلك كثيرا ما تتبادل الأعمال الأفضليات بحسب المصالح التى تتحقق بها[1] .

* * *

عقـوق الوالـدين

عقوق الوالدين : هو اهمال حقوقهما ، والخروج عن طاعتهما ، وفعل ما لا يرضيهما ، وايذاؤهما ولو بكلمة مرة ، أو نظرة شزرة ...

فمن فعل شـيئا من هذا استحق سخط الله تعالى ، وحرم معونته ، وارتكب اثما من أكبر الكبائر[2] .

عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها الى يوم القيامة ، الا عقـوق الوالدين فان الله تعالى يعجله لصـاحبه فى الحياة قبـل الممات »[3] .

---

(1) انظر : الأخلاق الاسـلامية واسسها ــ عبد الرحمن الميـدانى ج ٢ ص ٣٤ ــ ٤١

(2) انظر : منهاج التربية الصالحة ــ احمد عز الدين البيانونى ص١٤٥

(3) رواه المستدرك على الصحيحين ــ الحاكم النيسابورى ج ٤ ص ١٥٦ كتاب البر والصلة .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : رضا الرب فى رضا الوالد • وسخط الرب فى سخط الوالد [1] •

قضت الفطرة السليمة بأن الوالدين لهما حقوق على أولادهما لا يمكن أن يفوا بجزء منها • اذ هم مدينون لهما بتربيتهم وتنشئتهم ورعايتهم • وأن يذكروا كم بذل الأبوان فى سبيل راحتهم واسعادهم من جهد وسهر وحنان •

ثم ليذكر الولد من رعاه ، ومن أطعمه وسقاه ، ومن علمه ورباه ، ومن بذل راحته لهناه ، ليذكر الولد من احتمل العناء فى سبيله •

ولقد صدق من قال : انه لا يوجد فى الحياة من يعتبر بحق مثال التضحية الصامتة الصابرة المثابرة الراضية المطمئنة كالوالدين بالنسبة لولدهما ، لذلك كان برهما مقتضى الفطرة ، لأنه شكر للنعمة واعتراف بالجميل • لقد أمر الشارع الحكيم بالاحسان الى الوالدين فى غير موضع من الكتاب الكريم وجعل تعالى طاعتهما مقرونة بطاعته ، وقضى بالبر اليهما بجانب عبادته ، وأعلن عن رضاه فى رضاهما وعن سخطه فى سخطهما • لأن الوالدين سبب وجود الانسان وهما مصدر البر والرحمة والحنان ، فالأم التى رأت أنواع المشقة والآلام فى سبيل اسعاده ، والوالد يشقى ليوفر لولده حياة الرغد والأمن والاستقامة • لذلك حرص الاسلام على رضا الوالدين ، وجعل حتى التطوع للجهاد بغير اذنهما لا يجدى نفعا •

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أقبل رجل الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغى الأجر من الله • قال : « فهل من والديك أحد حى » ؟ قال : نعم ،

---

(1) الأدب المفرد — البخارى ص ١١ باب قوله تعالى : ﴿ **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** ﴾ •

بل كلاهما . قال : « فتبتغى الأجر من الله » ؟ قال : نعم . قال : « فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما »[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف » قيل : من .. يا رسول الله ؟ قال : « من أدرك أبويه عند الكبر ، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة »[2] .

عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : قدمت على أمى ، وهى مشركة ، فى عهد قريش اذ عاهدهم . فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قدمت على أمى وهى راغبة . أفأصل أمى ؟ قال : « نعم . صلى أمك »[3] . فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمر أسماء أن تصل أمها مع أنها مشركة . وقد أوصى تبارك وتعالى بهما مع عدم ايمانهما : **﴿ وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ﴾(٤)** .

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم البر بأصدقاء الأب من أبر البر : عن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه »[5] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهدى لصديقات السيدة خديجة بعد وفاتها برا بها ووفاء لها وهى زوجته ، فكيف بالوالدين ؟

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ ص ٤٥/١٩٧٥ كتاب البر والصلة (١) باب بر الوالدين ــ رقم الحديث (٢٥٤٩) .
(٢) رواه مسلم جـ ٤ ص ٤٥/١٩٧٨ كتاب البر والصلة (٣) باب رغم أنف من أدرك أبويه ــ رقم الحديث (٢٥٥١) .
(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم ، جـ ٢ ص ١٢/٦٩٦ الزكاة (١٤) باب فضل النفقة على الاقربين (٥٠) .
(٤) لقمان : ١٥
(٥) رواه مسلم جـ ٤ ص ٤٥/١٩٧٩ كتاب البر والصلة رقم (١٢) .

روى عن أبى أسـيد الأنصارى قال : كنا عنـد النبى صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شىء بعـد موتهما أبرهما ؟ قال : « نعم .. الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما »[1] .

فرضاء الأبوين يعود على الابن بالخير العميم ، وهو طريق يصـل به الى الجنـة .

ــ عن عمرو بن مرة قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، شهدت أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ، وصليت الخمس وأديت زكاة مالى وصمت شهر رمضان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ــ ونصب أصبعيه ــ ما لم يعق والديه »[2] .

فهذا الحديث يدل على أن عقوق الوالدين لا ينفع معه آى طاعة ، اذ به يستحق سخط الله وعذابه فى الحياة وبعد الممات .

ــ عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليـه وسلم ، فى الكبائر قال : « الشرك بالله . وعقوق الوالدين . وقتـل النفس . وقول الزور »[3] .

ــ لقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين من أكبر الكبائر وأن مرتبته بعـد الشرك بالله . لأن من أعق والديه فقد أساء الى من أحسن اليـه ، وعامل بالقسـوة أشـد الناس به رحمة ، وهـذا يدل على خبث فى النفس ، ودناءة فى الخلق . فعاق الوالدين لا خير فيه لأحد ، لأن الذى يضيع حق أعز الناس عليه لا يؤمن على حق أحد .

---

(1) الادب المفرد ــ للبخارى ص ٢٠/١٩ باب بر الوالدين بعد موتهما ــ رقم الحديث (٣٥) .

(2) رواه أحمد والطبرانى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ الهيثمى جـ ٨ ص ١٤٧ باب ما جاء فى العقوق .

(3) رواه مسلم جـ ١ ص ٣٨/٩١ باب بيان الكبائر واكبرها ــ رقم الحديث (٨٨) .

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان عطاءه . وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، والرجلة » ، وفى رواية : « المترجلة تشبه الرجال »[1] .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن شابا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى « علقمة » مرض واشتد مرضه ، فقيل له : قل لا اله الا الله ، فلم ينطق لسانه ، فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « هل له أبوان » ؟ فقيل : مات أبوه وله أم كبيرة ، فأرسل اليها رسول الله ، فجاءت فسألها عن حال ابنها فقالت : كان كذا وكذا وكان يتصدق بجملة دراهم ما ندرى وزنها ولا عددها . فقال لها رسول الله : « فما حالك وحاله » ؟ قالت : أنا عليه ساخطة واجدة — أى غاضبة — قال لها : « ولم ذلك » ؟ قالت : كان يؤثر على امرأته ، ويطيعها فى الأشياء ، فقال رسول الله : « سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا اله الا الله ، ثم قال لبلال: «انطلق واجمع حطبا كثيرا حتى أحرقه بالنار » ، فقالت أمه : يا رسول الله ، ابنى وثمرة فؤادى تحرقه بالنار بين يدى ، وكيف يحتمل قلبى ذلك ؟ فقال لها الرسول : « أيسرك أن يغفر له ؟ فارضى عنه . فوالذى نفسى بيده ، لا ينتفع بصلاته ولا بصدقته ولا بصومه ما دمت عليه ساخطة » ، فرفعت يدها الى السماء وقالت : أشهد الله تعالى فى سمائه وأنت يا رسول الله ومن حضر أنى قد رضيت عنه . فقال رسول الله : « انطلق يا بلال فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول لا اله الا الله ، فلعل أمه تكلمت بما ليس فى قلبها حياء من رسول الله » فانطلق بلال ، فلما انتهى الى الباب سمع علقمة يقول : لا اله الا الله ومات من يومه[2] .

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ ٨ ص ١٤٨ باب ما جاء فى العقوق .

(٢) رواه الطبرانى ، واحمد ، انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — الهيثمى جـ ٨ ص ١/١٤٧ فى العقوق .

ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم . يسب أبا الرجل فيسب أباه . ويسب أمه ، فيسب أمه »[1] .

لأن المشـــتوم يكون فى حالة تأثر وانفعال يســـتحيل معهما أن يقابل ما لحقه من أذى واهانة بالصمت والســـكوت ، بل لا بد له من أن يثأر وينتقم ، فيرد على الشـــتائم بما يشـــفى غلته . ويطفىء غيظه فيكون البادىء ، والبادىء أظلم ، لذلك يجب الابتعاد عن كل ما يجلب لهما الأذى والاســـاءة ولو بطريق التسبب .

ثم ان الذى يسىء الى والديه لا يرجى منـــه الاحســـان الى أى انسان ، وكيف يرجى منه الاحســـان للغير ولم يحســـن الى من ربياه صغيرا ، ونسى عطفهما وعنايتهما ورعايتهما مما يدل على دناءة نفســـه وخسة طبعه .

لقد جمع القرآن الكريم بين عبادة الله والأمر بالاحسان الى الأبوين والصبر على خدمتهما ، والتفانى فى رضائهما ، وخفض الصوت أمامهما ، ولكن يوجـــد أبناء لا يقدرون شرف الأبوة . ولم يؤثر فيهم معروف الأمومة فتنكروا لآبائهم ، وعقوا أمهاتهم ، وطردوهم من بيوتهم ارضاء لزوجاتهم . وترى المحاكم الشرعية مشغولة بفرض النفقات على الأولاد العاقين لآبائهم العاجزين .

وقد ذكر الفقهاء بأن النفقة لا تجب الا على ذا يسار بحيث يفضل من حاجاته الأصلية الا الأبوين فانه لا يشترط أن يكون الولد بالنسبة لأبويه موسرا مادام قادرا على العمل لكى يعينهما فى شيخوختهما . وان لم يكن فى كســـبه ما يفضـــل لهما ضمهما اليه وأكل معهما مما يكسب قليـــلا كان أو كثيرا . وذلك لأن القرآن الكريم نهى الولد أن يتأفف

(1) رواه مسلم جـ ١ ص ٣٨/٩٢ باب بيان الكبائر واكبرها ـ رقم الحديث (٩٠) .

من أبويه اذا بلغا عنده الكبر ، واذا كان لا يسوغ له أن يتأفف منهما ، فأولى ألا يتركهما جائعين .

وحقوق الأبوين على أولادهم لا يحدها حد ، ولا يفيها عطف أو عطاء ، لأنهما بذلا شبابهما وراحتهما وعافيتهما فى سبيل اسعاد أولادهم والسهر على راحتهم ، ومهما عمل الأولاد فهو جزء ضئيل من حقوقهما .

ولنختم هذه الكلمة بشكاة الشاعر الجاهلى دريد بن الصمة من ولده الذى بنى آماله كلها على رعايته وسد حاجاته عند شيخوخته ، ولكنه كان على النقيض من ذلك . فقال معاتبا على ذلك الولد العاق الناكر للجميل :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا	تعل بما أدنى اليك وتنهل
اذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت	لشكواك الا ساهرا أتململ
كأننى أنا المطروق دونك بالأذى	طرقت به دونى فعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وانها	لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى	اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى منك جبها وغلظة	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتى	فعلت كما الجار المجاور يفعل[1]

* * *

٢ — عدم نهرهما والتضجر منهما ، لقوله تعالى :

﴿ وقضى ربك الا تعبدو الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾(٢) .

(١) انظر : من هدى النبوة — كمال الدين الطائى ص ٣٧٦
(٢) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

وقد تضمنت هاتان الآيتان :

١ ـ الأمر بالاحسان الى الوالدين مقابل احسانهما الى الولد ، وجزاء فضلهما عليه واقتران ذلك بالأمر بالعبادة .

٢ ـ النهى عن قهرهما بغلظة ، وزجرهما بخشونة ، وعن كل ما يتضجر منه وان كان بكلمة « أف » الدالة على الضجر والتبرم . واذا كانت كلمة « أف » منهيا عنها فما بالنا بغيرها !! وهذا النهى ليس خاصا بحالة الكبر وانما هو نهى عام فى جميع الأحوال .

٣ ـ وعلى الأولاد أن يتخيروا فى مخاطبة آبائهم أجمل الكلمات وألطف العبارات وأن يكون قولهم كريما لا يصحبه شىء من العنف .

٤ ـ وعليهم أن يتذللوا لآبائهم ويخفضوا جناح الذل لهم رحمة بهم وعطفا عليهم .

٥ ـ من حق الآباء كذلك أن يدعو لهم الأبناء الله بأن يظلهم برحمته التى وسعت كل شىء وأن يقول الولد فى دعائه لوالديه : ﴿ رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ . وقوله : ﴿ كما ربيانى ﴾ خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما فى التربية فيزيده ذلك اشفاقا وحنانا عليهما .

قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من أمسى مرضيا لوالديه وأصبح ، أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة ، وان واحدا فواحد . ومن أمسى وأصبح مسخطا لوالديه ، أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان الى النار وان واحدا فواحد » . فقال رجل : يا رسول الله ، وان ظلماه ؟ قال : « وان ظلماه ، وان ظلماه . وان ظلماه »[1] .

٦ ـ الاحسان اليهما بالقول الكريم والدعاء بالرحمة والاستغفار ،

---

(١) انظر : الأدب المفرد ـ للبخارى ص ٤/١٢ بـاب بر الوالدين وان ظلمـا رقم (٧) .

وبالبذل والعطاء . قال تعالى : ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾(١)

ينبغى للمسلم أن يحسن الى والديه ويبرهما جزاء ما قدموا له فى الصغر ويبذل كل جهده فى ارضائهما ، وبر الوالدين ليس مقصورا على حياتهما ، وانما هو ممتد الى ما بعد الوفاة كما بين الله سبحانه وتعالى على لسان نوح : ﴿ رب اغفر لى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ﴾(٢) .

وقال سبحانه على لسان ابراهيم : ﴿ ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾(٣) .

فرابطة المودة باقية فى الحياة وبعد الممات بالدعاء والاستغفار : فقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال : « نعم : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ، واكرام صديقهما »(٤) .

٤ — أن يأخذ الوضع اللائق أمامهما بتعديل جلسته والبعد عن أوضاع اللامبالاة أمامهما كمد الرجل أو رفعها فى مواجهتهما أو القهقهة أو الاضطجاع أو الغناء أو التعرى وغيرها .

٥ — مساعدتهما فى أعمالهما : فليس من اللائق أن تسير الى جانب والدك وهو يحمل فى يده شيئا وأنت لا تحمل شيئا ، بل الأدب أن تحمله عنه وأن تساعده فى عمله ، وأن تعاون البنت أمها فى تدبير المنزل ، ومن مساعدتهما الحفاظ على نظافة البيت والأثاث والملابس . ومن مساعدة الوالد : الدراسة بجد حتى تحقق النجاح وتوفر عليه

---

(١) العنكبوت : ٨ (٢) نوح : ٢٨
(٣) ابراهيم : ٤١
(٤) رواه الترمذى ج ٥ ص ١٢٩/٣٥٢ باب بر الوالدين رقم الحديث (٥١٤٢) .

مصروف السنة التى تخفق فيها ، ومن مساعدتهما اهتمام الأخوة الكبار بالصغار ، سواء فى التوجيه أو بالاعتناء بهم أو بتعليمهم .

٦ ـ الحفاظ على سمعة والديك وكرامتهم ، وذلك بعدم الاساءة الى الناس كى لا يتعرضوا بالاساءة الى والديك بالشتم والتجريح .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من الكبائر أن يشتم الرجل والديه » فقالوا : كيف يشتم ؟ قال : « يشتم الرجل ، فيشتم أباه وأمه »[١] .

ان حق الوالدين على الولد من أجل الحقوق وأعظمها بعد حق الله سبحانه وتعالى لأن الله اذا كان هو الخالق الحقيقى للولد فانه سبحانه يجعل لكل شىء سببا ، وقد جعل الوالدين هما مصدر هذا الخلق وسببه المباشر ، ولأنهما يبذلان من التضحيات والجهود من أجل تربية الأولاد واعدادهم للحياة ما يستحقان المكافأة عليه[٢] .

* * *

الأدب مع الوالدين

لا يخفى على المرء ما يتحمله الوالدان من مشقة وعناء فى سبيل سعادة أولادهم والسهر على مصالحهم وما يكنان لهم من حب وعطف . ومن الوفاء مقابلة الاحسان بالاحسان ، ومهما قدم المرء لوالديه من ضروب البر والاحسان يبقى عاجزا عن أن يفيهما حقهما أو أن يرد اليهما جميلهما : ﴿ **وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا** ﴾[٣] ، ومن الاحسان اليهما التزام الأدب معهما . واليك بعض هذه الآداب :

---

(١) الأدب المفرد ـ للبخارى ص ١٨ / ١٤ باب لا يسب والديه رقم (٢٧) .

(٢) انظر : علاقة الآباء بالأبناء فى الشريعة الاسلامية ـ سعاد ابراهيم صالح ص ٢٧

(٣) الاسراء : ٢٣

١ ـ طاعتهما : والطاعة دليل المحبة ، وطاعة الوالدين واجبة فى المعروف لا فى معصية الله . فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . لقوله تعالى :

﴿ وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من اناب الى ، ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ﴾(١) .

قال القرطبى : « ان طاعة الأبوين لا تراعى فى ارتكاب كبيرة . ولا فى ترك فريضة ، وتلزم طاعتهما فى المباحات » . ونقل عن الحسن أنه قال : « إن منعته أمه من شهود صلاة العشاء شفقة فلا يطعها » . وقد ذهب بعض الناس الى أن أمرهما بالمباح يصيره فى حق الولد مندوبا اليه . وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدا فى ندبيته . والأساس فى هذا قوله تعالى : ﴿ **وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾ فكما تحرم طاعة الوالدين فى الشرك تحرم فى كل معصية . لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »(٢) .

ولكن .. هناك بعض الآباء يتعذر ارضاؤهم بما يستطيعه أولادهم من الاحسان ، بل يكلفون الأولاد ما لا طاقة لهم به . فقد تظلم الأم ولدها قليلا مغلوبة لبادرة الغضب ، أو طاعة لما يعرض من أسباب الهوى ، كأن تتزوج رجلا تحبه وهو يكره ولدها من غيره ، وكأن يقع التغاير بينها وبين امرأة ولدها وتطلب منه أن يطلق زوجته وان لم يقصر فيما يجب لها من البر والاحسان ، وقد يتحكم الآباء فى مستقبل أبنائهم انطلاقا من الحرص على تحقيق المصلحة لهم ، وقد يتحكمون فى تزويج أولادهم بمن يكرهون أو اكراههم على تطليق من يحبون ، فهل تجب طاعة الوالدين فى مثل هذه الأمور ؟

---

(١) لقمان : ١٥

(٢)أحكام القرطبى ـ مجلد (٥) ، ص ٣٨٥٣ ـ ٣٨٥٥

يقول صاحب المنار فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا** ﴾(1) : « يجب أن نفهم أن الاحسان للوالدين الذى أمرنا به فى دين الفطرة هو أن نكون فى غاية الأدب مع الوالدين فى القول والعمل بحسب العرف حتى يكونا مغبوطين بنا ، وأن نكفيهما أمر ما يحتاجان اليه من الأمور المشروعة المعروفة بحسب استطاعتنا . فاذا أراد أحدهما أو كلاهما الاستبداد فى تصرفنا فليس من البر ولا من الاحسان شرعا أن نترك ما نرى فيه الخير العام أو الخاص ونعمل ما نرى فيه الضر العام أو الخاص عملا برأيهما واتباعا لهواهما » .

ويعلل رأيه بما جاء فى الهدى النبوى الشريف أن الثيب من النساء أحق بنفسها ، فليس لأبيها ولا لغيره من أوليائها أن يعقدوا لها الا على من تختاره وترضاه لنفسها لأنها لممارستها الرجال تعرف مصلحتها . وأن البكر على حيائها وغرارتها وعدم اختيارها وعلم ما يعلم الأب الرحيم من مصلحتها يجب أن تستأذن فى العقد عليها ويكتفى من اذنها بصمتها . وظاهره أنها اذا لم تظهر الرضا بل صرحت بعدمه لا يجوز العقد عليها . وأما الولد فهو أحق من أبيه بتزويج نفسه اجماعا ، وليس لأبيه ولاية عليه فى ذلك ، فكيف يتحكم الوالد فى ولده بما لا يحكم به الشرع ولا ترضى به الفطرة(2) .

ويقصد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأمر واذنها سكوتها »(3) .

أما ما ورد فى السنن عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « كانت تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها فأمرنى أن أطلقها ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له فقال : « يا عبد الله ، طلق

---

(1) النساء : ٣٦
(2) انظر : تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ٨٣ ـ ٨٨
(3) سنن الدارقطنى جـ ٣ ص ٢٣٩

امرأتك »[1] فانه خاص بعمر لأنه محق فى كراهتها لشئ يراه . وعمر مشهور بورعه وتقواه ، ولا يطلب شيئا يخالف أحكام الشرع ، وانما ينظر الى المصلحة فى جل اجتهاداته . والا فالطلاق لا ينبغى الا لسبب شرعى وليس منه مجرد طلب الوالدين . فانهما غالبا يكرهان الزوجة من غير شىء . والطلاق مما يهتز منه العرش .

* * *

حسن تربية الولد

الأب والأم هما المثل الأعلى للأطفال ، والطفل بطبيعته يحب التقليد ، لذا كثيرا ما ترى طفلة تقلد أمها فى لباسها أو طفلا يقلد أباه فى جلسته ، وكثيرا ما تنشأ البنت صورة عن أمها والابن صورة عن أبيه ، وقديما قيل : « من شابه أباه فما ظلم » . وكما أن للأولاد أدبا مع والديهم كذلك للآباء آداب أمام أولادهم نوجز بعضها :

١ — أن يكون الأبوان قدوة حسنة لأبنائهم فى الاستقامة والصدق والأمانة والصفات الحسنة كلها . فهما أقرب نموذج مثالى لتعليمهم الأدب والتطبع على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر البيئة على الطفل ، وأفضل وسائل التعليم هى القدوة الحسنة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه »[2] .

٢ — أن لا يظهر أحدهما بمظهر متناقض أمام أولاده كأن يأمرهم بالصدق وهو كذوب ، أو بالامتناع عن شرب الدخان وهو يشربه ، أو بالتعاون والتعاطف بين الأخوة وهو قاطع لرحمه . قال تعالى :

---

(١) رواه الترمذى وابو داود ، انظر : التاج لجامع الأصول فى احاديث الرسول جـ ٢ ص ٣٤٢

(٢) رواه أبو داود جـ ٥ ص ١٨/٨٦ باب فى ذرارى المشركين — رقم الحديث (٤٧١٤) .

﴿ يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ﴾(1) . فان التناقض يفقد النصائح أثرها .

٣ ــ أن يبتعد الوالدان عن التلفظ بالألفاظ الفاحشة والنابية أمام أولادهم ، كالتلفظ بالكفر والكلام الفاحش والبذىء والحلف بالطلاق وما شاكل ذلك ، فالطفل كالمسجل يلتقط الكلمة عن والديه ، فما يلبث أن يعيدها ، كما ليس من الأدب أن يداعب أمهم فى حضرتهم ، أو أن يطردهم من البيت لأتفه الأسباب مما يساعد على افسادهم .

٤ ــ أن لا يتضايق من البنات أو من كثرتهن ، وأن يسوى فى المعاملة بين الذكور والاناث ، عن شرحبيل رضى الله عنه قال : سمعت ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم تدركه ابنتان ، فيحسن صحبتهما ، الا أدخلتاه الجنة »(2) .

٥ ــ أن لا يخص ولدا بعطاء دون آخر ، أو يمنع أحدا من عطاء منحة اخوانه ، فان ذلك يولد الحقد عليه وعليهم لما فى ذلك من ظلم ، ففى الحديث :

عن النعمان بن بشير . قال : تصدق على أبى ببعض ماله . فقالت أمى عمرة بنت رواحه : لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق أبى الى النبى صلى الله عليه وسلم ليشهده على صدقتى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفعلت هذا بولدك كلهم » ؟ قال : لا . قال : « اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » فرجع أبى . فرد تلك الصدقة(3) .

٦ ــ أن يحسن تربيتهم ويعلمهم علوم الدنيا ويكفلهم حتى يقدروا على العمل ، فان الولد السىء يدفع الناس الى ذم أبيه وشتمه ، وأن لا يبخل

(1) الصف : ٢ ، ٣

(2) انظر : الأدب المفرد ــ للبخارى ص ٤١/٣٠ باب من عال جاريتين او واحدة رقم (٧٧) .

(3) رواه مسلم ج ٣ ص ١٢٤١ باب كراهة تفضيل بعض الأولاد فى الهبة رقم (١٣) .

عليهم بما يحتاجون من ضرورات الحياة من الطعام واللباس ولوازم العمل والدراسة ، فان الله ضامن رزقهم قال تعالى : ﴿ **نحن نرزقهم وأياكم** ﴾(١) .

ومن المؤسف أن لا يهتم الآباء بدين أبنائهم . فعندما تسوء صحة الولد يسارعون لعلاجه عند الطبيب ، وعندما تسوء أخلاقه فانهم يهملونه . يقصر فى بعض المواد الدراسية فيحضرون له المدرس المختص ، ويجهل الدين ويقصر بواجباته الدينية فلا يهمهم ذلك مع علمهم أن جزاء المقصرين النار . عجبا ، كيف يشاهدون أبناءهم يقبلون على النار ولا يسارعون لانقاذهم منها والله تعالى يقول :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾(٢) .

قال الله تعالى : ﴿ **وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾(٣) .

عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع »(٤) .

وقد نبه بعض العلماء الى أن الضرب ينبغى أن يكون غير مبرح (يعنى لا يترك أثرا) ، فان لم يستجب الا بالضرب المبرح تركه ولم يضربه خيفة أن يؤدى الضرب المبرح الى الهروب والكذب وكره الصلاة .

٧ ــ من أدب الاسلام أن يعامل الوالدان أولادهما بالعطف والرحمة لينشأ الأولاد على حبهما فيستجيبوا لتوجيهاتهما . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حق الولد على والده أن يحسن أدبه

(١) الاسراء : ٣١ — (٢) التحريم : ٦
(٣) طه : ١٣٢
(٤) رواه احمد وابو داود والترمذى واللفظ لأبى داود جـ ١ ص ٤٩٥/٣٣٢

ويحسن تربيته ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « رحم الله والدا أعان ولده على بره »[1] . وذلك بحسن معاملته وتربيته ، وبأن لا يطلب منه الا ما يطيق .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن الأقرع بن حابس أبصر النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن . فقال : ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انه من لا يرحم لا يرحم »[2] .

* * *

العدل بين الاولاد

لا يفرق الاسلام بين الذكور والاناث فى التربية . فلكل من الجنسين الحق فى أن يربى تربية حسنة ، وفى أن يتعلم العلم النافع ، ويدرس المعارف الصحيحة ، ويأخذ بأسباب التأديب ووسائل التهذيب لتكمل انسانيته ، ويستطيع النهوض بالأعباء الملقاة على عاتقه .

والدليل على ذلك . ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده (يعنى الذكور) عليها أدخله الله الجنة »[3] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن أدخله الله الجنة برحمته اياهن » فقال رجل : واثنتان يا رسول الله ؟

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ الهيثمى جـ ٨ ص ١٤٦ باب اعانة الولد على البر .

(٢) رواه مسلم جـ ٤ ص ٤٣/١٨٠٨ كتاب الفضائل (١٥) باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال رقم (٢٣١٨) .

(٣) رواه أبو داود جـ ٥ ص ١٣٠/٣٥٤ باب فى فضل من عال يتيما رقم الحديث (٥١٤٦) .

قال : « واثنتان » • قال رجل : يا رسول الله ، وواحدة ؟ قال : « وواحدة »[1] •

ولكى يكون زينة الحياة الدنيا ، وعملا صالحا فى الأخرى ، أوجب الاسلام على الآباء رعاية أبنائهم ، وتربيتهم تربية أساسها الدين والخلق القويم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع »[2] •

كل ذلك ليتعودوا على الطاعة والانقياد ، وأن يكون التأديب بالرفق واللين • لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرفق لا يكون فى شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه »[3] •

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم »[4] •

روى أبو حفص عمر بن أبى سلمة قال : كنت فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة — أى تدور فى نواحى طبق الطعام — فقال لى : « يا غلام ، سم الله وكل بيمنك ، وكل مما يليك »[5] •

ولكى يكون الولد ثمرة طيبة ، وذكرا حسنا ، وذخيرة عند الله تعالى ، يجب تنشئته على الآداب والفضائل ، لأن من شب على شيء شاب عليه • وقديما قال الامام الغزالى : كما أن البدن فى

---

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ، الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ١٣٧

(٢) رواه أبو داود جـ ١ ص ٣٢ رقم الحديث (٤٩٥) •

(٣) رواه مسلم جـ ٤ ص ٢٠٠٤/٤٥ كتاب البر والصلة والآداب (٢٣) باب فضل الرفق رقم (٧٨) •

(٤) رواه ابن ماجه جـ ٢ ص ١٢١١/٣٣ كتاب الادب رقم الحديث (٣٦٧١) •

(٥) رواه مسلم جـ ٣ ص ١٥٩٩/٣٦ كتاب الأشربة (١٣) باب آداب الطعام والشراب (١٠٨) •

الابتداء لا يخلق كاملا ، وانما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية والغذاء ، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال ، وانما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم ، والصبى اذا أهمل فى ابتداء نشوئه ، خرج فى الأغلب ردىء الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وكياد ، وانما يحفظ من جميع ذلك بحسن التأدب الذى يجعله متعة الحياة ، وعونا على شئونها ، وذخرا بعد الممات ، لأن الولد الصالح كله خير لأبويه فى حياتهم وبعد مماتهم[1] .

وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عند تفسيره لقوله تعالى « **يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** »[2] :

اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى ، فذلك وقاية لكم من النار .

وفى الحديث الشريف : « ان الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .

ثم لا فرق فى الحب بين الذكور والاناث ، وكذا فى العطية حتى يكونوا فى البر سواء .

وفى الأثر : « ان الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى فى القبل » .

ومثله : « ساووا بين أولادكم فى العطية » . وذلك خشية التنافس والتحاسد بين الأولاد . ويحرم على الأب أن يؤثر أحد أولاده بمنحة أو عطية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعدلوا بين أبنائكم . اعدلوا بين أبنائكم . اعدلوا بين أبنائكم » قال ذلك عندما طلبت عمرة بنت رواحة امرأة بشير بن سعد الأنصارى من زوجها

---

(1) احياء علوم الدين ــ الغزالى جـ ٣ باب واجب الآباء والمربين فى توجيه ابنائهم ص ٧٠ وما بعدها .
(2) التحريم : ٦

أن يخص ولدها النعمان بن بشير بمنحة فيهب له غلاما كان يملكه دون أخوته . وطلبت منه أن يشهد عليه رسول الله فذهب بشير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله ، ان ابنة فلان ـــ يعنى زوجته ـــ سألتنى أن أنحل ابنها غلامى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « له أخوة » ؟ قال : نعم . قال : « فكلهم أعطيت مثل ما أعطيته » ؟ قال : لا ، قال الرسول : « فليس يصلح هذا واننى لا أشهد الا على حق ، لا تشهدنى على جور ، ان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم ، كما لك عليهم من الحق أن يعدلوا لك فى البر ، اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم ، أيسرك أن يكونوا فى البر سواء » ؟ قال : نعم ، قال الرسول : « فلا آذن » ، وأمره برد العطية . فرجع بشير فى عطيته »[1] .

ان تفضيل أحد الأولاد على أخوته بشىء من المال قد منعه الشارع الحكيم ، لما يترتب عليه من مفاسد اجتماعية ، اذ يوغر ذلك صدر الأخ على أخيه . وصدر الأخت على أختها وصدريهما على أبيهما ، فتتفرق بذلك الأسر . وتشتعل نار العداوة والبغضاء بين الأهل والأقارب . وقد ورد فى الأثر : « رحم الله والدا أعان ولده على بره »[2] .

وهذا كله اذا لم يكن سبب للتفضيل بين الأولاد . فقد ذهب بعض العلماء ومنهم الحنابلة الى جواز تخصيص بعض الأولاد دون اخوانهم اذا كانوا بحاجة اليه . كالزمانة والعمى . أو كثرة العائلة أو الاشتغال بالعلم ، كما أجازوا منع عطية الولد عن بعض ولده لفسقه أو بدعته .

ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبنات خيرا ، عن

---

(١) رواه مسلم جـ ٣ ص ٣/١٢٤٢ باب كراهية تفضيل بعض الأولاد فى الهبة (١٢) .
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـــ جـ ٨ ص ١٤٦ ، باب اعانة الولد على البر .

ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليـــه وسلم قال : « ما من مسلم تدركه ابنتان ، فيحسن صحبتهما ، الا أدخلتاه الجنة »[1] .

وفى هـــذا ردع لأولئك الذين تكفهر وجوههم ، وتنتفخ أوداجهم اذا بشروا بالأنثى ، ويهجـــر البعض منهم نســـاءهم . كأنهن اللاتى خلقنهن :

قال تعالى : **« واذا بشر احـــدهم بالأنثى ظل وجهه مســـودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من ســـوء ما بشر به ، ايمسكه على هـــون ام يدسه فى التراب ، الا ســاء ما يحكمون »[2] .**

لقد حرم الاســـلام على الوالد أن ينكر ولدا ولدته زوجتـــه فى فراشـــه لأن انكاره هذا يلحق أكبر الضرر وأقبـــح العـــار بالزوجـــة والولد ، فلا يباح له الاقدام على ذلك لشك عارض ، أو وهم طارىء ، أو اشـــاعة خبيثة .

أما اذا جزم على خيـــانة امرأته للأدلـــة والقرائن ، فقـــد جعلت الشريعة له مخرجا من ذلك . فأباحت له « اللعان » وقد فصـــل ذلك القرآن الكريم فى سورة النور :

قال تعالى : **« والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شـــهداء الا انفســـهم فشـــهادة احـــدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصـــادقين . والخامســـة ان لعنة الله عليـــه ان كان من الكاذبين . ويدرؤا عنها العذاب ان تشـــهد أربع شـــهادات بالله انه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها أن كان من الصـــادقين »[3] .**

وبعد ذلك يفرق بينهما ويلحق الولد بأمه .

---

(١) الأدب المفرد ــ للبخارى ، ص ٣٠ / ٤٠ باب من عال جاريتين رقم الحديث (٧٧) .
(٢) النحل : ٥٨ ، ٥٩ (٣) النور : ٦ ــ ٩

وكما حرم على الوالد أن ينكر نسب ولده ، حرم على الولد أن ينتسب لغير نسبه ويدعى الى غير أبيه . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام »[1] ، [2] .

* * *

الأسرة والحقوق الاجتماعية

١ - الأسرة والوالدين :

فى طليعة الحقوق التى يجب أن تحرص عليها الأسرة ورجال التربية توجيه الناشئة الى حقوق الوالدين برا بهما ، واحسانا اليهما ، وطاعة لأوامرهما ووفاء بحقهما ولا سيما فى حال الشيخوخة ، قال سبحانه :

﴿ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾[3] .

(أ) وقد أعطى الاسلام للأم حق الرعاية قبل الأب ، جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، من أحق بحسن صحابتى ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أمك » ، قال : ثم من ؟ قال : « أبوك »[4] .

والاسلام لم يجعل الرعاية للأم قبل الأب اعتباطا ، ولكن لأسباب عاطفية نبيلة وأصول نفسية ، وقواعد تربوية تتصل بطبيعة العلاقة بين الولد والأم ، فالأم تعانى من حمل الولد ، وتعانى من ولادته ، وتعانى من ارضاعه ، وتعانى من القيام على أمره وحضانته ، وهو بعد فى مرحلة الطفولة أكثر مما يعانى

---

(١) رواه مسلم : ج ١ ص ٨٠ - كتاب الايمان (٢٧) باب حال ايمان من رغب عن أبيه - رقم الحديث (١١٥) .

(٢) انظر من هدى النبوة : كمال الدين الطائى ، ص ٣٨٨ وما بعدها.

(٣) الاسراء : ٢٣

(٤) رواه البخارى ، وأبو داود ، والترمذى .

الأب ، وصـــدق الله حيث قال : ﴿ **ووصينا الانسان بوالديه حملته امـه وهنا على وهن وفصاله فى عامين** ﴾(١) .

(ب) حق الـبر : وأكرم خصال بر الوالدين : امتثال أمرهمـا ، واحترام رأيهما ، والأخذ بنصيحتهما ، قالت عائشـة أم المؤمنين : أتى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم رجل معه شـيخ فانى ، فقال له : « يا هذا ، من هذا الذى معك » ؟ قال : أبى ، قال : « فلا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستسب له »(٢) .

ومن أعظم ألوان البر الدعاء لهما بعد مماتهما ، قال سـبحانه : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمـة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صـغيرا** ﴾(٣) .

وروى مالك بن ربيعة قال : بينما نحن عنـد رسول الله ، اذ جاءه رجل من بنى سـلمة ، فقال : يا رسـول الله ، هـل بقى على من بر أبوى شىء أبرهمـا به بعـد وفاتهمـا ؟ قال : « نعـم ، الصـلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما ، وصـلة الرحم التى لا توصل الا بهما »(٤) .

(جـ) وقد قدم الاسـلام حقوق الوالدين على الجهاد فى سبيل الله ، واعتبر ذلك أولى بالجهاد ، وأحق بالكفاح ، وأجـدر بالثواب ، فقد أقبـل رجل على رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقال : « أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى بهما الأجر من الله » ، فقال له النبى صلى الله عليـه وسلم : « هل من والديك أحد حى » ؟ قال : بل كلاهما . قال : « فتبتغى الأجر من الله » ؟ قال : نعم ، قال : « فارجع الى والديك فأحسـن صحبتهما »(٥) .

---

(١) لقمـان : ١٤
(٢) مجمع الزوائد : جـ ٨ ص ٢٥
(٣) الاسراء : ٢٤
(٤) رواه ابو داود رقم (٥١٤٢) ، وابن ماجه فى الأدب والصلة (٣٦٦٤)
(٥) رواه مسلم فى البر والصلة (٤٥٤٩) .

وهذا معاوية بن جاهمة يقول : إن أباه قد أتى النبى فقال : يا رسول الله ، أردت الغزو ، وجئت أستشيرك ، فقال : « هل لك من أم » ؟ قال : نعم ، قال : « الزمها فإن الجنة تحت أقدامها »[1] .

(د) وقد حذر الاسلام من عقوق الوالدين ، وعصيانهما ، والخروج على أوامرهما ، والصراخ فى وجههما ، فمن أكبر العقوق التنكر لحقهما ، والخجل من الانتساب لهما ، وعدم الانفاق عليهما ، والتضجر من مطالبهما ، فإن عاقبة ذلك وخيمة فى الدنيا والآخرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟ (ثلاثا) قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين — وكان متكئا فجلس — فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور » ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت[2] .

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » ، قال رجل : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب الآخر أباه ، ويسب أمه »[3] .

وقال معاذ بن جبل : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات ، قال : « لا تشرك بالله شيئا ، وان قتلت وحرقت ، ولا تعقن والديك ، وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ... »[4] .

٢ — الأسرة وصلة الرحم :

تعتبر صلة الرحم مظهرا من مظاهر وظائف الأسرة ، ووشيجة من وشائج التراحم والترابط ، وقد عنيت الشريعة الاسلامية بتوثيق عرى روابط القرابة العائلية ، كى يصبح هذا المظهر الكريم ركيزة فى احساس المؤمنين ووجدانهم النابض بالخير .. قال سبحانه :

---

(١) رواه أحمد ج ٣ ص ٤٢٩

(٢) رواه البخارى والترمذى ج ٦ ص ١٦٠ برقم (١٠٩٢) .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى برقم (١٩٠٣) .

(٤) رواه أحمد ج ٥ ص ٢٣٨

﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ﴾(١) . فقـد قرن سبحانه بين طلب التقوى وبين صلة الأرحام ، وتغنى فى كتـابه الكريم بهـذا الشعور الحى ، وهذه العاطفة النبيلة .

فقال تعالى : **﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ﴾(٢)** .

وما أكثر الأحاديث النبوية التى نثرها الرسـول صلى الله عليـه وسلم على طريق صـلة الرحم ، ليعلم كل عضـو فى المجتمع الاسلامى قدرها ، ويحذر من عاقبـة قطعها ، فقال عليـه الصـلاة والسـلام : « ان الله سبحانه خلق الخلق ، حتى اذا فرغ منها قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ فقالت : بلى ، قال : فذلك لك » ثم عقب رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم قائلا : « واقرأوا اذا شـئتم : **﴿ فهل عسيتم ان توليتم ان تفسـدوا فى الأرض وتقطعوا ارحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ﴾(٣)** .

وقال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، فيما يرويه عن ربه : « أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسـما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته »(٤) .

وقال سبحانه : **﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الأرض اولئك لهم اللعنـة ولـهم سوء الدار ﴾(٥)** .

ومن ثم كانت المهمة الأولى للأبوين باعتبارهما رئيسى الأسرة أن يوجها أبناءهما نحو دوافع صـلة الرحم ، لتنمو فيهم خلة الوفـاء ، وعاطفة المحبة ، ومد يد العون الى محتاجهم ، ومواساة فقيرهم .

---

(١) النسـاء : ١ (٢) الأنفـال : ٧٥
(٣) محمـد : ٢٢ ، ٢٣
(٤) رواه أبو داود فى الزكاة ــ باب صلة الرحم (١٦٩٤) .
(٥) الرعـد : ٢٥

وثمرات صـلة الرحم أكثر من أن تحصى ، ولكننا نجتزىء منها هذه الجوانب رجاء أن تقوم الأسرة بتبصـير الأبناء اياهـا ، وتلقينهم مبادئها ، ليشبوا وهم مؤمنون بها ، فصلة الرحم تزيد فى العمر ، وتوسع فى الرزق .. قال صلى الله عليـه وسلم : « من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أجله فليصل رحمه »(١) .

وقال : « الرحم متعلقة بعرش الرحمن ، تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله »(٢) .

وصلة الرحم تدفع المكروه عن الواصل ، وتحجب ميتة السوء ، قال صلى الله عليـه وسلم : « ان الصـدقة ، وصلة الرحم ، يزيد الله بهما فى العمر ، ويدفـع بهمـا ميتة السـوء ، ويصـد بهمـا المكروه المحـذور »(٣) .

وصلة الرحم تملأ الديار بالخير وتنمى الثروات .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليعمر بالقوم الديار ، ويثمر لهم الأموال ، وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم » ، قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : « بصلتهم الرحم »(٤) .

وأخرج مسـلم عن أبى هريرة أن رجـلا قال : يا رسـول الله ، ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن اليهم ويسيئون الى ، وأحلم عنهم ويجهلون على ، فقـال : « لئن كنت كمـا قلت ، فكأنما تسـفهم المـل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك »(٥) .

والمعنى : انك بصبرك على أذاهم ، وردهم بالتى هى أحسن ، فكأنك تطعمهم الرماد الحار ، وهذا كناية عن أنهم يصابون بغصة فى حلوقهم ، ويشعرون بمدى تقصيرهم وولوغهم .

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى البر (٢٥٥٧) .
(٢) انظر : تيسير الوصول جـ ٣ ص ٩
(٣) رواه أبو يعلى .
(٤) رواه الطبرانى والحاكم .
(٥) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣٢١

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافىء (أى الذى يثيب على الصلة بمثلها) ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » .

ويقول : « أفضل الصدقة : الصدقة على ذى الرحم الكاشح » — أى العدو .

وكانت الصدقة أفضل لأن فى ذلك مجاهدة للنفس وحملها على الصبر ، والاعتصام بالهدوء ، وضبط البشرية ، ومن ثم اذا حدثت هذه المجاهدة ، وتجاوزت ظلمة البشر ، وقصد بها الانسان وجه الله تعالى ، فانه يضاعف له الأجر ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ﴾(1) .

وممن عنى بقيمة صلة الرحم ، وتبيان ثوابها ، وأثرها النفسى والمادى القاضى عياض ، ومن كلامه : « الرحم التى عناها الله ورسوله ، هى الرحم التى توصل وتقطع وتبر ، انما هى معنى من المعانى ، ليست بجسم ، وانما هى قرابة ونسب ، تجمعه رحم والدة ، ويتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما ، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام ، فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها مجرد ضرب مثل ، وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك ، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها .. ولا خلاف فى أن صلة الرحم واجبة فى الجملة ، وقطيعتها معصية كبيرة .. والأحاديث فى الباب تشهد لهذا ، ولكن الصلة درجات ، وبعضها أرفع من بعض ، وأدناها ترك المهاجرة ، وصلتها بالكلام ولو بالسلام ، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فمنها واجب ، ومنها مستحب ، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل الى غايتها لا يسمى قاطعا ، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغى له لم يسم واصلا »(2) .

* * *

---

(1) الاسراء : ٢٦

(2) انظر : شرح النووى على مسلم جـ ١٦ ص ١١٢ ، ١١٣ ، وانظر أيضا : المجتمع الاسلامى وبناء الأسرة — محمد الصادق عفيفى ص١٩٧—٢٠١

مراجع الفصل الثانى

١ ـ الأخلاق الاسلامية ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى .

٢ ـ القرآن الكريم .

٣ ـ صحيح البخارى .

٤ ـ صحيح مسلم .

٥ ـ سنن الترمذى .

٦ ـ الأدب المفرد ـ للبخارى .

٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ الهيثمى .

٨ ـ الترغيب والترهيب ـ المنذرى .

٩ ـ بر الوالدين ـ عبد الرءوف الحناوى .

١٠ ـ نيل الأوطار ـ الشوكانى .

١١ ـ احياء علوم الدين ـ الغزالى .

١٢ ـ سنن أبى داود .

١٣ ـ منهاج التربية الصالحة ـ أحمد عز الدين البيانونى .

١٤ ـ المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابورى .

١٥ ـ من هدى النبوة ـ كمال الدين الطائى .

١٦ ـ علاقة الآباء بالأبناء فى الشريعة الاسلامية ـ سعاد ابراهيم صالح .

١٧ ـ أحكام القرطبى .

١٨ ـ تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا .

١٩ ـ سنن الدارقطنى .

٢٠ ـ التاج الجامع الأصول فى أحاديث الرسول .

٢١ ـ سنن ابن ماجه .

٢٢ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل .

٢٣ ـ شرح النووى على صحيح مسلم .

* * *

الفصـل الثـالث

الجهاد في سبيل الله..

● تمهيـــد :

ان الحمـــد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفســنا ومن ســيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشــهد أن لا اله الا الله وحــده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعــد ..

فان القرآن الكريم كتاب الله الخالد على مر السنين ، جمع فأوعى لم يترك أمرا من أمور الحيــاة ومشــكلاتها الا تعرض له ، وبين الحل ووضع الجواب ، اما اجمالا أو تفصيلا ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾(١) وبينما نقرأ فى القرآن من آيات العقيــدة ، ونظريات الكون والخــلق والايجاد ونطالع آيات الأخلاق والدعوة اليها والحث على التعــاون ، والبر والتقوى والرحمة والتراحم بالضعفاء والآباء وذوى الأرحام ، نقرأ بجانب هــذه الآيات : آيات الجهاد ، ومدافعة الأعداء اما للدفاع عن النفس والعقيــدة أو حمــاية الممتلكات والأوطــان وحث المؤمنين على الجهاد فى ســبيل الله بالمــال أو بالنفس أو بهما معا .

فما معنى هــذا ؟

قد تستعصى الأمور ، وتنفد الوســائل ، ويظن العدو بأنه جبار لا يستطيع مخلوق أن يرده عن صــلفه وغروره ، فلا بد اذن من مقابلة القوة بالقوة ، حتى يرتدع الفاســق ، وينزجر الظالم ..

---

(١) الأنعام : ٣٨

والشر ان تلقه بالخير ضقت به ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم

فالدفاع عن النفس مشروع فى كل القوانين والأديان بما لا يختلف فيه اثنان ، فاذا كانت آيات القرآن قد اشتملت على الجهاد فى بعض سوره فان ذلك دليل على أن المؤمن لا يقبل المذلة والهوان ، ولا بد له من أن يعيش عزيزا محترما بين الناس ، واذا أمن المسلم فى عقيدته وعبادته وحياته وممتلكاته ، فانه مسالم للجميع .. ﴿ **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** ﴾(١) .

ان الاسلام لا يرغم أحدا على الدخول فيه : ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾(٢) .

واذا كانت هناك أصوات من الغرب تدعى كذبا بأن الاسلام قام بالسيف وبنى مجده على الحروب والقتال فلنراجع تاريخ الاسلام منذ قام النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الله .

فقد ظل فى مكة يدعو الى الله ثلاثة عشر عاما يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ، لم يحمل سيفا ولم يشهر سلاحا فى وجه الكفار وتبعا لتعاليم ربه : ﴿ **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾(٣) وقوله تعالى ﴿ **فاصبر صبرا جميلا** ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** ﴾(٥) . الى غيرها من آيات الصبر والتحمل ، وهنا نجد أن الرسول تحمل الأذى وعنت قريش وكبرياءها ، لكنه كان يقرعهم بالحجة الواضحة ويسكنهم بما أوتى من فصاحة وبيان وبما ينزل عليه من القرآن . ولقى أصحابه معه ألوان الأذى والعنت من قريش على أيدى الجلادين ومنهم من لقى الله شهيدا . ثم كانت المقاطعة المشهورة التى عاش رسول الله صلى الله

---

(١) البقرة : ٢٥٦
(٢) الكهف : ٢٩
(٣) النحل : ١٢٥
(٤) المعارج : ٥
(٥) الكهف : ٢٨

عليـه وسلم وآل بيته فى عزلة تامة عن المجتمع المكى ثلاث سـنوات حتى اضطر الصحابة الى أكل أوراق الشجر ، وتعرض المسـلمون فيها للابتلاء والتمحيص ، ومروا بتغييرات نفسـية عصبية خرجوا منها أقوى ايمانا بالله ورسـوله ، ومع كل هـذا لم يؤمر المسلمون بالقتال ، وكفى بهذا ردا على هـؤلاء وأمثالهم من أعـداء الاسـلام والمتقولين عليـه زورا وبهتانا .

فلما هاجر المسـلمون الى المدينة وهاجر بعـد ذلك رسـول الله وفتح المجتمع المدنى صـدره للدعوة وصاحبها . وانتشر الاسـلام ، خاف أهل مكة على مجدهم القديم فحاولوا المرة بعـد الأخرى الهجوم على المدينة للقضاء على الدعوة الاسلامية ، وكان الدرس الأول فى غزوة بدر الكبرى حينما قضت الفئة المؤمنة القليلة على الفئة الكثيرة الباغية :

﴿ كـم من فـئة قليـلة غلبت فئـة كثـيرة بـاذن الله ﴾(١) هنا فقط أذن للمؤمنين بالقتال دفاعا عن النفس والعقيدة :

﴿ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ﴾(٢).

وكان ذلك ايذانا من الله بشرعية القتال ما دام العـدو قد تطاول الى هـذا الحـد والا خرج الأمر الى مواقف الذلة التى لا يرضـاها الله للمؤمنين وهو القائل : **﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾(٣)** .

فاذا كانت فى الاسـلام حربا فانما هى حرب دفاعية وقائية ليست حرب انتقام أو اغتصـاب أرض أو اذلال طائفة من الناس تهلك الحرث والنسـل ، وتأكل الأخضر واليـابس ، بل هى حـروب مقـدرة بالضرورة لدفع العـدوان **﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ﴾(٤)** .

(١) البقرة : ٢٤٩
(٢) الحـج : ٣٩
(٣) المنافقون : ٨
(٤) الحـج : ٤٠

اذن فالاسلام شرع الحرب على أنها وسيلة لا غاية لحل مشاكل المجتمع فى وقت كانت القوة الغاشمة هى العائق الوحيد الذى يقف أمام دعوة الحق .

وهذا مما يرد على الطاعنين فى الاسلام بأنه « دين حرب » وقام على السيف[1] .

* * *

تعريف الجهـــاد

● **تعريفه لغـة** : الأصل الاشتقاقى لمـادة هذه الكلمة : «جهاد» يرجع الى المشقة . يقال : جهدت نفسى وأجهدت ، والجهـد : طاقة ، قال الله تعـالى : ﴿ **والذين لا يجدون الا جهدهم** ﴾[2] ، [3] .

وقال صاحب القاموس : الجهد الطاقة ، ويضم المشقة ، واجهـد جهدك : ابلغ غايتك[4] .

وقال فى المغرب : الجهـاد مصـدر : جاهـدت العدو جهـادا اذا قاتلته أو بذل كل منهما جهده ـــ أى طاقته ـــ فى دفع صاحبه ، فهى صيغة مشـاركة من الجهد وهو الطاقة والمشـقة . كمـا أن القتـال مشاركة فى القتال ، ثم غلب فى الاسلام على قتال الكفار ونحوه .

وقال الراغب فى مفردات القرآن : والجهاد والمجاهدة : استفراغ الوسع فى مدافعة العدو . وتستعمل كلمة جهاد بمعناها اللغوى الأعم[5].

---

(١) انظر : الجهاد فى القرآن الكريم ـــ عطية الدسوقى عمر ، تقديم محمد متولى الشعراوى ص ٢ ـــ ٥

(٢) التوبة : ٧٩

(٣) معجم مقاييس اللغـة ـــ لابن فارس جـ ١ ص ٤٨٦

(٤) الجزء الأول ص ٢٨٦

(٥) نقلا عن آثار الحرب فى الفقه الاسلامى ص ٣٢

● **تعريفه عند الفقهـاء :**

١ ـ **الحنابلة** : مصدر جاهد : جهادا ومجاهدة من جهد اذا بلغ فى قتـل عدوه ، وشرعا قتال الكفار خاصة(١) .

٢ ـ **الحنفية** : الجهاد : غلب فى عرف الشرع على جهاد الكفار وهو دعوتهم الى الدين الحق وقتالهم ان لم يقبلوا .

وعنـد بعض الحنفية : هو بذل الوسـع والطاقة فى سـبيل الله عز وجل بالنفس والمـال واللسـان أو غير ذلك أو المبالغة فى ذلك(٢) .

٣ ، ٤ ـ **المـالكية والشافعية** : كلا منهم فى تعريفه يدور على أنه قتـال الكفار .

* * *

● **المقارنة بين التعريف اللغوى والاصطلاحى :**

١ ـ وبهذا يتبين أن المعنى اللغوى يشترك مع المعنى الاصطلاحى فى بذل الوسـع واستفراغ الجهد .

٢ ـ ويتميز التعريف الاصطلاحى لكلمة جهاد بأنه بذل الوسـع فى نصرة دين الله أو صـيانته من عبث العابثين اما بالدعـوة والبيـان واما بالسيف والسنان ، فهو بهذا الاعتبار أخص من التعريف اللغوى .

* * *

● **اهـداف الجهـاد :**

شرع الله تعالى الجهاد لاخراج الناس من الظلمات الى النور من جهة ، ولتكون كلمة الله هى العليـا من جهة ثانية ، ولحماية المسلمين من أن يفتنوا فى دينهم أو تسـتباح حرماتهم وتحتل أرضهم من جهة ثالثة ،

---

(١) مطالب أولى النهى جـ ٢ ص ٤٩٧
(٢) آثار الحرب ص ٣٣

وكل هـذه الأمور يجب أن تستمر الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولا يمكن استمرار تحقيقها الا باستمرار الجهاد فى سبيل الله .

وقـد اقتضت مشـيئة الله أن يوجـد فى الأرض حزبه وحزب الشـيطان ، وأن يكون بجانب الحق الباطل ، وأن يعيش على وجـه الأرض محقون ومبطلون ، وأن يصطرع هؤلاء وأولئك من أول الحياة الى آخرها .

قال تعالى : ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم منى هـدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النـار ، هم فيها خالدون** ﴾(1) .

فما دام فى الأرض مسـلمون ــ ولا بد أن يكونوا ــ وما دام فى الأرض كافرون ــ ولا بد كذلك أن يكونوا ــ فلا بد من وجـود الصراع بين المسـلمين والكافرين لتبـاين طبيعة الاسـلام والكفر ، فالاسـلام يصر على تحرير الناس من عبادة كل ما سـوى الله وتعبيدهم لله وحـده ، والكفر يصر على بقـاء النـاس فى الظلمـات ، بل على اخراجهم من النـور الى الظلمـات ، وتعبيـدهم لأرباب متفرقين من دون الله .

قال تعالى : ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، اولئك أصحاب النـار ، هم فيها خالدون** ﴾(2) .

وقال تعالى : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينـكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينـه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾(3).

---

(1) البقرة : ٣٨ ، ٣٩ (2) البقرة : ٢٥٧
(3) البقرة : ٢١٧

والواقع يؤيد اصرار أعداء الله على صـد النـاس عن دين الله وغدرهم بالمسلمين وعـدم الوفاء بعهـودهم لهم ، وأنه لا يجـدى فى تقويمهم الا القضـاء على رؤوس الفتنة من قادتهم واذلالهم بالجهاد فى سـبيل الله ، وهو أمر دائم ما دام فى الأرض كفر واسـلام . ولهذا كانت آخر مرحلة من مراحل الجهاد صريحة صـارمة لا تقبـل تأويلا ولا تحريفا ، كما قال تعالى :

﴿ كيف يكون للمشركين عهـد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ان الله يحب المتقين . كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ، يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون . اشـتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون . لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ، وأولئك هم المعتدون . فان تابوا وأقاموا الصـلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ، ونفصل الآيات لقوم يعلمون . وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمـان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة ، اتخشونهم ، فالله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم ﴾(١) ، (٢) .

***

● **حكم الجهـاد :**

نتقل من كتب فقهاء هـذه الأمة حكم الجهاد فى الاسلام ليتضح حكمه أمام المسـلم ليكون من ثم عاملا حسب قـدرته على العمـل ومجاهدا حسب قدرته على الجهاد ولينطرح بالتالى عذر العلمـاء غير العاملين .

---

(١) التوبة : ٧ ــ ١٥

(٢) انظر : حقيقة الجهاد فى سبيل الله وغايته فى الاسلام ــ عبد الله ابن أحمد قادورى .

قال فى « بلغة السالك لأقرب المسالك » ــ وهو على مذهب مالك : « الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله سنة .. وفرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين ويتعين (أى يصير واجبا عينيا كالصلاة) بتعيين الامام ، وبهجوم العدو على محلة قوم فيتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة .. (ولو منعهم المولى والزوج والسيد ورب الدين إن كان مدينا) ، ويتعين أيضا بالنذر ، وللوالدين منعه فى فرض الكفاية فقط ، وفك الأسير من الحربيين ان لم يكن له مال يفك فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال المسلمين »[1] .

وقال فى « المنهاج » للنووى ــ وهو على مذهب الشافعى :

« كان الجهاد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض كفاية وقيل عين .

وأما بعده فالكفار حالان :

أحدهما : يكونون ببلادهم فرض كفاية اذا فعله من فيهم من المسلمين سقط الحرج عن الباقين .

الثانى : يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن .. وان أمكن تأهب لقتال وجب الممكن على فقير وولد ومدين وعبد بلا اذن»[2].

وقال فى « المغنى » لابن قدامة ــ وهو على مذهب الحنابلة :

« الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به قوم سقط عن الباقين ويتعين فى ثلاثة مواضع :

١ ــ اذا التقى الزحفان وتقاتل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام .

٢ ــ اذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

---

(١) بلغة السالك لأقرب المسالك الى مذهب الامام مالك ــ احمد ابن محمد الصاوى المالكى ــ باب الجهاد جـ ١ ص ٣٥٤

(٢) منهاج الطالبين ــ النووى .

٣ ـ اذا استنفر الامام قوما لزمهم النفير معه »[١] .

وقال فى « المحلى » لابن حزم ـ وهو على مذهب الظاهرية :
« والجهاد فرض على المسلمين ، فاذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم فى عقر دارهم ويحمى ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين والا فلا .

ولا يجوز الا باذن الأبوين ، الا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرضه على كل من يمكنه اعانتهم أن يقصدهم مغيثا لهم .. أذن الأبوان أم لم يأذنا الا أن يضيعا أو أحدهما ، فلا يحل له ترك من يضيع بعده »[٢] .

وكل هذه التعاريف والأحكام جامعة ومانعة الا أن ابن حزم هو الأقرب الى ما نميل اليه ونأخذ به .

وقد وردت أحكام عن الجهاد وجمل واسعة وأشياء لا تحصى فى كثير من كتب الفقه الاسلامى والحديث ، لم نوردها لأن ما ذكرناه هنا كافيا ، ولم يخرج أحد من العلماء عن حدود المذكور ، والمعنى يكادون يتفقون عليه .

وهذه كما هو معلوم فريضة الجهاد فى سبيل الله ، تلك الفريضة التى فرضها الله سبحانه وتعالى وجعلها واجبة الأداء على المسلمين فى كل زمان وفى كل مكان .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن وراء فريضة الجهاد الشاقة على النفوس حكمة عظيمة فاما النصر واما الشهادة . وقد بذل المسلمون العاملون جهدهم لنيل درجة من هاتين الدرجتين . ودون التاريخ لهم ذلك وأدرك الناس خلال العهود كلها هذا منهم وتيقنوا صحة ذلك وعملوا مثل أعمالهم أو ما يقرب منها . والجهاد فى حقيقة أمره واجب على كل مسلم قادر مستطيع ليعود الانسان الى ربه ومولاه .

---

(١) المغنى ـ ابن قدامة المقدسى جـ ٨ ص ٣٤٥

(٢) المحلى ـ ابن حزم الظاهرى .

والحفاظ على الأمة الاسـلامية والحفاظ على خيراتها واجب كذلك لا يمكن بحال أن يفرط فيـه .

ان ايجاب الجهاد على كل قادر واستغلال المنصب والجاه من أجل ذلك واجب عينى يتهم كل انسـان يتهاون فى ذلك بقول الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليـل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليمـا ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير .. ﴾(1) .

من هـذه الآية ندرك خطر القعود عن الجهاد وندرك كذلك عاقبة من لم يجاهد وهـو قادر مسـتطيع متمكن . وندرك من هـذه الآية شـدة عاقبة الركون الى الدنيا وتغليبها على العمل والجهاد والدعـوة فى كل العصـور .

والجهاد فى هذا العصر أراه فرض عين على كل مسـلم لادخال الناس فى دين الله عن طريق الحكمة والموعظة الحسـنة ، ويمكن لكل مسـلم أن يجاهد فى سـبيل الله فى هـذا العصر فلا عذر لمسـلم فى ترك الجهاد .. ومتى ما كبر منصب الانسـان كان وجوب الجهاد فى حقـه أبلغ .. فانه يسـتغل سمعته وشـهرته فى الدعـوة الى الله والجهاد فى سـبيله .

وليس الاثم بسـاقط على أحـد ما دامت الأمة الاسـلامية على حالتها الراهنـة ، ولا يقتصر الجهاد على أحـد دون أحد ولا على أرض دون أرض .

ولا يمكن للاسـلام أن ينتشر الا بالجد والصـدق والاخلاص والمداومة المسـتمرة على الجهاد .

---

(1) التوبـة : 38 ، 39

ولا يمكن للعمل أن ينجح الا بالثقة التامة بالله والعمل من أجله ولعل الخطورة تكمن فى مسألة الجهاد بأنه محاط ومحدد ومجهول كذلك ولكن ما علينا فان المسلم ملهم ﴿ **واتقوا الله ، ويعلمكم الله** ﴾(1) ، (2) .

* * *

سيد المجاهدين رسول الله ﷺ

لما كان الجهاد ذروة سنام الاسلام وقبته ، ومنازل أهله أعلى المنازل فى الجنة ، كما لهم الرفعة فى الدنيا ، فهم الأعلون فى الدنيا والآخرة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذروة العليا منه ، واستولى على أنواعه كلها فجاهد فى الله حق جهاده : بالقلب ، والجنان ، والدعوة ، والبيان ، والسيف ، والسنان ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد ، بقلبه ، ولسانه ، ويده ، ولهذا كان أرفع العالمين ذكرا ، وأعظمهم عند الله قدرا .

وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه ، وقال : ﴿ **ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا** ﴾(3) .

فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار ، بالحجة ، والبيان ، وتبليغ القرآن ، وكذلك جهاد المنافقين ، انما هو بتبليغ الحجة ، والا فهم تحت قهر أهل الاسلام ، قال تعالى :

﴿ **يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم ، وبئس المصير** ﴾(4) .

فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار ، وهو جهاد خواص الأمة ، وورثة الرسل ، والقائمون به أفراد فى العالم ، والمشاركون

---

(1) البقرة : ٢٨٢

(2) انظر : الجهاد فى الاسلام بين الطلب والدفاع ـ صالح اللحيدان ص ١٤١ وما بعدها .

(3) الفرقان : ٥١ ، ٥٢ (4) التوبة : ٧٣

فيــه والمعاونون عليه ، وان كانوا هم الأقلين عــددا ، فهم الأعظمون عنــد الله قدرا .

ولمــا كان من أفضــل الجهاد قول الحق مع شــدة المعارض ، مثــل أن تتكلم به عنــد من تخاف ســطوته وأذاه ، كان للرســل — صلوات الله عليهم وســلامه — من ذلك الحظ الأوفر ، وكان لنبينا — صلوات الله عليــه — من ذلك أكمل الجهاد وأتمه[1] .

* * *

جهــاد النفس

ولمــا كان جهاد أعــداء الله فى الخارج فرعا على جهاد العبــد نفســه فى ذات الله ، كما قال النبى صلى الله عليه وســلم : « المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »[2] .

كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو فى الخارج ، وأصلا له . فانه ما لم يجاهد نفســه أولا لتفعل ما أمرت به ، وتترك ما نهيت عنه ، ويحاربها فى الله ، لم يمكنه جهاد عــدوه فى الخارج ، فكيف يمكنــه جهاد عــدوه والانتصــاف منه ، وعــدوه الذى بين جنبيه قاهر له ، متسلط عليــه ، لم يجاهده ، ولم يحاربه فى الله ، بل لا يمكنه الخروج الى عدوه ، حتى يجاهد نفسه على الخروج .

* * *

جهــاد الشــيطان

فهذان عــدوان قد امتحن العبــد بجهادهما ، وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهمــا الا بجهاده ، وهو واقف بينهما يثبط العبــد عن جهادهما ، ويخذله ، ويرجف به ، ولا يزال يخيل له ما فى جهادهما من المشــاق ، وترك الحظوظ ، وفوت اللذات ، والمشتهيات ، ولا يمكنه

---

(١) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد — ابن قيم الجوزية ص ٥
(٢) مسند الامام احمد ج ٦ ص ٢١

أن يجاهد ذينك العدوين الا بجهاده ، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما ، وهو الشيطان ، قال تعالى : **﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾(١)** .

والأمر باتخاذه عدوا تنبيه على استفراغ الوسع فى محاربته ومجاهدته ، لأنه عدو لا يفتر ، ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس ، فهذه ثلاثة أعداء ، أمر العبد بمحاربتها وجهادها ، وقد بلى بمحاربتها فى هذه الدار ، وسلطت عليه امتحانا من الله له وابتلاء ، فأعطى الله العبد مددا وعدة وأعوانا وسلاحا لهذا الجهاد ، وأعطى أعداءه مددا وعدة وأعوانا وسلاحا ، وبلا أحد الفريقين بالآخر وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلوا أخبارهم ويمتحن من يتولاه ويتولى رسله ممن يتولى الشيطان وحزبه كما قال تعالى : **﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ، وكان ربك بصيرا ﴾(٢)** .

وقال تعالى : **﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض ﴾(٣)** .

وقال تعالى : **﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ﴾(٤)** .

فأعطى عباده الأسماع والأبصار ، والعقول والقوى ، وأنزل عليهم كتبه ، وأرسل اليهم رسله ، وأمدهم بملائكته وقال لهم : **﴿ انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾(٥)** .

وأمرهم من أمره بما هو من أعظم العون لهم على حرب عدوهم ، وأخبرهم أنهم ان امتثلوا ما أمرهم به لم يزالوا منصورين على عدوه وعدوهم .

* * *

(١) فاطر : ٦
(٢) الفرقان : ٢٠
(٣) محمد : ٤
(٤) محمد : ٣١
(٥) الأنفال : ١٢

مراتب الجهـــــاد

الجهاد أربع مراتب :

١ ـ جهاد النفس ٠   ٢ ـ جهاد الشـيطان ٠

٣ ـ جهاد الكفار ٠   ٤ ـ جهاد المنافقين ٠

١ ـ جهـاد النفس :

ينقسم جهاد النفس الى أربع مراتب :

احداها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ، ودين الحق الذى لا فلاح لها ، ولا سـعادة فى معاشها ومعادها الا به ، ومتى فاتها علمه ، شقيت فى الدارين ٠

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعـد علمه ، والا فمجرد العلم بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها ٠

الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة اليـه ، وتعليمه من لا يعلمه ، والا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ، ولا ينفعه علمـه ، ولا ينجيه من عذاب الله ٠

الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشـاق الدعوة الى الله ، وأذى الخلق ، ويتحمـل ذلك كله لله ، فاذا اسـتكمل هذه المراتب الأربع ، صـار من الربانيين ، فان السـلف مجمعون على أن العـالم لا يسـتحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ، ويعمل به ، ويعلمه ، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما فى ملكوت السماوات ٠

٢ ـ جهاد الشيطان :

أما جهاد الشـيطان فمرتبتان :

احداهما : جهاده على دفــع ما يلقى الى العبــد من الشــبهات والشكوك القادحة فى الايمان •

والثانية : جهاده على دفع ما يلقى اليــه من الارادات الفاســدة والشــهوات •

فالجهاد الأول : يكون بعده اليقين ، والثانى : بعده الصبر •

قال تعالى : **« وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لمــا صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون »**(١) •

فأخبر أن امامة الدين ، انما تنال بالصبر واليقين ، فالصــبر يدفع الشهوات والارادات الفاســدة ، واليقين يدفع الشكوك والشبهات •

٣ ــ الجهاد باللســان ــ اى الدعوة :

وأما جهاد الكفار والمنافقين ، فأربع مراتب :

بالقلب ، واللســان ، والمــال ، والنفس ، وجهــاد الكفار أخص باليد ، وجهاد المنافقين أخص باللســان •

٤ ــ جهاد المنافقين والفاسقين :

وأما جهاد أرباب الظلم ، والبدع ، والمنكرات ، فثلاث مراتب :

الأولى : باليد اذا قــدر ، فان عجز ، انتقل الى اللســان ، فان عجز ، جاهــد بقلبه ، فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد ، و « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق »(٢) •

* * *

---

(١) السجدة : ٢٤

(٢) رواه مسـلم جـ ٣ ص ٤٧/١٥١٧ باب ذم من مات ولم يغز ــ رقم الحديث (١٩١٠) ، وأخرجه ابو داود (٢٥٠٢) فى الجهاد : باب كراهية ترك الغزو ، والنسائى (٣٠٩٩) فى الجهاد ــ باب التشديد فى ترك الجهاد •

اكمل الخلق فى الجهـاد

وأكمل الخلق عنـد الله ، من كمل مراتب الجهاد كلها ، والخلق متفاوتون فى منازلهم عند الله ، تفاوتهم فى مراتب الجهاد ، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسـله ، فانه كمل مراتب الجهاد ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وشرع فى الجهاد من حين بعث الى أن توفاه الله عز وجل ، فانه لمـا نزل عليه : ﴿ **يا ايها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر** ﴾(١) .

شمر عن سـاق الدعوة وقام فى ذات الله أتم قيـام ، ودعا الى الله ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، ولمـا نزل عليه : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾(٢) فصدع بأمر الله لا تأخـذه فيـه لومة لائم ، فدعا الى الله الصـغير والكبير ، والحر والعبد ، والذكر والأنثى ، والأحمر والأسود ، والجن والانس .

ولمـا صـدع بأمر الله ، وصرح لقومه بالدعوة ، وباداهم بسب آلهتهم ، وعيب دينهم ، اشـتد أذاهم لـه ، ولمن اسـتجاب لـه من الصحابة ، ونالوه ونالوهم أنواع الأذى ، وهـذه سـنة الله عز وجل فى خلقه كما قال تعالى : ﴿ **مـا يقال لك الا ما قـد قيل للرسل من قبـلك** ﴾(٣) .

وقال ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن** ﴾(٤) .
وقال : ﴿ **كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا سـاحر او مجنون . اتواصوا به ، بل هم قوم طاغون** ﴾(٥) .

فعزى الله سـبحانه نبيه بذلك ، وأن له أسـوة بمن تقدمه من المرسـلين ، وعزى اتبـاعه بقـوله : ﴿ **أم حسبتم ان تدخلوا الجنـة ولمـا ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، الا ان نصر الله قريب** ﴾(٦).

---

(١) المـدثر : ١ ـ ٤ — (٢) الحجر : ٩٤
(٣) فصلت : ٤٣ — (٤) الانعام : ١١٢
(٥) الذاريات : ٥٢ ، ٥٣ — (٦) البقرة : ٢١٤

ولما دعا صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل ، استجاب له عباد الله من كل قبيلة ، فكان أسبقها الى الاسلام أبو بكر رضى الله عنه ، فآزره فى دين الله ، ودعا معه الى الله على بصيرة ، فاستجاب لأبى بكر : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد ، وسعد بن أبى وقاص .

وبادر الى الاستجابة له صلى الله عليه وسلم صديقة النساء : خديجة بنت خويلد ، وقامت بأعباء الصديقية ، وقال لها : « لقد خشيت على نفسى » فقالت له : أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا[1] .

ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة والأخلاق والشيم ، على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا ، فعلمت بكمال عقلها وفطرتها ، أن الأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، والشيم الشريفة ، تناسب أشكالها من كرامة الله ، وتأييده ، واحسانه ، ولا تناسب الخزى والخذلان .

***

المعذبون فى الله فى صدر الاسلام

وبادر الى الاسلام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان ابن ثمان سنين ، وقيل : أكثر من ذلك ، وكان فى كفالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذه من عمه أبى طالب اعانة فى سنة محل .

وبادر زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاما لخديجة ، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها ، وكذلك أسلم القس ورقة بن نوفل ، وتمنى أن يكون جذعا اذ يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه[2] . وكذلك

---

(١) رواه البخارى ج ١ ص ٢١ ، ٢٧ فى باب بدء الوحى الى رسول الله .
(٢) اخرجه البخارى ج ٧ ص ١٠٥ فى المناقب .

يادر الى الاسلام آل ياسر فكانوا أول من عذب فى الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر بهم وهم يعذبون يقول : « صبرا يا آل ياسر ، فان موعدكم الجنة »[1] .

ومر عدو الله أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر ، وهى تعذب وزوجها وابنها ، فطعنها بحربة فى فرجها حتى قتلها فكانت أول قتيلة فى الاسلام . وكذلك أسرع وبادر الى الاسلام بلال بن رباح فعذب فى الله أشد العذاب فهان على قومه وهانت عليه نفسه فى الله ، وكان كلما اشتد عليه العذاب يقول : أحد أحد ، فيمر به ورقة بن نوفل فيقول : أى والله يا بلال ، أحد أحد ، أما والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا[2] .

* * *

الهجرة الى الحبشة

ثم بدأ عباد الله يدخلون فى هذا الدين شيئا فشيئا وقريش تشتد عليهم بالأذى لتفتنهم عن دينهم ، وهم يشكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأمرهم بالصبر الى أن اشتد البلاء ، أذن الله لهم بالهجرة الأولى الى الحبشة ، وكان أول من هاجر اليها عثمان بن عفان ، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أهل هذه الهجرة الأولى اثنى عشر رجلا ، وأربع نسوة . ثم بلغهم أن قريشا قد كفوا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فرجعوا الى مكة فرأوا أن الأمر كان كذبا فرجعوا الى الحبشة مرة ثانية وبقوا حتى رجعوا كلهم أو أكثرهم فى موقعة خيبر وأسهم لهم فيها .

* * *

---

(١) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ٢٩٣

(٢) أخرجه الزبير بن بكار فيما ذكره الحافظ فى « الاصابة » فى ترجمة ورقة عن عثمان عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عروة بن الزبير (الاصابة جـ ٣ ص ٦٣٤) .

ما لقى ﷺ فى أول الدعوة من صنوف العذاب

وقد بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة فى مكة يدعو الى الله ، يلقى فيها من ألوان العذاب ما لا يعلم الا الله ، حتى أذن الله له بالهجرة . وهى الهجرة التى فرق الله فيها بين أوليائه وأعدائه ، وجعلها مبدأ لاعزاز دينه ونصر عبده ورسوله[1] .

* * *

عرض الرسول نفسه على قبائل العرب

قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيا ، ثم أعلن فى الرابعة ، فدعا الناس الى الاسلام عشر سنين ، يوافى الموسم كل عام ، يتبع الحجاج فى منازلهم ، وفى المواسم بعكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز ، يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه ، حتى انه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ، ويقول : « يا أيها الناس ، قولوا : لا اله الا الله تفلحوا ، وتملكوا بها العرب ، وتذل لكم بها العجم ، فاذا آمنتم ، كنتم ملوكا فى الجنة » . وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فانه صابىء كذاب ، فيردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح الرد ، ويؤذونه ، ويقولون : أسرتك وعشيرتك أعلم بك ، حيث لم يتبعوك ، وهو يدعوهم الى الله ويقول : « اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا » .

قال : وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين آتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم وعرض نفسه عليهم : بنو عامر بن صعصعة ، ومحارب بن حفصة ، وفزارة وغسان ، ومرة وحنيفة ،

---

(١) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد ـ لابن قيم الجوزية جـ ٣ ص ٥ ـ ٢٥ ، الجهاد فى الاسلام ـ محمد محمود الزامينى ، ص ٩ وما بعدها .

وسـليم ، وعبس ، وبنـو النضر ، وبنـو البكاء ، وكنده ، وكلب ، والحارث بن كعب ، وعذرة ، والحضارمة ، فلم يستجب منهم أحد[1] .

* * *

اجتماعه الأول باهل يثرب ــ وهى العقبة الأولى

وكان مما صنع الله لرسـوله أن الأوس والخزرج كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث فى هـذا الزمان سـيخرج ، فنتبعه ونقتلكم معـه قتـل عاد وارم ، وكانت الأنصـار يحجون البيت كما كانت العرب تحجه دون اليهود ، فلما رأى الأنصـار رسول الله صلى الله عليـه وسلم يدعو الناس الى الله عز وجل ، وتأملوا أحواله ، قال بعضهم لبعض : « تعلمون والله يا قوم أن هـذا الذى توعدكم به اليهود ، فلا يسبقنكم اليه » .

ثم ان رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لقى عنـد العقبـة فى الموسم سـتة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج ، فدعاهم رسـول الله صلى الله عليـه وسلم الى الاسـلام فأسلموا[2] .

* * *

بيعة العقبة الثانية لأهل يثرب واشتراطهم عليه

ثم رجعـوا الى المدينة فدعوهم الى الاسـلام ، ففشا الاسـلام فيها حتى لم يبق دار الا وقـد دخلها الاسلام ، فلما كان العام المقبل ، جاء منهم اثنا عشر رجلا ، فأتمروا بينهم على أن يأخـذوا الرسـول معهم وقالوا : حتى متى يطرد رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فى جبـال مكة ويخاف ، وعرضـوا عليه الأمر فواعدهم بيعة العقبـة ، فقال له عمه العباس : يا بن أخى ، ما أدرى هؤلاء القوم الذين جاءوك ،

---

(١) اخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ من طريق الواقدى ، واخرجه احمد ج ٤ ص ٣٤١ ، ج ٣ ص ٤٩٢ من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد .

(٢) أخرجه ابن هشام فى السيرة ، جـ ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩

انى ذو معرفة بأهل يثرب ، فاجتمعنا عنـــده من رجل ورجلين فلما نظر العباس فى وجوهنا[1] . قال : هؤلاء قوم لا نعرفهم ، هؤلاء أحداث .

فقلنـــا : يا رســـول الله ، عـــلام نبايعـــك ؟ قال : « تبايعـــونى على الســـمع والطـــاعة ، فى النشـــاط والكســـل ، وعلى النفقـــة فى العسر واليسر ، وعلى الأمـــر بالمعـــروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن تقـــولوا فى الله لا تأخـــذكم لومـــة لائم ، وعلى أن تنصرونى اذا قـــدمت عليكم وتمنعونى ممـــا تمنعـــون منـــه أنفســـكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنـــة » ، فقمنا نبايعه فأخذ بيده أســـعد بن زرارة ، وهو أصـــغر الســـبعين ، فقال : رويدا يا أهـــل يثرب ، انا لم نضرب اليـــه أكباد المطى الا ونحن نعلم أنه رســـول الله ، وان اخراجه اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتـــل خياركم ، وأن تعضكم الســـيوف ، فاما أنتم صـــابرون على ذلك ، فخذوه وأجركم على الله ، واما أنتم تخافون من أنفســـكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله ، فقالوا : يا أسعد ، أمط عنـــا يدك ، فوالله لا نذر هـــذه البيعة ، ولا نســـتقيلها ، فقمنـــا اليه رجلا رجلا ، فأخذ علينا وشرط يعطينا بذلك الجنة[2] . ثم انصرفوا الى المدينـــة .

***

بعثـــه معهم مصعب بن عمير وعمر بن أم مكتوم

وبعث معهم رســـول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلمان من أســـلم منهم القرآن ، ويدعـــوان الى الله عز وجل فلم يلبثا الا قليـــلا حتى فشـــا الاســـلام وظهر فى المدينـــة ثم رجـــع مصعب الى مكة ، ووافى الموسم ذلك العـــام خلق كثير من

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ــ ابن قيم الجوزية جـ ٣ ص ٤٦ ، الجهاد فى الاسلام ــ محمد محمود الزامينى ، ص ١٦

(٢) اخرجه أحمد فى المسند جـ ٣ ص ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، والبيهقى فى السنن جـ ٣ ص ٣

الأنصار من المسلمين والمشركين ، وزعيم القوم البراء بن معرور ، فلما كانت ليلة العقبة أكدوا البيعة مرة ثانية .

* * *

أول هجرة المسلمين الى المدينة

وبدأت المسلمون بالهجرة من مكة الى المدينة بكثرة ، ولم يبق من المسلمين الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، أقاما هذان الاثنان بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما ، والا من احتبسه المشركون كرها ، وقد أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جهازه ينتظر متى يؤمر بالخروج وأعد أبو بكر جهازه ليكون فى معيته ، ثم ان المشركين أرادوا المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمه الله منهم وامتن عليه بقوله :

﴿ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾(١) .

* * *

خروج النبى مهاجرا الى المدينة

عندما أذن للرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج من مكة خرج ومعه صديقه أبو بكر الصديق ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى غار ثور ، فدخلاه ، وضرب العنكبوت على بابه .

وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثى ، وكان هاديا ماهرا بالطريق بعد خروجهما من الغار ، ولقد سارا بمشيئة الله تحرسهما عينه ، وتحيط بهما عنايته مع ما حدث فى طريقهما من الغرائب والعجائب والمعجزات التى أجراها الله على يد عبده ورسوله .

* * *

---

(١) الأنفال : ٣٠ .

وبلغ الأنصار مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة . وقصده المدينة فكانوا يخرجون كل يوم ينتظرونه أول النهار فاذا اشتد الحر رجعوا الى بيوتهم ، فلما كان يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة ، أشرق بوجهه الكريم على أبناء قبيلة الأوس والخزرج فبادروا الى السلاح يتلقونه به ، ثم انطلقت ألسنتهم جميعا بالتكبير فرحا بقدومه صلى الله عليه وسلم ، وحيوه بتحية النبوة ، وأحدقوا به مطيفين حوله ، والسكينة تغشاه ، والوحى ينزل عليه : ﴿ **فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾(1) فسار حتى نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف وأسس مسجد قباء ، وبقى فيها عدة ليال ثم سار والأنصار محدقة به لا يمر على بطن من بطونها الا أخذوا بخطام راحلته ، هلم الى العدد والعدة والسلاح والمنعة ، فقال : « خلوا سبيلها ، فانها مأمورة » فلم تزل ناقته سائرة به لا تمر بدار من دور الأنصار الا رغبوا اليه فى النزول عليهم ، ويقول : « دعوها فانها مأمورة » فسارت حتى وصلت الى موضع مسجده اليوم وبركت ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا ثم رجعت الى موضعها الأول فبركت فيه(2) .

*	*	*

بناء المسجد النبوى الشريف

وأول شيء بدأ عمله فى المدينة بناء مسجده الشريف وقد عمل فيه بنفسه صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة لغيره ، وتشجيعا لأصحابه ، ولذلك قال قائلهم : « لئن قعدنا والنبى يعمل لذاك منا العمل المضلل » . وليكون هذا المبنى رابطة هذا العقد ولتؤدى فيه

---

(1) التحريم : ٤

(2) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد ــ ابن قيم الجوزية ص ٥٨ ، ٥٩ ، الجهاد فى الاسلام ــ محمد محمود الزامينى ص ١٨

مصـالح الدنيا والآخرة ، وجامعا عاما للمسـلمين يتوادون ويتعارفون ويتعلمون ويتشاورون وينظرون فى أمورهم .

ولما استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأيده الله بنصرة المؤمنين وألف بين قلوبهم بعد العداوة والاحن التى كانت بينهم ؛ فمنعه أنصار الله وكتيبة الاسلام من الأسود والأحمر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج ، وكان أولى بهم من أنفسهم .

* * *

شدة عداوة العرب للمؤمنين

عند ذلك رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب ، والله سبحانه وتعالى يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة ، واشتد الجناح ، فأذن لهم حينئذ فى القتال ، ولم يفرضه عليهم ، فقال تعالى :
﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ﴾(١) .

ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال:
﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾(٢) .

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرما ، ثم مأذونا به ، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأمورا به لجميع المشركين .

اما « فرض عين » على أحد القولين ، أو « فرض كفاية » على المشهور ، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين ، اما فى القلب ، واما باللسان ، واما بالمال ، واما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع .

* * *

---

(١) الحج : ٣٩   (٢) البقرة : ١٩٠

● **الرباط :** هو الاقامة بالسلاح فى المكان الذى يتوقع هجوم العدو فيه للحراسة والدفاع ، وهو قسمان :

١ ـــ حراســـة الحدود لصـــد العدوان الخارجى ، وهذا ما يقوم به الجيش المنظم •

٢ ـــ حراســـة داخل البلاد وهو ما تقوم به قوى الأمن والشرطة •

● **مكان الرباط :** هو الموقع الذى يتوقع هجوم العدو عليه ، وتكون هـــذه المواقع عادة آخر الحدود الآمنة للمسلمين •

● **فضـــل الرباط :** المرابط انسان مخلص يقف على خط النار دفاعا عن المسلمين وحماية لأوطانهم ، فهو فدائى غيور يبيع نفسه لله ويشترى جنة عرضا السموات والأرض • قال تعالى : ﴿ **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن اوفى بعهـــده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم** ﴾[1] •

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى ســـبيل الله خير من ألف يوم فيما ســـواه من المنازل »[2] •

● **حكم الرباط فى سبيل الله :**

الرباط فرض كفاية فى الأحوال العادية ، واذا فعله البعض بصورة كافيـــة سقط عن بقية المســـلمين ، واذا لم يفعله أحـــد أثم الجميع ،

---

(١) التوبة : ١١١

(٢) البخارى : الجهاد ص ٧ ، ابن ماجه جـ ٢ ص ٩٢٤ فصـــل الرباط فى سبيل الله .

لأنه يتوقف عليه حماية وحراسة أرض المسلمين وأموالهم وأعراضهم ومصالحهم ، أما فى غير الأحوال العادية فهو فرض عين على القادر وهؤلاء المرابطون هم المقاتلون فى المعارك لأنهم مسلمون ومدربون ومستعدون .

● **اجر من مات مرابطا فى سبيل الله :**

المرابط مجاهد فى أخطر الأماكن وأمسها بسلامة الأمة وأمنها ، فهو فى عبادة وثواب كبير ، واذا مات فى الرباط استمر ثوابه وأجره الى يوم القيامة . وأمنه الله من الفزع يوم البعث والحشر وحرم النار عليه وأوجب له الجنة . قال صلى الله عليه وسلم : « كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله»[2] .

* * *

الشهداء

الشهيد : هو من قتل فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر .

وهو الذى يجود بنفسه فى ساحة الشرف ، والجود بالنفس هو أقصى غاية الجود كما قال الشاعر العربى مروان بن أبى حفصة :

يجود بالنفس اذ ضن الجواد بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومفهوم الشهادة يتسع ليشمل من يموت فى حالة دفاع عن دينه وعرضه وشرفه كما جاء ذلك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) رواه أبو داود والترمذى ــ الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣٦٦
(٢) رواه أحمد فى المسند وغيره ، الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣٧٣

« من قتل دون ماله فهو شـــهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شـــهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »[1] .

ومن الشـــهداء شهداؤنا فى معـــارك التحرير فى حرب رمضـــان وما قبلها وما بعـــدها ، لقد أدوا واجبهم واســـتعذبوا الموت فى سبيل الله ولفظوا أرواحهم وجادوا بحياتهم دفاعا عن أوطانهم وأمتهم فلهم جزاء الله فى الجنـــة وثوابه فى الآخرة .

● **حكم الشـــهداء** : لا يغسل الشهداء ولا يكفنون بل تترك عليهم ثيابهم وينزع عنهم الأشياء التى لا تصلح للكفن كالفرو أو الدرع ، كما ينزع عنهم أدوات الحرب لينتفع بها غيرهم ، ولا يصلى على الشـــهداء اكتفاء بشرف الشـــهادة عنـــد جميع الأئمة عـــدا الحنفية فانهم قالوا : يصلى على الشـــهيد

● **فى حكم الشـــهداء** : عـــد عليـــه الصـــلاة والســـلام أقواما وأخبر أنهم من الشـــهداء ، ومن هـــؤلاء الذين ماتوا بالطـــاعون من غير فرار منه ، ومنهم الذين ماتوا غرقى أو حرقى أو ماتوا بمرض البطن أو الصدر ، ومنهم المرابطـــون فى ســـبيل الله .

● **ثـــواب الشـــهداء** : الشهداء عادة أكرم الناس نفوسا وأخلصهم قلوبا ، انهم يحملون أرواحهم على أكفهم ويجودون بها فى ســـبيل الله رخيصة عليهم غاليـــة فى موازين الحق ، ولذلك يهبهم الله الخلود فى حيـــاة برزخية أبدية .

قال الله تعالى : **﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى ســـبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾(٢)** .

ومن ثواب الشـــهداء ما يأتى :

١ ـــ الشهيد فى الفردوس الأعلى من الجنة تسبح روحه حـــول

---

(١) الترمذى جـ ٤ ص ٣٠
(٢) البقرة : ١٥٤

العرش وتأوى الى قناديل من نور ، ولها أعظم المنازل عند الله وفى جواره وفضله ، وقال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليما** ﴾(1) .

٢ — جراح الشهيد تأتى يوم القيامة وهى وسام على صدره تطفح دما ، لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك .

٣ — الشهداء أحياء عند الله ، يتمتعون بنعيم الجنة ، ويكافأون بأرفع المنازل فى جنات عدن عند مليك مقتدر . وقد تكفل الله أن ينقل أخبار الشهداء الى المؤمنين بيانا لفضل الشهادة وترغيبا للعمل من أجلها ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ثم تأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا يتكلوا عند الحرب ، فقال الله : أنا أبلغهم فأنزل الله قوله :

﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون** ﴾(2) .

٤ — الشهادة فى سبيل الله سنام العمل الصالح وذروة الأعمال الكريمة وأفضل المآثر والأمجاد ، وهى أحسن ما يلقى به العبد ربه وأكرم تاج يحمله صاحبه وأبقى ذكرى وأخلد عملا(3) .

---

(1) النساء : ٦٩ ، ٧٠ . (2) آل عمران : ١٦٩

(3) انظر : الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى — عبد الله شحاتة ص ١٤٧ — ١٥٠

الاســلام رسالة وفكرة وعقيدة ومنهج ، وقد اهتم ببناء الانسان وتكوينه كما عنى ببث الروح المعنوية العاليـة والفكرة السليمة والهدف الواضح ، لقـد زين الايمان فى قلوب المؤمنين ووضح دعائمه وآدابه ورسـم للأمة طريق النصر . وأعدها للقتال اعدادا سليما .

ومن وسائل الاعداد اتباع الدعائم الآتية :

١ ـ الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

لقد كان الايمان حجر الأســاس فى تحول العرب من حفاة بداة متخلفين الى أمة متحضرة مؤمنة متعاونة تؤمن بالله ربا وبالاسلام دينـا وبمحمد رسـولا وتتبع أحكام هـذا الدين فى اقامة الصـلاة ، وايتاء الزكاة والصيام والحج ، ثم تتسـابق الى ميدان القتـال طلبا للشهادة وأملا فى ثواب الآخرة ، ولا زال العـامل البشرى من أهم العـوامل الحاسمة فى المعركة ، وقـد أثبتت حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م (الموافـق ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ) أهمية هذا العامل ، فقـد تسابق الرجال يعبرون القنـاة ويجتازون خط بارليف ، ويسـتعذبون الموت فى سبيل الله ، حتى حطمـوا أسـطورة جيش الدفاع الاسرائيلى بأنه الذى لا يقهر ، وأثبتوا أن الايمان عامل حاسم من أهم عوامل النصر .

٢ ـ اعداد العدة وتجهيز أدوات القتال والتدريب عليها واستخدام أحـدث الأسلحة ، وبذل المـال الكافى لشراء السـلاح الحاسـم فى المعـركة ، قال تعـالى : ﴿ **واعدوا لهم ما استطعتم من قـوة** ﴾(١) أى أقصى ما نستطيع من قوة للدفاع عن أوطاننا وديننا ، وهـذه القوة تكون فى كل عصر بما يناسـبه ، فمن هذه القـوة تزويد الأمة بمختلف أدوات الحرب الحديثة من مدافع وبوارج وطائرات ومصفحات وصواريخ وقنابل وغير ذلك .

---

(١) الأنفال : ٦٠.

كذلك يجب على المسلمين أن يتعلموا الفنون التى يتوقف عليها صنع هذه المعدات لأن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

٣ — وحدة الصف ، وتماسك طوائف الأمة ، وترابط المقاتلين والمجاهدين . قال الله تعالى : **﴿ أن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾(١)** .

٤ — البعد عن أسباب الخلاف والنزاع ، فان يد الله مع الجماعة . قال الله تعالى : **﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، ان الله مع الصابرين ﴾(٢)** .

٥ — الثبات فى الميدان وطاعة الله والتزام أوامره والبعد عن معاصيه . قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾(٣)** .

٦ — الصبر على المكاره وتحمل تبعات الحرب وتكاليف الجهاد . قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾(٤)** .

٧ — عدم تصديق الاشاعات والأراجيف ومحاولة بث اليأس والقنوط ، والقضاء على أساليب العدو ، وعلى الحرب النفسية التى يشنها رغبة منه فى تثبيط الهمم والتيئيس من النصر . قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾(٥)** .

٨ — الحذر واليقظة وعدم الاستهانة بالعدو . قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ﴾(٦)** .

---

(١) الصف : ٤
(٢) الأنفال : ٤٦
(٣) الأنفال : ٤٥
(٤) آل عمران : ٢٠٠
(٥) الحجرات : ٦
(٦) النساء : ٧١

٩ ــ طاعة القائد وتنفيذ الأوامر والمحافظة على الضبط والنظام •

قال تعـــالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾(١) •**

١٠ ــ عدم الفرار من الميدان والاستماتة فى القتـــال حتى النصر أو الشهادة ، وأن الشجاعة صبر ساعة ، ورب ثبات لحظات يحول المعركة من هزيمة الى نصر ، ولذلك حرم الله الفرار من المعركة • قال تعـــالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار • ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم ، وبئس المصير ﴾(٢) •**

١١ ــ الثقة بأن النصر من عند الله وأن على المؤمن أن يعد العدة وأن يأخذ فى الأسباب ثم يتوكل على الله **﴿ وما النصر الا من عند الله ﴾(٣) •**

١٢ ــ الثبات فى المحنة والهزيمة ، والثقة بأن مع العسر يسرا ومع الشدة فرجا • وتقبل الهزيمة بروح المتوثب للثأر الواثق بأن الأيام دول يوم لك ويوم عليك • قال تعالى : **﴿ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾(٤) ، (٥) •**

* * *

الأحاديث الواردة فى فضـــل الجهاد

● حرص الصحابة على معرفة أفضل الأعمال وممارستها :

لقد كان أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم لشدة حرصهم على الاكثار من طاعة الله والاستزادة منها ــ يسألون رســـول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال التى ترضى ربهم عنهم ، فيجيبهم على

---

(١) النساء : ٥٩ (٢) الأنفال ١٥ ، ١٦
(٣) الأنفال : ١٠ (٤) آل عمران : ١٤٠
(٥) الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى ــ عبد الله شحاتة ص ١٤٣ــ١٤٥

أسـئلتهم ، وقـد تختلف اجابته من شـخص الى آخر ، أو من حالة لأخرى ، اذ أن السـائل قد ينقصـه أداء عمل من الأعمال الصالحة ، فيذكره الرسول صلى الله عليـه وسلم حثـا له على أدائه ، وقد يكون المقام يقتضى أداء عمـل آخر من الأعمال الصالحة ، لحاجة المسـلمين اليـه ، فيذكره صلى الله عليـه وسلم فى اجابته حضا على القيام به .. وهكذا .

سـأل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الرسـول صلى الله عليه وسلم ، كما روى ذلك هو قال : سـألت رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم قلت : يا رسـول الله ، أى العمـل أفضل ؟ قال : « الصـلاة لوقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سـبيل الله » فسكت رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ولو استزدته لزادنى[1] .

فقد جعل رسـول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد فى هذا الحديث فى الدرجة الثالثة بعد حقه سبحانه وتعالى ، وحق الوالدين .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقال : دلنى على عمل يعدل الجهاد ، قال : « لا أجـده » ، قال : « هل تسـتطيع اذا خرج المجـاهد أن تدخل مسجدك ، فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر » ؟ قال : ومن يسـتطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : ان فرس المجاهد ليستن فى طوله فيكتب لـه حسـنات[2] .

هذا الصحابى السائل ـــ كان يعلم فضـل الجهـاد ـــ فأراد ـــ والله أعلم ـــ أن يدله الرسول صلى الله عليـه وسلم على عمل يساويه

---

(1) رواه البخارى جـ ٢ ص ٧ ، ٨ فى مواقيت الصلاة ـــ باب فضل الصلاة لوقتها ، ومسلم جـ ١ ص ٨٩ فى الايمان ـــ باب كون الايمان بالله أفضل الأعمال .

(2) رواه البخـارى رقم (٢٧٨٥) ، وفتح البـارى جـ ٦ ص ٤ ، ومسـلم جـ ٣ ص ١٤٩٨

يستطيع المداومة عليه فى غير وقت الحرب • أو أنه اذا عجز عن مباشرة الجهاد الذى علم فضله يأتى بالعمل الذى يعدله وهو يقدر عليه ، وفى كلتا الحالتين هو يدل على حرص الصحابة رضى الله عنهم على زيادة العلم بالأعمال التى لها فضل كبير ليزاولوها وينالوا من الله ثوابها •

وقد أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بجوابين ، كل منهما يدل على فضل الجهاد العظيم •• الجواب الأول : قوله : « لا أجده » ، أى لا أجد عملا يعدل الجهاد وهو واضح فى أفضلية الجهاد على ما سواه من الأعمال •

الجواب الثانى : قوله : « هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر » ؟ وهذا الجواب كذلك يدل على أفضلية الجهاد على ما سواه من الأعمال ، لأن القيام المستمر الذى لا فتور معه ، والصيام المتواصل الذى لا افطار معه غير مستطاعين ، كما أجاب بذلك السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن يستطيع ذلك ؟ وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الجواب • وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن اجهاد النفس فى القيام والوصال فى الصيام ، وانما أراد أن يبين للسائل أن الاستمرار فى القيام بالأعمال الصالحة مجتمعة — لو كانت مستطاعة — قد تعدل الجهاد ، وفى هذا ما فيه من بيان فضل الجهاد فى سبيل الله •

قال الحافظ : « وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد فى سبيل الله تقتضى ألا يعدل الجهاد شىء من الأعمال » وقال أيضا : « قال القاضى عياض : اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد ، لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد ، حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « لا تستطيع ذلك »[1] •

---

(١) فتح البارى جـ ٦ ص ٥

يضـــاف الى ذلك تعقيب أبى هريرة رضى الله عنـــه : « ان فرس المجاهد ليستن فى طوله فيكتب له حسنات » والظاهر أن القاضى عياض يشـــير الى هذا بحالات المجاهد وتصرفاته المباحة .

وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : قال قيل : يا رسول الله ، أى الناس أفضـــل ؟ فقال رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم : « مؤمن يجاهد بنفسه ُوماله » قالوا : ثم من ؟ قال : « مؤمن فى شعب من الشـــعاب يتقى الله ويدع الناس من شره »[1] .

وفى هذا الحديث ــ كذلك ــ يبدو حرص الصحابة على التنافس فى الأعمال الصالحة التى هى أحب الى الله ، والســـؤال هنا عن أفضل الناس ، ولا يكون أفضـــل الناس الا اذا أتى بأفضـــل ما يحبـــه الله ورسوله ، واجابة الرسول صلى الله عليـــه وسلم واضـــحة فى تعظيم الجهاد فى ســـبيل الله حيث جعل المؤمن المجاهد هو أفضل الناس بخلاف المؤمن المتقى الذى قصر نفســـه على نفســـه ، أى أن أعماله الصـــالحة لا تتعداه الى غيره فانه جاء فى الدرجـــة الثـــانية ، ثم ان هـــذا المؤمن المتقى الذى انزوى فى شعب من الشعاب لا يكون له هـــذه الدرجـــة الثانية الا اذا كان لا بد من الانزواء مثل أن يكون الزمن زمن فتنـــة بين المســـلمين[2] .

وفى حديث عائشـــة رضى الله عنها ، قالت : يا رســـول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : « لكن أفضل الجهاد ، حج مبرور »[3] .

فى هذا الحديث دلالة واضحة على فضـــل الجهـــاد وتعظيمه من وجوه .. الوجه الأول : تطلع النساء الى ما سبقهن به الرجال من هـــذا

---

(١) صحيح البخارى رقم (٢٢٨٦) ، فتح البـــارى جـ ٦ ص ٦ ، وصحيح مسلم جـ ٣ ص ١٠٥٣

(٢) انظر : فتح البارى جـ ٦ ص ٧

(٣) صحيح البخارى (٢٧٨٤) ، فتح البارى جـ ٦ ص ٤

الفضل . الوجه الثانى : قول عائشــة رضى الله عنها : نرى الجهاد أفضل العمل ، واقرار الرســول صلى الله عليــه وسلم لقــولها . الثالث : قوله صلى الله عليــه وســلم : « لكن أفضــل الجهاد حج مبرور » فيكون الحج أفضل الجهاد بكونه للنساء لقوله : «لكن» وفى هذا زيادة تأكيد لكون الجهاد أفضــل الأعمال لغير النساء .

وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى السفر ، فمنا الصــائم ومنا المفطر ، قال : فنزلنــا منزلا فى يوم حار ، أكثرنا ظلالا صــاحب الكســاء ، ومنا من يتقى الشمس بيده ، قال : فسقط الصوام وقام المفطرون ، فضربوا الأبنية وســقوا الركاب ، فقال رسول الله صلى الله عليــه وســلم : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر »(1) .

ويظهر فى هذا الحديث فضــل من قام بالخــدمة فى الغزو وهو مفطر ، على من صــام وعجز عن الخدمة لمشقة الصوم .

قال الحافظ رحمه الله : « الأجر » أى الوافر ، وليس المراد نقص أجر الصــوم بل المراد أن المفطرين حصل لهم أجر عملهم ومثــل أجر الصوام لتعاطيهم أشــغالهم وأشغال الصوام ... الى أن قال : « قال ابن أبى صفرة : فيــه أن أجر الخدمة فى الغزو أعظم من أجر الصيام . قلت : وليس ذلك على الصــوم »(2) .

قال الباحث : هو كذلك فى كل حالة تشــبه هذه الحالة : من قام بأعمال الغزو كان أفضل ممن قام بعبــادة لازمة شغلته عن عمل الغزو ، لأن الجهاد أفضل العمل لا ســيما فى مثل هــذا الوقت الذى يكون المسلمون أحوج فيــه الى التعاون فى أعمال الجهاد . والله أعلم .

* * *

---

(1) صحيح البخارى (٢٨٩٠) ، فتح البارى جـ ٦ ص ٨٤ ، صحيح مسلم جـ ٢ ص ٧٨٨

(2) فتح البارى جـ ٦ ص ٨٤

● **درجات المجاهدين :**

فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من آمن بالله ورسـوله وأقام الصـلاة وصـام رمضان ، كان حقا على الله أن يدخله الجنـة ، جاهـد فى سـبيل الله أو جلس فى أرضـه التى ولد فيها » •• فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : « ان الجنـة مائة درجـة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السـماء والأرض ، فاذا سـألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسـط الجنة وأعلى الجنة »[1] •

بين الرسـول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث حـدا أدنى يقف عنده من أراد دخول الجنة غير منافس فى درجاتها العلى ، وهو أن يؤمن بالله ورسوله ويقيم الصـلاة ويصوم رمضان ، ولو لم يجاهد فى سـبيل الله ، وحدا أعلى لمن طمحت نفسـه الى الفردوس والمنافسة فى الدرجات العـلى •

وعندما سمع الصحابة رضى الله عنهم الشـق الأول من الحديث فرحوا به وطلبوا من الرسـول صلى الله عليـه وسلم أن يأذن لهم بأن يبشروا الناس بذلك ، فانتقل بهم الى ما هو أعظم وأفضـل ، وهو بيان درجات المجاهدين التى لا ينالها غيرهم من الصنف الأول •

وليس فى الحديث تسوية بين الجهاد وعدمه ، كمـا توهم بعض العلماء من قوله صلى الله عليـه وسلم : « جاهد فى سـبيل الله أو جلس فى أرضـه التى ولد فيها » بل فيه أن أصـل دخول الجنة مضمون له جاهد أو لم يجاهد ، وهـذا هو الحد الأدنى كما مضى ، أما الحـد الأعلى فقد ذكره بقوله : «إن فى الجَنة مائة درجة ••••» (الحديث) ، وهـذه علة لترك التبشـير أى لا تبشروهم بما سـبق ليتجاوزوه الى الأفضل وهو أن فى الجنة مائة درجة ••• الخ •

---

(١) صحيح البخارى رقم (٢٧٩٠) ، وفتح البارى جـ ٦ ص ١١

كما بين ذلك الحافظ مستدلا برواية الترمذى ونصها : قلت يا رسول الله ، ألا أخبر الناس ؟ قال : « ذر الناس يعملون ، فان الجنة مائة درجة » . قال الحافظ : فظهر أن المراد : لا تبشر الناس بما ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزه الى ما هو أفضل منه من الدرجات التى تحصل بالجهاد[1] .

* * *

● **الجنة تحت ظلال السيوف :**

عن عبد الله بن أبى أوفى : فكتب الى عمر بن عبيد الله ، حين سار الى الحرورية يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو ، ينتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال : « يا أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية . فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « اللهم منزل الكتاب . ومجرى السحاب . وهازم الأحزاب . اهزمهم وانصرنا عليهم »[2] .

وأى فضل أكبر من هذا الفضل ؟ يصول المجاهد ويجول فى حومة الوغى وهو يعلم أنه يتجول فى عرصات الجنة تحت ظل سيفه وسيف عدوه ، وما أن يسقط فى هذه الأرض حتى يرى مقعده فى الجنة وتظله الملائكة .

* * *

● **فضل الشهداء وكرامتهم :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انتدب لمن خرج فى سبيله ، لا يخرجه الا ايمان بى وتصديق

---

(١) فتح البارى جـ ٦ ص ١٢

(٢) رواه مسلم جـ ٣ ص ١٣٦٢/٦ باب كراهة تمنى لقاء العدو — رقم الحديث (٢٠) .

يرسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة وأدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل »[1] .

— وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الأرض من شىء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة »[2] .

فالمجاهد — كما يظهر من حديث أبى هريرة — رابح على كل حال ، انتصر على عدوه فعاد الى بيته غانما مأجورا ، أم استشهد فدخل الجنة ، وهذه الأخيرة هى الكرامة التى ميز الله بها الشهيد حيث لا يتمنى أحد غيره أن يحييه الله حياة أهل الدنيا ويخرجه من الجنة ليعود الى الدنيا ليقاتل فى سبيل الله فيقتل مرارا لما رأى من الخير العظيم المترتب على الشهادة فى سبيل الله لا بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود الذى ما كان يقعد خلف سراياه الا اشفاقا على أمته بأن تكلف نفسها الخروج فى كل سرية مثله فيشق ذلك عليها ، أنه صلى الله عليه وسلم ليتمنى أن يقتل ثم يحيا ثم يقتل فى سبيل الله حبا فى كرامة الشهداء عند الله . قال الحافظ : قال ابن بطال : هذا الحديث (حديث أنس) أجل ما جاء فى فضل الشهادة[3] .

* *

● أى شىء نشتهى :

عن مسروق . قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية :

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦) ، فتح البارى جـ ١ ص ٩٢ ، ومسلم جـ ٣ ص ١٤٩٧

(٢) رواه البخارى رقم (٢٨١٧) ، فتح البارى جـ ٦ ص ٣٢ ، ومسلم جـ ٣ ص ١٤٩٧

(٣) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٣

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾(١) . قال : أما انا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم فى جوف طير خضر . لها قناديل معلقة بالعرش . تسرح من الجنة حيث شاءت . ثم تأوى الى تلك القناديل . فاطلع اليهم ربهم اطلاعة . فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أى شىء نشتهى ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات . فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب ! نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا »(٢) .

* * *

● **وانه فى جنة الفردوس :**

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبى الله ، ألا تحدثنى عن حارثة — وكان قتل يوم بدر — أصابه سهم غرب — فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء . قال : « يا أم حارثة ، انها جنان فى الجنة ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى »(٣) .

* * *

● **اللون لون الدم والريح ريح المسك :**

حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) آل عمران : ١٦٩

(٢) رواه مسلم جـ ٣ ص ٣٣/١٥٠٢ باب بيان ارواح الشهداء فى الجنة — رقم الحديث (١٢١) .

(٣) فتح البارى — ابن حجر العسقلانى جـ ٦ ص ١٤/٢٦ باب من اتاه سهم غرب فقتله .

أنه قال : « كل كلم يكلمه المسلم فى سبيل الله ، ثم تكون يوم القيامة كهيئتها اذ طعنت تفجر دما . اللون لون الدم والريح ريح المسك »[1] .

***

● **ينطلقون فى الغرف العلى فى الجنة :**

عن نعيم بن همار الغطفانى رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الشهداء أفضل ؟ قال : « الذين يلقوا فى الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك ينطلقون فى الغرف العلى فى الجنة ، ويضحك اليهم ربهم ، واذا ضحك ربك الى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه »[2] .

***

● **يعطى الشهيد ست خصال :**

عن قيس الجذامى — رجل كانت له صحبة — قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه : يكفر عنه كل خطيئة ، ويرى مقعده فى الجنة ، ويزوج من الحور العين ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويحلى حلة الايمان »[3] .

وقال الحافظ : وروى ابن ماجه من طريق شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال : ذكر الشهيد عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجاته من الحور العين ، وفى يد كل واحدة منهن حلة خير من الدنيا وما فيها » ، ولأحمد والطبرانى من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا : « ان للشهيد عند الله

---

(١) رواه مسلم جـ ٣ ص ١٠٦/١٤٩٧ ، البخارى رقم (٢٣٧) ، فتح البارى جـ ١ ص ٣٤٤

(٢) مسند الامام أحمد جـ ٥ ص ٣٨٧

(٣) مسند الامام أحمد جـ ٤ ص ٢٠٠ ، قال البنا فى الفتح الربانى جـ ١٣ ص ٣٠ : أخرجه ابن سعد وسنده جيد .

سبع خصال » ، فذكر الحديث وفيه : « ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » (اسناده حسن ، وأخرجه الترمذى من حديث المقدام ابن معد يكرب ، وصححه)[1] .

* * *

● **لا يفضله النبيون الا بدرجة النبوة :**

عن عتبة بن عبد السلمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القتلى ثلاثة : مؤمن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله اذا لقى العدو قاتل حتى قتل » . قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه : «فذلك الشهيد الممتحن فى خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون الا بدرجة النبوة ، ومؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله اذا لقى العدو قاتل حتى يقتل » ، قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه : « مصمصة محت ذنوبه وخطاياه ، ان السيف محاء للخطايا وأدخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء ، ومنافق جاهد بنفسه وماله اذا لقى العدو حتى قتل فذاك فى النار ، ان السيف لا يمحو النفاق» . قال عبد الله : يقال للثوب اذا غسل : مصمص[2] .

* * *

● **تظله الملائكة باجنحتها :**

عن ابن المنكدر قال : سمعت جابرا قال : لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينهونى والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينه ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تبكيه — أو ما تبكيه — ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع »[3] .

* * *

---

(١) فتح البارى ج ٦ ص ١٥ ، ١٦

(٢) سنن الدارمى ج ٢ ص ٢٠٦ باب فى صفة القتل فى سبيل الله ، والطيالسى ج ١ ص ٢٣٤ ، وابن حبان : موارد الظمآن ص ٣٨٨ ، والبيهقى ج ٩ ص ١٦٤

(٣) رواه البخارى ج ٥ ص ٣٩ باب من قتل من المسلمين يوم أحد، فتح البارى ج ٧ ص ٢٧٤

● **رضى الله عنهم وارضاهم :**

عن أنس بن مالك قال : جاء ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة . فبعث اليهم سبعين رجلا من الأنصار . يقال لهم القراء . فيهم خالى حرام يقرءون القرآن . ويتدارسون بالليل يتعلمون . وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد . ويحتطبون فيبعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة . وللفقراء . فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم اليهم . فعرضوا لهم فقتلوهم . قبل أن يبلغوا المكان . فقالوا : « اللهم ! بلغ عنا نبينا ، انا قد لقيناك فرضينا عنك . ورضيت عنا » . قال : وأتى رجل حراما — خال أنس — من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه ، فقال حرام : فزت ، ورب الكعبة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ان اخوانكم قد قتلوا . وانهم قالوا : اللهم ! بلغ عنا نبينا ، انا قد لقيناك فرضينا عنك . ورضيت عنا »[1] .

***

● **افضل الدور واحسنها (دار الشهداء) :**

عن سمرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيت الليلة رجلين أتيانى فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قالا : أما هذه الدار فدار الشهداء »[2] .

***

● **الأوسمة النبوية للمجاهدين (سيف من سيوف الله) :**

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرة

(١) رواه مسلم جـ ٣ ص ٤١/١٥١١ باب ثبوت الجنة للشهيد — رقم الحديث (١٤٧) .

(٢) رواه البخارى جـ ٣ ص ٢٠٢ باب درجات المجاهدين فى سبيل الله .

ففتــح له » وقال : « ما يسرنا أنهم عنــدنا » قال أيوب : أو قــال :
« ما يسرهم أنهم عنــدنا » وعيناه تذرفان[1] .

اذا كان من يسمونهم بالقواد العظام من عباد الدنيا والطغاة والجاه والثناء يستبسلون فى بعض المعارك مع أعدائهم لينالوا رتبا عســكرية أو تخلد ذكراهم ــ كما يقولون ــ باطلاق أسمائهم على بعض الشوارع فى المدن أو غير ذلك مما يرونه تكريما لهم ، فان المجاهد المسلم ينال أشرف ثناء وينال أعلى الأوســمة الالهية والنبوية ، ثناء صــدق ووسام شرف ، وها هو أحــد أبطال الاســلام وقادته العظام حقا ، ينال هذا اللقب النبوى الخالد على مدى الدهر « سيف من ســيوف الله » فاذا ذكره المســلمون على ألسنتهم لم يذكروا اســمه وانما يذكرون هــذا اللقب الذى ألزمه الله به على لســان رســوله صلى الله عليــه وسلم ، فيقولون : ســيف الله خالد ، ولو لم يكن خالد رضى الله عنه أبلى فى ســبيل الله بلاءا حســنا وقاد جيوش الاســلام للجهاد فى ســبيل الله لمــا حاز هذا الشرف وما نال هذا الوســام الالهى العظيم .

* * *

● **يا ابن ذى الجناحين :**

وينتقل المجاهد الى جوار ربه وينال رضوانه وينال أقاربه التكريم من أجله . وقــد كان ابن عمر رضى الله عنهما اذا ســلم على ابن جعفر قال له : « الســلام عليك يا ابن ذى الجناحين »[2] .

بعد أن هنأه الرســول صلى الله عليه وسلم باستشهاد أبيه وما ناله من تكريم الله له بقوله : « هنيئا لك ، أبوك يطير مع الملائكة فى السماء » ، قال الحافظ : أخرجه الطبرانى باســناد حســن .

وعن أبى هــريرة رضى الله عنــه : أن رســــول الله صــلى الله عليــه وســلم قال : « مر بى جعفر الليــلة فى ملأ من الملائكة ، وهو

---

(1) رواه البخارى جـ ٣ ص ٢٠٣ باب تمنى الشهادة .
(2) صحيح البخارى رقم (٣٧٠٩) ، فتح البارى جـ ٧ ص ٥٧

مخضب الجناحين بالدم » (أخرجه الترمذى والحاكم باسناد على شرط مسلم) ، وأخرج أيضا هو والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا : « دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر يطير مع الملائكة » وفى طريق آخر عنه : « أن جعفر يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه » ، واسناد هذه جيد وطريق أبى هريرة فى الثانية قوى اسناده على شرط مسلم[1] .

* * *

● **كانت تزفر لنا القرب يوم احد :**

عن ثعلبة بن أبى مالك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قسم مروطا بين نساء من نساء أهل المدينة ، فبقى منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : « يا أمير المؤمنين ، أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التى عندك — يريدون أم كلثوم بنت على — فقال عمر : أم سليط أحق به ، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : فانها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد[2] .

* * *

● **الثناء على القوم بكثرة شهدائهم :**

عن قتادة قال : ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهيدا أعز يوم القيامة من الأنصار ، قال قتادة : وحدثنا أنس بن مالك أنه قتل منهم يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون . قال : وكان بئر معونة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويوم اليمامة على عهد أبى بكر يوم مسيلمة الكذاب[3] .

* * *

(١) فتح البارى ج ٧ ص ٧٦

(٢) فتح البارى ج ٧ ص ٣٦٦ ، صحيح البخارى رقم (٤٠٧١) .

(٣) صحيح البخارى رقم (٤٠٧٨) ، فتح البارى ج ٧ ص ٣٧٤

● **وكذلك من شهد بدرا من الملائكة :**

عن رافع الزرقى قال : جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » — أو كلمة نحوها — قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة(1) .

الملائكة الذين اشتركوا فى معركة بدر مع المسلمين خيار الملائكة ، كما أن الصحابة الذين شهدوها خيار المسلمين كما ورد ذلك صريحا فى بعض الروايات ، سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم : كيف أهل بدر فيكم ؟ قال : « خيارنا » قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة هم خيار الملائكة(2) . فالمجاهدون من الملائكة أفضل من سواهم .

* * *

● **خير من الدنيا وما فيها :**

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » . وفى رواية من حديث أبى هريرة : « لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب »(3) .

* * *

● **أمن دائم ورزق مدرار وعمل صالح مستمر :**

عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها . وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها »(4) .

---

(1) صحيح البخارى رقم (٣٩٩٢) ، فتح البارى جـ ٧ ص ٣١١
(2) فتح البارى جـ ٧ ص ٣١٣
(3) صحيح البخارى رقم (٢٧٩٢) ، فتح البارى جـ ٦ ص ١٣
(4) صحيح البخارى رقم (٢٨٩٢) ، فتح البارى جـ ٦ ص ٨٥

وعن سلمان . قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه . وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليـه رزقه ، وأمن الفتان »[1] .

***

● **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله :**

ومما يظهر فضـل الجهاد فى سبيل الله هـدفه العام الذى شرع من أجله :

عن أبى موسى رضى الله عنه قال : جاء رجـل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجـل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليـا فهو فى سبيل الله »[2] .

فالذى يجاهد فى سـبيل الله لاعلاء كلمة الله ، لا لمغنم ، ولا لذكر ورياء ــ واعلاء كلمة الله يتحقق به كل خير ويقضى به على كل شر ــ الذى يجاهد لذلك لا شك يحوز فضلا لا يحوزه الا من سلك سـبيله .

***

اخـلاق المجـاهد

ان من أبرز تعاليم الاسـلام الحربية تنظيم أخلاق المجاهد قائدا كان أو جنـديا ، وسنعيش مع المجاهدين المسـلمين الأول لنرى الأخلاق التى تحلوا بها فضمنت لهم النصر المبين :

١ ــ الشجاعة والصـبر :

فى قمة هـذه الأخلاق الشجاعة والصبر ، وذلك يبدو واضـحا

---

(١) صحيح مسلم جـ ٣ ص ٥٠/١٥٢٠ باب فضل الرباط فى سبيل الله ــ رقم الحديث (١٦٣) .

(٢) صحيح البخارى رقم (٢٨١٠) ، فتح البارى جـ ٦ ص ٢٧ ، صحيح مسـلم جـ ٣ ص ١٥١٢

من تكليف القرآن للمسلمين فى مطلع الاسـلام أن يناضل الواحد منهم عشرة ، وأن يتغلب عليهم بالصبر ، وعنـدما خفف الله عنهم أصبح على المسلم أن يصارع اثنين وأن يصبر ليتغلب عليهما ، استمع الى قوله تعالى:

« يا أيهـا النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قـوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله ، والله مع الصـابرين »(1) .

وقـد ضرب المسلمون الأول ــ وفى قمتهم الرسول صلى الله عليه وسلم ــ أعلى المثل فى التخلق بالشجاعة والصبر ، وقد روى عن على بن أبى طالب قوله : « انا كنا اذا اشـتد البأس واحمرت الحـدق اتقينـا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه » ، ويقول عبد الله ابن عمر : ما رأيت أشـجع ولا أنجد ولا أجـود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وكان الصحابة يرون فى الرسول قدوة لهم .

وقد عبر عن ذلك سعد بن معاذ بقوله : والذى بعثـك بالحـق لو استعرضت بنا هـذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا العدو غـدا ، انا لصـبر فى الحرب ، صـدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك . وكان خالد بن الوليـد يقول لجنده : يا أهل الاسـلام ، ان الصبر عز ، وان الفشـل عجز ، وان النصر مع الصبر .

* * *

٢ ــ الخشونة والتقشف :

ومن الأخلاق التى يراها الاسـلام ضرورية للجندى : الخشونة والتقشف ، ومن الواضح أن اللين والترف يفسدان حياة الجندى ويقضيان على نخـوته ، والتـاريخ يذكرنا بالأبطـال الميـامين الذين وقفـوا

---

(1) الأنفال : ٦٥ ، ٦٦

خلف الخنـدق فى غزوة الأحزاب يدافعون عن الديار وقـد شـدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، وقد رأينا من قبـل ذلك المحارب البطل الذى انسـل من المعركة بدافع الجوع ليأكل بضع بلحات هى كل زاده ، وقـد أثبت أبطال الاسـلام فى الجيل الأول بطولة نادرة لأن نشـأتهم كانت نشـأة صلابة وخشـونة ، انهم كانوا كما وصفتهم رسـل المقوقس اليه : ليس لأحـد منهم فى الدنيا رغبـة ولا نهمة ، جلوسهم على التراب ، وأميرهم كواحد منهم .

وفى العهود الاسـلامية المتأخرة نجد الانكشارية يحققون نصرا مبينا فى مختلف الأرجاء لأن تربيتهم كانت خشـنة شديدة ، فلما ذاقوا اللين وانغمسـوا فى قبع العيش انهاروا وأصبحوا وبالا على أنفسـهم وعلى بلادهم ، وكان لا بد من القضـاء عليهم لتبدأ الدولة من جديد .

ويرتبط بالخشونة فى الحروب : الطاعة ، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الخلق أدق تعبير :

قال تعالى : « طاعة وقـول معروف ، فاذا عزم الأمر فلو صـدقوا الله لكان خيرا لهم »(١) .

***

٣ ــ صـدق البـلاء :

ومن الأخلاق الضرورية للمحارب : صدق البـلاء والاصرار على الصراع ، يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم نقتل آباءنا واخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسـليما . ومضيا على اللقم (أى الطريق المعتدل) وصبرا على مضض الألم ، وجـدا فى جهاد العدو ، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصـاول الفحلين يتخالسـان أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ، ومرة لعدونا منا ، فلما رأى

---

(١) محمـد : ٢١

الله صـــدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينـــا النصر ، حتى اســتقر الاسلام ملقيا جرابه ومبتونا أوطانه .

* * *

٤ ــ انــكار الــذات :

ومن الأخلاق الضرورية للمجاهد : انكار الذات ، ودخول المعركة باسم الجماعة ، والتعاون التام للحصول على النصر وان اختفى دور الفرد فى ثنايا العمل الجماعى ، وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿ **ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾(١) .

أى تبدو فيهم وحــدة البنيــان لا تعدد اللبنات ، ويحكى التاريخ أن مسلمة بن عبد الملك كان أميرا على جيش من جيوش المسلمين ، وكان يحاصر حصنا من حصــون الروم استعصى عليهم فلم يفتحوه . فحرض الأمير جنــده على التضحية والاقدام ، حتى يحدثوا فى ذلك الحصــن ثغرة ، ويثقبوا فيه ثقبـا ، فأسرع واحــد من المســلمين بالاســتجابة لنداء الأمير ، واندفع الى الحصــن وقد وضع لثاما على وجهــه حتى لا يعرفه أحــد ، واستطاع أن يحدث فيه ثغرة اندفع منها جنود المسلمين وفاجأوا الأعــداء واتتصروا عليهم ، ففرح مســلمة كثيرا ونــادى : أين صــاحب الثقب ؟ فلم يأته أحــد ، فصــاح : عزمت على صــاحب الثقب ألا جاء لى ، فحضر الرجل الملثم واستأذن للدخــول على القائد فســأله الحاجب : هل أنت صاحب الثقب ؟ فأجاب : أنا أدلكم عليه ، فأدخله الحاجب ، فلمــا مثل الرجل أمام مسلمة قال له : أيها الأمير ، ان صاحب الثقب يشترط عليكم ثلاثا : ألا تبعثوا باســمه فى صحيفة الى الخليفة ، وأن لا تأمروا له بشىء ، وألا تســألوه من هو . فقال مسلمة : ذلك له ، فقال الرجل فى استحياء : أنا صاحب الثقب ، ثم ولى مسرعا .

---

(١) الصف : ٤

فكان مسلمة بعد ذلك لا يصلى صلاة الا دعا فيها فقال : اللهم اجعلنى مع صاحب الثقب يوم القيامة .

ومثل هذا يروى أنه فى أثناء حصار عكا كان هناك رجل من دمشق يشرف على آلات النفط وتحضير المواد اللازمة للمفرقعات ، فأحرق ثلاثة أبراج للعدو ، فأمر صلاح الدين بأن يمنح جائزة ، ولكن الرجل رفض قبولها وقال : «انما فعلته لله ، ولا أريد الجزاء الا منه»[1].

* * *

٥ ـ الايثار :

ومن الأخلاق الضرورية للمحارب : الايثار ، ففى رحاب الايثار وحدة وصلابة وقوة ، ويذكر التاريخ أن ثلاثة من أبطال المسلمين وقعوا مثخنين بالجراح فى معركة اليرموك وهم : عكرمة بن أبى جهل ، وسهيل ابن عمرو ، والحارث بن هشام ، وعندما كانوا فى النزع الأخير مر بهم الساقى وكل منهم فى حاجة الى قطرات من الماء ، ولكن كل منهم كان يؤثر صاحبيه على نفسه ، فيروى أن الساقى عندما جاء الى عكرمة أشار هذا الى سهيل لأنه كان ينظر الى اناء الماء ، فلما تقدم الساقى من سهيل قال : ابدأوا بالحارث ، ومات الثلاثة دون أن ينالوا من الماء شيئا .

وفى حرب أكتوبر ١٩٧٣ على خط النار فى سيناء مثل الجيش المصرى أروع دور فى الايثار ، فكانوا يعيشون اليوم والأيام يتقاسمون قطعة من البسكويت ، ويقتسمون كوب ماء ليبل كل منهم لسانه فقط .

وكان هذا من أسباب النصر المبين الذى أحرزه جيشنا فى صراعه مع الصهاينة أعداء الله وأعداء الانسانية .

* * *

---

(١) ابن خلدون جـ ٥ ص ٣٢١

تلك هى أبرز الصــفات التى يلزم أن يتخلق بها المجاهد قائدا كان أو جنــديا . ولكن هنــاك صفات خاصــة بالقائد ، ذلك الذى وضعت فى يده مقاليــد الأمور وأرواح الناس من جند يدفع بهم الى المعركة ، ومن شعب التزم القائد بالدفاع عنه وحراســته ، وهذا يحتم على القائد أن يكون أهلا لهذه المســئولية الكبرى ، لأن غلطة واحــدة منه تجر على الجند والشعب ألوانا من الكوارث ، وقــد كتب الهرثمى فى الباب الثــالث من مخطوطتــه عن ســياسة الحرب أبرز الصــفات اللازمة للرئيس ، فقال : أفضــل الرؤساء فى الحرب أفضلهم نقيبة ، وأكملهم عقــلا ، وأطولهم تجربة ، وأبعدهم صــوتا ، وأبصرهم بتدبير الحرب ومواضعها ، ومواضع الفرص والحيل والمكايد ، وأحسنهم تعبئة لأصحابه من العدو ، وأن يكون حسن السيرة عفيفا صارما حازما متيقظا ، شجاعا ، ســخيا[1] .

وقد تعرض الهرثمى لتقوى الله فى الحرب ، وأفرد لها الباب الأول من مخطوطه ، ومما جاء فيــه قوله : ينبغى لصاحب الحرب أن يجعل برأس سلاحه فى حربه تقوى الله وحده ، وكثرة ذكره ، والاستعانة به ، والتوكل عليــه ، والفزع اليه . ومسألته التأييد والنصر ، والســلامة والظفر[2] ، [3] .

* * *

غزوات رسول الله ﷺ والسرايا التى أرسلها النبى الكريم

لقد سميت المعارك وسميت الحملات العســكرية التى لم يحدث فيها قتال والتى كانت بقيادة رســول الله صلى الله عليــه وسلم المباشرة « غزوات » ، أما التى أرســلها النبى صلى الله عليــه وسلم تحت امرة

---

(١) الهرثمى : المختصر فى سياسة الحروب ص ٦ ، ٧ ــ مخطوطة بالجامعة العربية .

(٢) المرجع السابق ص ٤

(٣) أحمد شلبى ــ الجهاد والنظم العسكرية فى التفكير الاســلامى ص ٧٢ ــ ٨٧

أحد القادة المسلمين فقد سميت « سرايا » ما عدا غزوة مؤتة فقد سميت كذلك لأهميتها .

اذ لم يكن للسرية عدد محدد فقــد كان عددها يزداد أو يقل تبعا للمهمة التى توكل اليها ، فبينما كان عدد أفراد السرية يرتفع الى ما يوازى عــددها فى المصطلح المعاصر أو أكثر منه ، نرى أن هذا العدد ينخفض فى بعض الأحيان الى ما يمكن تسميته اليوم بـ «مفرزة» ، لذلك نرى أن ما كان يقصــد به كلمة سرية هو قريب اليوم من كلمة « مهمة » فقــد كان عدد غزوات رســول الله صلى الله عليــه وسلم التى غزا فيها بنفسه سبعا وعشرين غزوة وقد حدث قتال فى تســع منها ، وهذه الغزوات هى : بدر الكبرى ، أحــد ، المريسيع ، الخنــدق ، قريظــة ، خيبر ، فتح مكة ، حنين ، الطائف .

أما السرايا فقد كانت ســبعا وأربعين سرية ، كان يبعثها رســول الله صلى الله عليــه وسلم فى بعض الأحيــان فى مهمات استطلاعية ، وفى أحيان أخرى لدعوة القبــائل الى الاســلام وتعليمهم أسس الدين الجديد ، أو لعقد اتفاقيــات مع بعض هــذه القبــائل تتعهد فيها بأن لا تظاهر أحدا ضد المسلمين ولا تقوم ضدهم بأعمال عدوانية .

أما القبائل التى كانت تظهر العداوة للمسلمين أو تتآمر ضــدهم أو تبيت لهم الشر ، فانها كانت تتعرض اما لغزوة بقصد تأديبها أو لتثبيت قواتها المقاتلة فى أماكنها فلا تهب لنجدة خصــم من أعداء المسلمين ، أو من أجل تشتيت قواتها قبل أن تكمل استعدادتها لمهاجمة المسلمين .

كما كانت القبائل المعادية تتعرض لهجمات سريعة من قبل سرايا المسلمين فتســتولى فيها هذه السرايا على ما تصادفه من أملاك ومواشى الأعداء ، لأن مواشى المســلمون وممتلكاتهم على أطراف المدينــة كانت تتعرض أيضــا وفى أحيان كثيرة لاغارات من جانب القبائل المعادية ، بحيث ان بقاء المسلمين دوما فى حالة الدفاع عن النفس كان مما يشجع

تلك القبائل على زيادة تحرشـاتها واعتداءاتها ، وبالتالى مما يؤدى الى النيل من معنويات المسلمين واضعاف شأنهم .

لذلك كان خـروج الغزوات والسرايا لمهاجمة الأعـداء فى عقر دارهم هو من الأمور الضرورية لفرض هيبـة القوات المسـلمة وردع لأعـدائها .

أما الغزوات والسرايا التى كانت تعترض سـبيل قوافـل قريش التجارية بقصـد الاسـتيلاء عليها ، فانها جاءت ردا على الحرب التى بدأت بشنها قريش ضـد المسلمين بما فى ذلك الحرب الاقتصادية ومنها المقاطعة الاقتصـادية فى الشعب وغيرها من أنواع الظلم والقهر الذى أدى الى حمل المسـلمين على الهجرة الى المدينة تاركين فى مكة منازلهم وممتلكاتهم التى اسـتولى عليها بعـد هجرتهم زعماء قريش .

هذا بينما لم يحدث صـدام أو مواجهة عسكرية على نطاق واسع مع القوات المسـلمة فى غزواتها وسراياها حتى واقعـة بدر الكبرى ، ومن ثم فى عـدد من المعـارك الأخرى التى سنشرحها فى الصـفحات القـادمة[1] .

* * *

نبـذة موجزة عن مجمل الغزوات والسرايا

● سرية حمزة بن عبد المطلب :

كانت سرية حمزة بن عبد المطلب فى شهر رمضان ، الشهر السابع من الهجرة النبوية الشريفة ووصول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنـورة .

قالوا : أول لواء عقـده رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بعد أن قدم المدينة لحمزة بن عبد المطلب ، بعثه فى ثلاثين راكبا شطرين :

---

(١) الفزوات الكبرى ومعارك الفتـح فى العراق ومصر والشـام — عبد الكريم غزال ص ١٢٢

خمســة عشر من المهاجرين وخمســة عشر من الأنصــار • فلما وصل حمزة وجنــده الى شــاطىء البحر اعترض لعير قريش قد جاءت من الشــام تريد مكة ، فيها أبو جهل فى ثلاثمائة راكب من أهــل مكة ، فالتقوا حتى اصطفوا للقتــال ، فمشى بينهم مجدى بن عمرو وكان حليفا للفريقين جميعا ، فلم يزل يمشى الى هؤلاء والى هــؤلاء حتى انصرف القوم وانصرف حمزة راجعــا الى المدينة فى أصحابه ، وتوجه أبو جهل فى عيره وأصحابه الى مكة ولم يكن بينهم قتال[1] •

* * *

● **سرية عبيــدة بن الحــارث الى رابغ :**

ثم عقد لواء لعبيــدة بن الحارث ، فى شــوال على رأس ثمانية أشهر ، الى رابغ — ورابغ على بعــد عشرة أميال من الجحفة — فخرج أبو عبيدة فى ســتين راكبا ، فلقى أبا سفيان بن حرب على ماء يقال له احيــاء من بطن رابغ ، وأبو ســفيان يومئذ فى مائتين ، فما كان من أبى ســفيان الا أن أسرع فى ســيره تجنبا لوقوع الصدام بينه وبين المســلمين وذلك عندما رمى ســعد بن أبى وقاص بأسهمه نحو جمع المشركين • فكان أول من رمى بسهم فى الاسلام سعد بن أبى وقاص ، لم يسلوا الســيوف ولم يصطفوا للقتال أكثر من هذا الرمى للمناوشة ، ثم انصرف هؤلاء على حاميتهم وهؤلاء على حاميتهم[2] •

* * *

● **سرية سعد بن أبى وقاص الى الخرار :**

ثم عقد رســول الله صلى الله عليه وسلم لواء لسعد بن أبى وقاص الى الخرار — والخرار من الجحفة — فى ذى القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجرة رســول الله صلى الله عليه وسلم •

---

(1) المغــازى — الواقدى ج ١ ص ٩
(2) المرجع السابق ج ١ ص ١٠

عن عامر بن سعد عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرار ، فان عيرا لقريش ستمر به » . فخرجت فى عشرين رجلا — أو أحد وعشرين — على أقدامنا ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خميس ، فنجد العير قد مرت بالأمس . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم عهد الى ألا أجاوز الخرار ، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم . فرجع الى المدينة[1] .

* * *

● غزوة الأبواء (٢) :

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى صفر على رأس أحد عشر شهرا ، حتى بلغ الأبواء يعترض لعير قريش ، فلم يلق كيدا ، وفى هذه الغزوة وادع بنى ضمرة من كنانة على ألا يكثروا عليه ، ولا يعينوا عليه أحدا . ثم كتب بينهم كتابا ، ثم رجع ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة[3] .

* * *

● غزوة بواط :

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بواط فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا ، يعترض لعير قريش ، فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير ، ثم رجع ولم يلق كيدا[4] .

* * *

● غزوة بدر الأولى :

ثم غزا النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول من السنة الثانية

(١) المغازى — الواقدى ج ١ ص ١١
(٢) الأبواء : قرية من اعمال الفرع من المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا (معجم البلدان) ج ١ ص ٩٢
(٣) المغازى — الواقدى ج ١ ص ١١ ، ١٢
(٤) المرجع السابق — ج ١ ص ١٢

للهجرة فى طلب « كرز بن جابر الفهرى » ورجـاله الذين أغاروا على سرح للمسلمين كان يرعى على مقربة من المدينة ، فتبعه النبى ومعه قوة من المسـلمين حتى بلغ بدرا ولم يدركه[1] .

* * *

● **غـزوة ذى العشـيرة :**

ثم غزا رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة من السـنة الثانية للهجرة متوجها نحو مكان يسمى « العشيرة » يقع من ناحية ينبع بين مكة والمدينة ، خرج عليـه الصلاة والسلام فى مائتين من المسلمين يعترض لقافلة قرشـية خرجت من مكة تريد الشـام وفيها أموال للقرشـيين جمعت وأرسلت مع تلك القافلة ، لكن القافلة أفلتت من قبضة المسلمين فعادوا الى المدينة ولم تحدث مواجهة بين الفريقين[2].

* * *

● **سـرية نخـلة :**

وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم سرية على رأسـها عبد الله بن جحش فى شـهر رجب من السـنة الثانيـة للهجرة ، وكان عدد أفراد السرية قليلا لأن مهمتها كانت اسـتطلاعية فقط ، وقد أرسـلها النبى الكريم بقيـادة عبد الله بن جحش وأرسـل معه ثمانية رجال كلهم من المهاجرين وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيـه الا بعـد مسير يومين ، فلما سـار عبد الله يومين فتح الكتاب فاذا فيـه : « سر حتى تأتى بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، ولا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك ، وامض لأمرى فيمن اتبعك حتى تأتى بطن نخلة فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم » ـ ونخلة مكان يقع بين مكة والطائف .

---

(١) الفزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق ومصر والشـام ـ عبد الكريم غزال ص ١٢٢ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق .

فلما قرأ الكتاب على أصحابه قال لهم : لست مستكرها منكم أحدا ، فمن أراد منكم الشهادة فليمض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أراد الرجعة فمن الآن .

فقالوا جميعا : نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله ولك ، فسر على بركة الله حيث شئت . فمضى عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وجلودا ، وفيها أربعة رجال من قريش ، فتشاور رجال عبد الله بن جحش فى أمرهم وكان ذلك فى آخر يوم من رجب فقالوا : فوالله لو تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فيمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه وأخذ ما معهم من تجارة ، فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، ثم ألقى رفاقه القبض على اثنين من رجال القافلة وفر الرابع منهم ، وأقبل عبد الله بن جحش بالعير ومعه الأسيران حتى وصلوا الى المدينة ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » ، فوقف العير فلم يأخذ منها شيئا وحبس الأسيرين ، فلما قال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، سقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم هلكوا ، ولا سيما عندما عنفهم اخوانهم المسلمون ولاموهم بينما كانت المدينة تفور فور المرجل . وقالت قريش : لقد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا الرجال . فلما أكثر الناس فى ذلك ، أنزل الله تعالى على رسوله الآية الكريمة :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله ﴾(١) .

---

(١) البقرة : ٢١٧

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من حذر وغم ، قبض رسول الله العير والأسيرين ، فافتدت قريش أحدهما وأسلم الأسير الثانى وأقام فى المدينة[1] .

* * *

● **غـزوة بـدر القتـال :**

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون للاستيلاء على قافلة أبى سفيان عند عودتها من الشام فى طريقها الى مكة . قدرت قوة المسلمين بثلاثمائة مقاتل تقريبا وقدرت قوة المشركين بألف مقاتل .

خرج المسلمون للجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الدين ووقوفا فى وجه المعتدين يحاربون بإيمان فى سبيل هدفين : نصر أو شهادة . أما المشركون فهم قوم يحاربون من أجل دنياهم بنفوس كلها حقد ، يسعون الى البغى والسلطان ، يحرصون على حياتهم ليعودوا الى ما كانوا يتمتعون به من لذات دنيوية .

بدأ القتال فى بدر فى صباح اليوم السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهى فى عصر ذات اليوم ، وقد ولى أهل مكة الأدبار ، لقد تصدعت جموع الشرك أمام قوة الايمان وانتصر جند الله على جند الشيطان .

وكانت المعركة قد انجلت عن سبعين قتيلا وسبعين أسيرا ، وغنم المسلمون كل ما خلف المشركون وراءهم من زاد وعتاد ، أما الذين فازوا بالشهادة فكانوا أربعة عشر شهيدا .

ولم يحزن المسلمون على قتلاهم ولم يبكوا عليهم بل اعتبروا شهادتهم فخرا ومجدا وعزا وشرفا .

---

(1) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق ومصر والشام — عبد الكريم غزال ص ١٢٢ وما بعدها .

وكان النصر العظيم الذى أحرزه المسلمون فى بدر ذا أثر كبير فى نفسية المسلمين ، فقد اشتدت سواعدهم وقويت شوكتهم وعمق ايمانهم ، وهان عدوهم فى نظرهم ، وأصبحوا لا يبالون به ، وازداد اقترابهم من الله[1] .

***

● سرية قتل عصماء بنت مروان :

كانت عصماء بنت مروان تؤذى النبى صلى الله عليه وسلم ، وتعيب الاسلام ، وتحرض على النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاءها عمير بن عدى فى جوف الليل حتى دخل عليها فى بيتها وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من ترضعه فى صدرها ، فجسها بيده ، فوجد الصبى ترضعه فنحاه عنها ، ثم وضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى عمير فقال : « أقتلت بنت مروان » ؟ قال : نعم ، بأبى أنت يا رسول الله . فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى من حوله فقال : « اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب ، فانظروا الى عمير بن عدى » . وقد كان قتلها فى الخامس والعشرين من رمضان من السنة الثانية للهجرة[2] .

***

● سرية قتل أبى عفك :

ثم كانت سرية بقيادة سالم بن عمير ذهبت لقتل أبى عفك الذى كان يحرض الناس على عداوة المسلمين وقتالهم ، ويهجو رسول الله بأشعاره ، وقد قال أبو عفك أبياتا من الشعر بعد وقعة بدر عاب

---

(١) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ــ محمد فرج ص ٢٦٤ وما بعدها (بتصرف) .

(٢) المغازى ــ الواقدى ص ١٧٢

فيها الاسـلام وتهكم على المسلمين ، وقد كان مقتل أبى عفك فى شـهر شـوال من السنة الثانية للهجرة[1] .

* * *

● غـزوة بنى قينقـاع :

وغزا رسـول الله صلى الله عليـه وسلم غزوة بنى قينقاع ، التى كانت فى الخامس عشر من شوال من السنة الثانية للهجرة ، وذلك بعد ما نقض بنو قينقاع عهد الموادعة الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وقد حدثت هـذه الغزوة فى أعقاب حادثة مفادها : أن امرأة مسـلمة من الأنصـار جاءت تشـترى حليا من سوق قبيلة قينقاع اليهودية فى المدينة ، فجلست القرفصـاء أمام أحـد الحوانيت وعلى وجهها غطاء — أو خمار — فجاء رجل من بنى قينقاع فربط طرف ثوب المرأة الى أعلى ظهرها خلسـة بشوكة قوية أو ابرة ، فلما نهضت ظهرت عورتها فضـحك وقهقـه من كان على مقربة منها من اليهود ، فصاحت المرأة مستغيثة فجاء أحـد المسلمين وقتل الرجل الذى صـنع بها ذلك ، وهنـا اجتمع من كان فى السـوق من بنى قينقاع وقتلوا الرجل المسـلم ثم ذهبوا وتحصنوا فى حصونهم ، فسار اليهم رسول الله وحاصرهم حتى استسلموا فأمر صلى الله عليـه وسلم عندئذ باجلائهم عن المدينة ومصادرة أسـلحتهم ، وقد توسـط لهم عبد الله بن أبى قائلا لرسـول الله : يامحمد ، أحسن فى موالى (أى حلفائى) فهؤلاء منعونى يوم بعاث وانى رجل أخشى الدوائر . ثم توجه بعد ذلك بنو قينقاع فى قوافل حملتهم الى الشام ومنهم من ذهب الى خيبر ووادى القرى[2] .

* * *

---

(1) الغزوات الكبرى ومعارك الفتـح فى العراق ومصر والشـام — عبد الكريم غزال .

(2) المرجع السابق .

● غـزوة قرارة الكـدر :

خرج الرسـول صلى الله عليـه وسـلم الى بنى سليم وغطفان ، فى الخـامس عشر من المحـرم من السـنة الثانيـة للهجرة ، وقـد غـاب الرسـول فيها خمسـة عشر يومـا ، والكدر هـو اسـم ماء لبنى سـليم . خرج رسـول الله صلى الله عليـه وسلم من المدينة الى قرارة الكدر عندما علم أن بها جمعا من غطفان وسليم ، فسار رسول الله صلى الله عليـه وسلم اليهم وأخذ عليهم الطريق ولم يجد فى المجال أحدا . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بنعم ، فانحدر الى المدينة حتى صلى الصبح بها ، فأمر أن يقسـموا غنائمهم ، واقتسموا غنائمهم فأصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة ، وكان القوم مائتين[1] .

* * *

● غـزوة السـويق :

وقعت فى الخامس من ذى الحجة من السنة الثانية للهجرة ، وفى هـذه الغزوة خرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقة أبى سفيان الذى هاجم أطراف المدينة ومعه مائتى فارس من قريش ، فقتل اثنين من المسـلمين ولاذوا بالفرار عندما تعقبهم المسـلمون ، وجعل أبو سفيان وأصـحابه يتخففون فيلقون طعام « السويق » ، فجعـل المسـلمون يمرون بها فيأخذونها[2] .

* * *

● قتـل ابن الأشرف :

وكانت سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فى شـهر ربيع الأول من السـنة الثالثة للهجرة . وقد قتل ابن الأشرف ، اذ كان ابن الأشرف رجلا يهوديا أخـذ يهجو المسـلمين فى أشعاره ويحرض

(١) المغـازى ـ الواقدى جـ ١ ص ١٨٢
(٢) المرجع السابق ـ جـ ١ ص ١٨١

قريشـا على حرب المسـلمين ومهاجمتهم فى المدينة حيث قال : ان بطن الأرض خير من ظهرها بعد ما قتل سادة العرب وأشرافهم ببدر[1] .

***

● شـان غزوة غطفان بذى أمر :

وكانت فى ربيع الأول من السـنة الثالثة للهجرة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد عشر يوما ، وذو أمر اسم لمـاء بنجد[2] .

***

● غـزوة بنى سليم ببحران :

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى سليم ببحران فى الأيام الأولى من جمادى الأولى من السـنة الثالثة للهجرة ، وقد غاب عليـه الصـلاة والسـلام فى هـذه الغزوة عشرة أيام ورجع الى المدينـة ولم يلق كيـدا[3] .

***

● سـرية القردة :

ثم كانت سرية القردة وأميرها زيد بن حارثة ، و « القردة » ماء بنجد . وقـد كان مسـير هـذه السرية فى منتصف شـهر جمادى الآخرة من السـنة الثالثة حيث ذهبت سرية زيد بن حارثة وكان عددها مائة راكب لكى تعترض طريق تجارة لقريش فى قافلة سلكت طريق نجد متوجهة الى العراق وذلك بعد ما تخوف القرشـيون من الذهاب عن طريق سـاحل البحر الأحمر فى قوافلهم التجارية الى الشـام فى أعقاب انتصار المسلمين فى واقعة بدر الكبرى . وقد كانت هـذه القافلة تحمل

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح ـ عبد الكريم غزال .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المغـازى ـ الواقدى جـ ١ ص ١٩٦

كثيرا من الفضـــة وأصنافا ثمينة غيرها استولت عليها سرية زيد بن حارثة ثم عادت الى المدينة ومعها أسـيرين[1] .

***

● غــــزوة احــــد :

« أحـد » اسم جبل شـهير من جبال المدينة المنورة . نشبت هذه المعركة الهائلة بين المسلمين والمشركين يوم السبت الموافق الخامس عشر من شوال من سنة ثلاث من الهجرة . وقـد كانت هـذه المعركة ثانى معركة داميـة طاحنة يخوضها المسـلمون ضد مشركى مكة وهى أعظم من معركة بدر من حيث كثرة الاستعداد وضخامة القوات التى اشتبكت فيها . وسبب هـذه المعركة ، هو أن قريشـا لمـا هزمت فى معركة بدر ، وفتك المسـلمون بقادتها وزعمائها ، وهدموا هيبتها فى نفوس العرب ، صممت على الانتقام من المسـلمين وقررت مهاجمتهم فى عقر دارهم ، وقـد بلغت قوة قريش فى هـذه الحمـلة ثلاثة آلاف مقاتل وثلاثة آلاف بعير ، ومئتا فرس ، وسـبعمائة درع . وكان أبا سـفيان قائدا عاما للجيش وخالد بن الوليد قائدا لسلاح الفرسان .

خرج النبى صلى الله عليـه وسلم الى العدو على رأس جيش بلغ حوالى ألف مقاتل واقتربت سـاعة الصـفر ، فبعد أن أتم الفريقـان تعبئتهما وأخـذ كل من القادة والجنود مكانه المرسـوم له ، تقابل الخصمان وجها لوجه ، ثلاثة آلاف من فرسان المشركين وأبطالهم تقودهم الحمية الجاهليـة وتدفعهم الرغبة فى الأخـذ بالثأر ، يواجهون سبعمائة من المسـلمين تدفعهم الرغبـة الصادقة فى الاستشهاد فى سـبيل الله والانتصـار لرفع كلمة الله ، وانهزم الكفر أمام الايمان وكادت المدينة تسجل مرة أخرى على مكة نصرا سـاحقا ، لا يقل روعة وفاعلية عن النصر الذى سـجلته عليهم فى ملحمـة بدر ، ولكن الكارثة حلت بالمسـلمين عندما خالف الرماة أوامر رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وتركوا أماكنهم فى الجبـل ، فقد لمح خالد بن الوليد قائد فرسـان

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح ـ عبد الكريم غزال .

مكة ترك أكثر الرماة لمراكزهم فى الجبـل فاغتنم الفرصـة على عجل واندفع نحو مواقع الرماة فى الجبـل وقضى على من بقى منهم ثم انقض بفرسـانه على مؤخرة الجيش الاسـلامى وتغير الموقف وتحول مجرى القتال لصـالح المشركين وانسحب المسلمون واعتصموا بالجبل لاعادة تنظيم صفوفهم .

بلغت خسـارة المسلمين فى هذه المعركة سبعين شهيدا ، وحوالى مائة وخمسين جريحا ، وبلغت خسـائر المشركين اثنين وعشرين قتيـلا أما الجرحى فلم يعرف عددهم[1] .

* * *

● **غـزوة حمراء الأسـد :**

وقعت هذه الغزوة يوم الأحد السادس عشر من شوال من السـنة الثالثة من الهجرة ، أى فى اليوم التالى من غزوة أحد .

تحالفت المحن والبلايا ضـد المسلمين من جديد ـ بعـد معركة أحد ، كنتيجة للنكبة التى أصـابت المسلمين فى هذه الغزوة ، غير أن الرسـول صلى الله عليـه وسلم لم يستسلم لليأس ولم يفت فى عضده فداحة المصـاب الذى نزل بجيشه فى واقعة أحـد ، بل سـارع الى القيام بأعمال عسـكرية حاسمة سريعة ، كانت غاية فى النجاح ، أعاد بها النظام واسـتعاد بها هيبة المسلمين وأمن قاعدتهم الكبرى « المدينة » فمن ناحيـة البدو المتحفزين للهجوم على المدينة ، فقد سـارع الرسول صلى الله عليه وسلم الى تأديبهم وضربهم فى ديارهم حيث جرد عليهم حملات عسـكرية خاطفة ، أوقعت بهم فى منازلهم قبل أن يتحركوا منها نحو المدينة فشتت شـملهم وملأ نفوسـهم فزعا ورعبـا . أما اليهود الذين سـارعوا بعد معركة أحـد الى اثارة القلاقل وحبك المؤامرات ضـد المسلمين فقد تنبه الرسـول صلى الله عليه وسلم وطهر المدينـة من رجسهم حيث سـارع الى نفيهم من المدينة ، وهـؤلاء اليهود هم

---

(١) من معارك الاسلام الفاصلة : غزوة احد ـ محمد احمد باشميل (بتصرف) .

بنو النضير الذين أجلاهم الرسول من يثرب بعد حصـــار دام عشرين ليـــلة .

وبهذه الأعمال السريعة الحاسمة التى قام بها النبى صلى الله عليـــه وسلم ضـــد اليهود والأعراب والمنافقين استعاد المسلمون هيبتهم وعادت لهم السـيطرة التامة على المدينة وظل المسلمون سادة الموقف فى منطقة يثرب[1]

* * *

● **ســـرية بئر معـونة :**

ثم كانت سرية بئر معونة ، فى شـــهر صـــفر من الســـنة الثالثة للهجرة ، وعدد السرية كان أربعون رجلا ، وقيل ان عددها كان سبعين ، أميرهم المنذر بن عمرو الســـاعدى ، اذ كان لهذه السرية مهمة الدعوة الى دين الله وقد أرســلها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم الى بنى عامر ليعلمهم الاســـلام ، لكن بنى ســـليم غدروا بهذه السرية وقتلوا جميع أفرادها بعد ما قاتل المســـلمون باستبسال حتى آخر رجل منهم ، حيث دار هـــذا القتال بالقرب من بئر لبنى سليم يسمى « بئر معونة »[2] .

* * *

● **ســـرية الرجيع :**

وكانت سرية الرجيع ــ أو يوم الرجيع ــ فى صفر من السنة الثالثة للهجرة ، وكان عـــدد السرية أو البعثة ســبعة رجال على رأسهم مرثد ابن أبى مرثد الغنـــوى ويقـــال انه كان أميرهم عاصـــم بن ثابت بن أبى الأقلح ، وبعثهم رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم الى ديار قبيلتى « عضل » و « القارة » لتعليمهم الاسلام بناء على طلب هاتين القبيلتين ، فلما وصل أصحاب رســـول الله الى ماء اســـمه الرجيع بين المدينة ومكة

---

(١) غزوة أحـــد ـــ محمد أحمد باشميل ص ٣٤٨ ، ٣٤٩

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـــام ومصر ـــ عبد الكريم غزال .

وعلى مقربة من عسفان غدرت بهم عضل والقارة فقتلوا بعضهم وأسروا البعض الآخر ثم اقتادوا الأسرى الى مكة فباعوهم الى قريش وبذلك أصبح اسم « عضل » و « القارة » منذ ذلك الحادث اسما مشؤما يطلقه المسلمون على كل جماعة غادرة أو عمل سيء عدائي يوجه ضدهم[1] .

* * *

● **غزوة بنى النضير :**

ثم كانت غزوة بنى النضير فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة وقد حدثت هذه الغزوة عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نادى قبيلة بنى النضير اليهودية ومعه عدد من أصحابه للتباحث معهم بشأن دية رجلين من بنى عامر كان قد قتلهما أحد المسلمين خطأ ، لأن بنى النضير كانوا حلفاء لبنى عامر فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى بهو ناديهم بعدما رحب بنو النضير بقدومه قائلين له : نفعل يا أبا القاسم ما أحببت ، اجلس حتى نطعمك ، ثم خلا بعضهم ببعض وأخذوا يتهامسون ، فقال زعيمهم حيى بن أخطب : يا معشر اليهود ، لقد جاءكم محمد فى نفر قليل من أصحابه ، فاطرحوا عليه الحجارة من فوق هذا البيت الذى هو تحته فاقتلوه ، فلن تجدوه أخلى منه الساعة ، فانه ان قتل تفرق أصحابه ، فلحق من كان معه من قريش بقومهم وبقى من كان ههنا من الأوس والخزرج فعادوا حلفاءكم كما كانوا . فوافق حيى بن أخطب بعض قومه وخالفه آخرون وأنكروا عليه هذا العمل ، حتى قال رجل من بنى النضير اسمه عمرو بن جحاش : أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة ، فلما صعد لالقاء الصخرة وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد لاحظ حركاتهم المريبة أوحى الله تعالى الى نبيه بما يبيت له ، فنهض من مكانه قبل تنفيذ المؤامرة وذهب الى المدينة ولحق به أصحابه ،

---

(1) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر — عبد الكريم غزال .

وفى اليوم التالى أعد النبى صلى الله عليه وسلم قوة من المسلمين سار بهم الى حصون بنى النضير فحاصرهم خمسة عشر يوما حتى نزل بنو النضير فى نهايتها على شروط رسول الله التى قضت بأن يجلوا عن المدينة ويأخذوا معهم ما حملت جمالهم من أموالهم ما عدا السلاح ، وأن لهم عشرة أيام حتى يجمعوا ما لهم من دين فى الناس ، فمنهم من أسلم وظل فى المدينة ، أما غالبيتهم فقد توجهت فى قوافل حملتهم الى خيبر ، ومن خيبر ذهب زعيمهم حيى بن أخطب فى وفد قومه الى مكة فحرض زعماء قريش وغيرها من القبائل على مهاجمة المسلمين فى غزوة الأحزاب[1] .

* * *

● **غزوة بدر الموعد :**

ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة « بدر الموعد » ومعه ألف وخمسمائة رجل من المسلمين ، وذلك فى منتصف شهر ذى القعدة من السنة الرابعة للهجرة ، وهذه الغزوة هى التى كان قد تواعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان فى معركة أحد أن يلتقيا فيها ، غير أن أبا سفيان تخوف من لقاء المسلمين فى بدر فتخلف عن المجىء اليها وقد غاب النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ستة عشر يوما[2] .

* * *

● **سرية ابن عتيك الى خيبر :**

وكانت سرية أميرها عبد الله بن عتيك لقتل « أبى رافع » واسمه سلام بن أبى الحقيق ، وهو أحد زعماء بنى النضير ، وكان عدد السرية خمسة رجال ، ذهبت الى خيبر وقتلت أبى رافع ، وذلك فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة من السنة الرابعة للهجرة ، وقد كان سبب قتله أنه كان يتفاوض مع قبيلة غطفان ويحرض غيرها من مشركى العرب

---

(١) المغازى — الواقدى جـ ١ ص ٢٦٣ — ٣٨٠ (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر — عبد الكريم غزال ص ٩٨ — ١٢١

ليقوموا مجتمعين فى حملة لمهاجمة المسـلمين فى المدينة لقاء مكافآت سـخية وعد بتقديمها لهم[1] .

❊ ❊ ❊

● **غـزوة ذات الرقـاع :**

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة « ذات الرقاع » وسميت بهذا الاسم لأنه جبـل فيـه بقع حمر وسـواد وبياض وكان ذلك فى العاشر من المحرم من السنة الرابعة للهجرة ، وفى هـذه الغزوة خرج النبى صلى الله عليـه وسلم فى أربعمائة من أصحابه للقاء قوات متحالفة من قبيلتى أنمار وثعلبة اللتين كانتا تتهيآن وتعدان العدة لمهاجمة المسـلمين فى المدينة ، فلما اقترب المسـلمون من ديار هاتين القبيلتين تفرق القوم وقـد أصـابهم الذعر من هـذه المفـاجأة التى لم يكونوا يتوقعونها قبـل استكمال اسـتعداداتهم لذلك فروا الى رؤوس الجبال تاركين كثيرا من الغنـائم التى اسـتولى عليها المسلمون ثم عادوا الى المدينـة[2] .

❊ ❊ ❊

● **غـزوة دومـة الجنـدل :**

ثم كانت غزوة « دومة الجندل » فى ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة . فخرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من المسلمين عندما علم بأن فى دومة الجنـدل جموعا كبيرة من المشركين تعتدى على التجار الذين كانوا يجلبون الدقيـق والزيت من الشـام الى المدينـة المنورة ، فسـار النبى صلى الله عليـه وسلم برجاله حتى وصـل الى مسافة قريبة من دومة الجندل ، وهناك وجد المسلمون ماشية وابلا كثيرة تركها أصحابها وفروا الى دومة الجنـدل وأخبروا أهلها بقـدوم جيش المسـلمين فتفرقوا ، فلما دخلها المسـلمون لم يجدوا أحدا فيها ، فعاد

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـام ومصر — عبد الكريم غزال ، ص ٩٨ — ١٢١

(٢) المغـازى — الواقدى جـ ١ ص ٣٩٥

رسول الله مع أصحابه الى المدينة ومعهم قطعان الابل التى غنموها فى هــذه الغزوة[1] .

* * *

● غـــزوة بنى المصطلق :

ثم كانت غزوة بنى المصطلق فى شهر شعبان من الســنة الخامســة للهجرة ، وبنو المصطلق بطن من خزاعة وسيدهم هو الحارث بن ضرار .. وبلغ رســول الله صلى الله عليه وسلم أن الحارث قــد جمع لحربه نفر من قومه ومن العرب ، فخرج الرســول صلى الله عليــه وسلم فى ألف مقاتل ، ومعه ثلاثون فرســا وســمح رســول الله لعــدد من المنافقين فخرجوا مع الخارجين . وبلغ المسلمون مكانا يقال له المريسيع ، حيث رفع راية المهاجرين أبى بكر وراية الأنصار سعد بن عبادة واصطف الفريقان وجها لوجــه . وعرض عليهم الرســول الاسلام فأبوا وتراموا بالنبل ثم أمر الرســول بشــن الهجوم ، فحمل المســلمون عليهم حملة رجل واحد فقتلوا من القوم عشرة ، وأسروا الباقى ووضــعوا أيديهم على مغانم كثيرة ، وتزوج الرســول جويرية بنت الحارث حتى يدخل قومها فى الاســلام[2] .

* * *

● غـــزوة الخندق او الأحزاب :

تحالفت قريش مع قبائل غطفان وجهزوا عشرة آلاف مقاتل لمهاجمة المسلمين فى عقر دارهم (المدينة المنورة) ، بينما لا يزيد جيش المسلمين على ثلاثة آلاف مقــاتل . واجتمع رســول الله صلى الله عليــه وسلم بأصحابه يشــاورهم فى الأمر فاقترح ســلمان الفارسى حفر خنــدق حول المدينة ليحميهم من هجــوم جيش الأحزاب ، وتم حفر الخنــدق بأيدى المســلمين وعلى رأسهم رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعــد

(١) المغــازى ـ الواقدى ج ١ ص ٤٠٣
(٢) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ـ محمد فرج ص ٤٢٨

حفر الخندق أصبحت المدينة كالحصن المنيع الذى لا يمكن الوصـــول اليه الا عن طريق المغامرات الانتحارية ، وبعد أن أتم المســـلمون حفر خندقهم حول المدينة بقيت قواتهم خلفـــه مرابطة متيقظة فى انتظار جيش الأحزاب بقيادة أبى ســـفيان • تحركت جيوش الأحزاب نحو المدينة وقد كان الميعاد المتفق عليـــه بين قادة الأحزاب التجمع حـــول المدينة فى شـــهر شوال من السنة الرابعة للهجرة •

وعندما وصلت جيوش الأحزاب الى المدينة وجدوا أنفســـهم أمام مفاجأة عسكرية ذهلوا لها وصعقوا ، وجـــدوا أنفسهم أمام خنـــدق • فكانت هـــذه المكيدة التى لم يألفها العرب من قبـــل ســـببا فى قلب خططهم رأســـا على عقب •

وظل الحال هكذا مدة من الزمن قصيرة ــ ترام بالنبـــل وجولان بالخيل للارهاب من جانب قريش ودوريات من الجانبين •

وبعد حصار خانق شـــديد دام حوالى شهر بلغت حالة المسلمين من الضيق والتعب والارهاق حد الأعياء • هبت عاصفة هوجـــاء عاتية على معســـكر الأحزاب فاقتلعت خيـــامهم فأسرعوا يلبون داعى الهزيمة بالفرار ، وعـــاد المسلمون الى المدينة حامدين لله تعـــالى بركته وتأييده وعونه[1] •

* * *

● **غـــزوة بنى قريظة :**

ثم كانت غزوة بنى قريظة ، والتى جاءت فى اليوم التالى لغزوة الأحزاب مباشرة • وحاصرهم المســـلمون فى حصونهم ، وبعد أن تمت عملية الاستسلام أمر النبى صلى الله عليـــه وسلم أن يوضع الرجال فى حبس خاص بهم • أما النســـاء والذرارى فقد أمر صلى الله عليه وسلم أن يحفظوا فى مكان ليس فيه صفة الحبس والتضييق •

---

(١) غزوة الأحزاب ــ محمد احمد باشميل (بتصرف) •

وفوض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأوس سعد بن معاذ ليحكم فيهم بما يريه الله تعالى . وحكم سعد بن معاذ بالاعدام ضربا بالسيف على كل من بلغ الحلم من رجال يهود بنى قريظة ، وأن تسبى نساؤهم وذراريهم وأن تصادر جميع ممتلكاتهم غنيمة للمسلمين . وتم حكم الاعدام فى يهود بنى قريظة[1] .

* * *

● **سرية عبد الله بن انيس :**

وكانت سرية عبد الله بن أنيس لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى يوم الاثنين فى الخامس من شهر المحرم من السنة الخامسة للهجرة . وسفيان بن نبيح كان يستعد على رأس قوة من قبيلته ويحرض غيرها من المشركين لغزو رسول الله . لذلك ذهب عبد الله بن أنيس الى مضارب تلك القبيلة متنكرا فى الليل الى أن تمكن من سفيان بن خالد فقتله وعاد برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة[2] .

* * *

● **غزوة القرطاء :**

وكانت غزوة القرطاء وأميرها محمد بن مسلمة ومعه ثلاثون رجلا من المسلمين ذهب لغزو بنى بكر حتى أغار على جمع منهم فقتل عشرة رجال وساق الأغنام والابل ثم عاد الى المدينة . وكان ذلك فى شهر المحرم من السنة الخامسة للهجرة[3] .

● **غزوة بنى لحيان :**

وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منتصف ربيع الأول من السنة السادسة للهجرة على رأس مائتى رجل من أصحابه ، منهم عشرون فارسا ، سار بهم حتى وصل الى عسفان ثم عاد

---

(١) غزوة بنى قريظة ــ محمد احمد باشميل (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ــ عبد الكريم غزال .

(٣) المغازى ــ الواقدى جـ ٢ ص ٥٣٤

الى المدينة ولم يلق كيدا ، لأن بنى لحيـان فروا وتفرقوا فى رؤوس الجبال عندما علموا بمسير رسول الله اليهم(١) .

* * *

● **غـزوة الغـابة :**

وقد خرج رسـول الله فى هـذه الغزوة فى شـهر ربيع الثـانى من السـنة السادسة للهجرة لمطاردة عيينة بن حصـن الذى أغار هـو وأربعون فارسـا من فرسانه على أغنـام وابل للمسلمين كانت ترعى على أطراف المدينة ، فلما تعقبـه المسلمون ترك مواشى المسلمين وفر ، ولكن بعد ما قتل المسلمون من رجاله أربعة فرسان(٢) .

* * *

● **سرية عكاشة بن محصن الى الغمر :**

وبعث رسول الله صلى الله عليـه وسلم عكاشـة بن محصن فى أربعين رجـلا فى أواخر ربيع الثانى من السنة السادسة للهجرة لغزو بنى أسد فلما وصل عكاشـة الى ماء لهذه القبيلة اسمه الغمر وجد على مقربة من المـاء مائتى بعير وماشية أخرى فاستاقها وعاد الى المدينة(٣) .

* * *

● **سرية محمد بن مسلمة الى ذى القصـة :**

بعث النبى صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة على رأس سرية عددها عشرة رجال الى مكان اسمه ذى القصة ، وذلك لغزو بنى ثعلبة الا أن الأعراب الذين كانوا فى مائة مقاتل أحاطوا ليلا بهذه السرية وقتلوا جميع أفرادها ، وجرح محمد بن مسـلمة جرحا بليغـا ، فلم يتحرك فاعتقد القوم أنه قتل ، فلما انصرفوا عنه حمله أعرابى الى المدينة مر به

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـام ومصر ــ عبد الكريم غزال .

(٢) المرجع السـابق .

(٣) المغـازى ــ الواقدى جـ ٢ ص ٥٥٠ .

ووجده جريحا بين القتلى ، وفى المدينة برىء من جراحه ، وكان ذلك فى شهر جمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة[1] .

* * *

● سرية زيد بن حارثة الى العيص :

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى العيص على رأسه سرية عددها مائة وسبعون راكبا تعترض لقافلة قرشية كانت قادمة من الشام فاستولت هذه السرية على القافلة التى كانت فيها سلع ثمينة وفضة ، كما أسرت عددا من رجال القافلة ، كان من بينهم أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ، وقد سبق لزينب أن هاجرت الى المدينة وبقى زوجها أبو العاص مشركا فى مكة . فلما أسرته سرية زيد بن حارثة وأحضرته الى المدينة أفلت من جند السرية وذهب الى بيت زوجته زينب واستجار بها فأجارته وطلبت من والدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد عليه ما أخذ منه من مال ففعل ذلك الرسول بعد ما تشاور مع أصحابه فى الأمر ، فلما رجع أبو العاص الى مكة وأدى الى كل ذى حق حقه من التجارة ، قالوا له : جزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما ، فقال هو : وانى الآن أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وانى أسلمت فى المدينة وما منعنى أن أقيم فيها الا خشيتى من أن تظنوا أنى أسلمت لآكل عليكم أموالكم .

وقد قيل لأبى العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال قريش فى هذه القافلة التجارية : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال فانها أموال مشركين ؟ فقال : بئس ما أبدأ به اسلامى أن أخون أماناتى ، بعد ذلك عاد أبو العاص الى المدينة ورجع الى

---

(1) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر — عبد الكريم غزال .

زوجته التى أحلت له عندئذ ، وكان ذلك فى رجب من السنة السادسة للهجرة(١) .

* * *

● سرية زيد بن حارثة الى الطرف :

ثم كانت سرية بقيادة زيد بن حارثة عددها خمسة عشر رجلا ذهبت الى الطرف وهو ماء على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، وعند ذلك الماء كانت مضارب بنى ثعلبة ، فلما وصلت سرية زيد الى مقربة من الطرف وجدت سرحا لبنى ثعلبة فساقته وعادت به الى المدينة ، وكان ذلك فى رجب من السنة السادسة للهجرة(٢) .

* * *

● سرية زيد بن حارثة الى حسمى :

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى حسمى وهو مكان لبنى جذام ، وكان عدد السرية خمسمائة مقاتل بامرة زيد ابن حارثة لتخليص أموال استولى عليها بنو جذام عندما هاجموا دحية الكلبى مبعوث رسول الله الى قيصر الروم ، وأخذوا ما كان معه من تجارة قدم بها من الشام ، وكان ذلك فى أواخر رجب من السنة السادسة للهجرة(٣) .

* * *

● سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فى شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة ، على رأس سرية عددها سبعمائة مقاتل وأوصاه بدعوة بنى كلب الى

---

(١) المغازى ــ الواقدى جـ ٢ ص ٥٥٣

(٢) الفزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ــ عبد الكريم غزال ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) المغازى ــ الواقدى جـ ٢ ص ٥٥٥ ، ٥٦٠ .

الاسلام وقال له : « ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم أو سيدهم » ، فلما دعاهم عبـد الرحمن بن عوف الى الاسـلام استجابوا له ، فتزوج ابنة ملكهم تماضر بنت الأصبغ بن عمرو ، ثم قـدم بها المدينة ، وهى أم أبى سـلمة(١) .

* * *

● سرية على بن أبى طالب الى بنى سعد بفدك :

بعث رسـول الله صلى الله عليه وسلم عليـا كرم الله وجهه فى مائة رجل الى حى سـعد بفدك ، وبلغ رسول الله صلى الله عليـه وسلم أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسـار الليل وكمن النهار حتى وصل على رضى الله عنه الى معسكر بنى سعد فوجده خاليا بعد ما فر كل من فيـه ، فاسـتولى المسلمون على سرح لبنى سعد عدده خمسمائة بعير وألفا شـاه ثم رجعـوا الى المدينة ، وكان ذلك فى أواخر شـهر شـعبان من السـنة السـادسة للهجرة(٢) .

* * *

● سرية زيد بن حارثة الى بنى فزارة بن بدر :

ثم كانت سرية بقيادة زيد بن حارثة لغزو بنى فزارة بن بدر ، الذين سـبق لهم أن اعترضـوا لتجارة للمسلمين كانت ذاهبـة الى الشـام بقيادة زيد بن حارثة نفسـه ، فاستولوا على القافلة التجارية وضربوا من كان فيها ضربا مبرحا ، لذلك أرسـل النبى صلى الله عليه وسـلم زيد بن حارثة لتأديبهم ، فلمـا وصـل زيد وسريته الى ديار فزارة بن بدر لم يجـدوا القوم فرجعـوا الى المدينة وقد أصابوا بعض الغنائم والسبى كان فيه امرأة تدعى « أم قرفة » وكان ذلك فى شهر رمضان من السـنة السادسة للهجرة(٣) .

* * *

---

(١) المغـازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٥٦٠ .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق .

● **سرية عبد الله بن رواحة الى اسير بن زرام :**

بعث رسـول الله صلى الله عليـه وسلم عبد الله بن رواحـة على رأس سرية عددها ثلاثون رجـلا الى أسـير بن زرام فى شهر شوال من السـنة السـادسة للهجرة ، وكان أسـير بن زرام من كبار زعماء اليهود فى خيبر وقـد أراد أن يحالف غطفان بقصـد مهاجمة المسلمين فى المدينة ، لذلك ذهبت سرية ابن رواحة لتسـتطلع الأمر وتقف على ما يجرى هنـاك . وفى خيبر دخـل عبد الله بن رواحـة على أسـير ابن زرام وقال له : ان رسـول الله بعثنا اليك أن تخرج اليه فيستعملك على خيبر ويحسن اليـك ، فطمع « أسـير » فى ذلك وشـاور قومه فخالفوه فى الخروج ، فقال لهم : لقد مللنا الحرب ، ثم خرج مع سرية هو وثلاثون مقاتلا من قومه ، وفى الطريق ندم على خروجه واشـتبك ورجاله فى قتال مع سرية عبد الله بن رواحة فكانت الغلبة للمسلمين ، اذ قتل أسـير بن زرام فى الاشتباك وعدد من رجاله وفر من نجا منهم عائدا الى خيبر[1] .

* * *

● **سرية كرز بن جابر الفهرى :**

ثم أرسل النبى صلى الله عليـه وسلم « كرز بن جابر الفهرى » بعد ما اعتنق الاسـلام ، على رأس سرية عددها عشرون فارسا لملاحقة جمع من الأعراب اسـتاقوا بعض سرح المدينـة عنـدما كان يرعى فى مكان اسـمه الجدر ناحية قباء ، فأعـاد كرز بن جـابر السرح وألقى القبض على الفاعلين ثم أحضرهم أسرى الى المدينة وهنـاك نالوا العقاب الصارم ، وكان ذلك فى أواخر شوال من السنة السادسة للهجرة[2] .

* * *

---

(١) المغـازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٥٥٦

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـام ومصر ـ عبد الكريم غزال .

● غزوة الحديبية او صلح الحديبية :

كان رســول الله صلى الله عليــه وسلم يتطلع شــوقا الى اليوم الذى تؤمن فيــه قريش ، ويهفو قلبــه الى مكة التى أخرجته منها وهو كاره ، كما كان عليــه السلام يتشــوق الى تطهير بيت الله الحرام من رجس الأوثان والأصنام . ففى ليلة من ليــالى شهر شوال من العــام الســادس للهجرة رأى عليــه السلام فى منامه حلما ، رأى أنه قــد دخل مكة مع أصحابه المســلمين محرما مؤديا للعمرة ، وقد ســاق معه الهدى معظما للبيت الحرام مقدســا له . وفى أول ذى القعدة من سنة ست للهجرة خرج رســول الله صلى الله عليــه وسلم وأصــحابه من المدينة وســاقوا معهم الهدى ولم يكن معهم الا الســيوف فى أغمادها اذ لم يكن فى نيتــه عليــه الســلام أن يحــارب قريشــا ، فلما بلغ « ذو الحليفة » أحرم مع بعض أصحابه . واختار النبى صلى الله عليه وسلم طريقا آخر لأنه كان يتحاشى الاصطدام بقريش ابتعادا عن سفك الدماء واراقتها ، وتابعوا ســيرهم حتى بلغوا « الحديبية » وهى بئر تبعد عن مكة تســعة أميال وهنا توقفت ناقة رســول الله صلى الله عليه وســلم عن المسير ، وأقام فى ذلك المكان بانتظار ما سيسفر عنه موقف قريش المتعنتة . ولمــا أدرك النبى صلى الله عليــه وسلم اصرار قريش وعنادها ، انتدب عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرســله الى قريش ، وبعــد عودة عثمان الى معسكر المسلمين ، جاءهم « سهيل بن عمرو » موفدا من قبــل قريش للمفاوضــة ووضــع شروط الصلح وتوقيــع المعاهدة . فاجتمع الى النبى صلى الله عليه وسلم بحضور نفر من كبار الصحابة ، وجرت بين الطرفين محادثات كان فى ظاهرهــا تنازلات من النبى عليــه الســلام وظنها بعض الصــحابة ضعفا وذلة لكن حقيقتها وجوهرها : « نصر من الله وفتح قريب » . ووقع الطرفان وثيقة الصلح الذى ســمى بصلح الحديبية والذى كان ايذانا بالفتح المبين والنصر العظيم (فتح مكة) ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، ثم عاد المسلمون الى المدينة وكفى الله المؤمنين شر القتل والقتال[1] .

---

(١) صلح الحديبية ــ محمد على القطب ، (بتصرف) .

● غـــزوة خيـــبر :

خرج رســـول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فى شهر جمادى الأولى من الســـنة السابعة للهجرة فى ألف وستمائة ومعهم مائة فارس ودفع بالراية الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت المســـافة بين خيبر والمدينة نحـــو مائة ميـــل تقطعها الابل فى خمســـة أيام وقطعها الرســـول صلى الله عليه وسلم على ثلاث مراحل وبلغ موقع خيبر فى اليوم الرابع ، وكان خروج رســـول الله سرا . وعنـــدما رأى اليهود رســـول الله والجيش قالوا : محمـــد والجيش معـــه ، فأدبروا هرابا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر .. خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . وهاجم المسلمون اليهود فى حصونهم من حصـــن الى آخر وســـيطر المســـلمون على خيبر وهكذا انتهت دولة اليهود فى الجزيرة ، وأمن الرسول والمسلمون جانبهم[1] .

* * *

● غـــزوة وادى القرى :

ثم كانت غزوة وادى ألقرى فى شهر جمادى الثانية وذلك عنـــدما انصرف رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم من خيبر بعد ما فتحها حيث توجـــه صلى الله عليـــه وسلم بجيش المســـلمين الى وادى القرى فهاجم حصونها التى كانت بأيدى اليهود وفرض حولها حصارا دام أربعة أيام استسلم فى نهايتها المدافعون عن الحصون ، ثم عقد المسلمون صلحا مع يهود وادى القرى «فدك» و «تيماء» على غرار ما صالح عليه أهل خيبر[2] .

* * *

---

(١) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ــ محمد فرج ص ٤٩١ وما بعدها (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـــام ومصر ــ عبد الكريم غزال ص ٩٨ وما بعدها .

● **سرية عمر بن الخطاب الى تربة :**

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب على رأس سرية عـددها ثلاثون رجلا الى تربة لدعوة بنى نصر بن معاوية وبنى جشـم ابن بكر الى الاسلام وهاتان القبيلتان تمتان فى الأصل الى « هوازن » فلما وصـل عمر ومن معه الى ديارهم فلم يجـد منهم أحـدا فعاد الى المدينة ، وكان ذلك فى شهر شعبان من السنة السابعة للهجرة[1] .

* * *

● **سرية أبى بكر الى نجـد :**

وأرسـل النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنـه على رأس سرية الى نجد فى مهمة دعـوة القبائل للدخول فى الاسـلام ، وكان ذلك فى شـهر شـعبان من السنة السابعة للهجرة[2] .

* * *

● **سرية بشير بن سعد الى فدك :**

وبعث رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بشـير بن سـعد الى بنى مرة بناحية « فدك » على رأس سرية عددها ثلاثون رجلا ، فوجدت هـذه السرية على ماء قريب من فدك أغناما وابلا فسـاقتها وتوجهت نحو المدينة ، لكن بنى مرة عندما أخبرهم رعاتهم الخبر ، أعـدوا قوة كبيرة ، تبعت بشـير بن سـعد فأدركته فى منتصف الطريق واشتبكت مع سريته فى معركة ضـارية قتل فيها عدد من سرية بشير وولى الباقون وقد جرح بشـير بن سـعد جراحا بليغة ، فلما كان الليـل تحامل على نفسـه وذهب الى فدك وهنـاك أقام عند رجل يهودى حتى تحسنت جراحه فعاد الى المدينة ، وكان ذلك فى شهر شعبان من السنة السـابعة للهجرة[3] .

* * *

---

(١) المغـازى ــ الواقدى جـ ٢ ص ٧٢٢

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـام ومصر ــ عبد الكريم غزال ص ٩٧ وما بعدها .

(٣) المرجع السـابق .

● **عمرة القضاء ـ او عمرة القضية :**

خرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم بقصـد العمرة فى شهر ذى القعدة من السـنة السابعة للهجرة وذلك بعد مرور عام كامل على صلح الحديبية ، خرج صلى الله عليـه وسلم قاصـدا مكة حسبما اتفق عليـه فى الحديبية من العام الفائت ، وكان معه ألفان من المسلمين ومائة فارس بسلاحهم الكامل ، فأدى مناسـك العمرة وعاد الى المدينة وقـد سميت العمرة عمرة القضـاء[1] .

***

● **سرية ابن ابى العوجاء السلمى الى بنى سليم :**

ثم كانت سرية ابن أبى العوجاء السلمى فى شهر ذى الحجة من السـنة السابعة للهجرة وكان عدد السرية خمسـون رجلا ذهبـوا الى بنى سليم بقصـد دعوتهم الى الاسـلام ، فلما وصلوا الى مكان تجمع بنى سـليم وكانوا جمعا كبيرا دعوهم الى الاسـلام فلم يقبلوا منهم ، فتقاتل الجانبان فى معركة حاميـة وغير متكافئة فى العدد ، قتل فيها عـدد من المسلمين وجرح أمير السرية ابن أبى العوجـاء الذى تحامل على جراحه وعاد الى المدينة[2] .

***

● **سرية غالب بن عبد الله بالكديد :**

بعث رسـول الله صلى الله عليـه وسلم غالب بن عبـد الله على رأس سرية عددها عشرون رجلا ليشـن الغارة على « بنى الملوح » فى مكان اسـمه الكديد ، فلمـا وصلت هذه السرية الى مكان بنى الملوح

---

(١) المغـازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٧٣١

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ٩٨ وما بعدها .

لم يجدوا القوم بل شاهدوا ابلا وأغناما فاستاقوها وعادوا الى المدينة ، وكان ذلك فى صفر من أواخر السنة السابعة للهجرة[١] .

* * *

● **سرية كعب بن عمير الى ذات أطلاح :**

وفى شهر ربيع الأول من السنة الثامنة للهجرة . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا الى ذات أطلاح من أرض الشام بقصد دعوة بعض القبائل الى الاسلام من تلك التى تقيم فى منطقة ذات أطلاح ، فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا بل اشتبكوا معهم فى معركة ضارية وقاتلهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حتى استشهدوا وأفلت منهم رجل جريح ، وتحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أن يبعث قوة كبيرة لتأديب القوم فى ذات أطلاح ، فبلغه أنهم ساروا الى مكان آخر فتركهم[٢] .

* * *

● **سرية شجاع بن وهب الى السيء من ارض بنى عامر :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب فى أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن بالسيء بقصد الاغارة ، فذهبت هذه السرية ثم عادت بما أصابت من المواشى والابل ، وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى من السنة الثامنة للهجرة[٣] .

* * *

---

(١) المغازى — الواقدى جـ ٢ ص ٧٥٠
(٢) المرجع السابق — جـ ٢ ص ٧٥٢
(٣) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر — عبد الكريم غزال ص ٩٨

● غــزوة مؤتــة :

بعث رســول الله صلى الله عليــه وسلم الحارث بن عمير الأزدى الى ملك بصرى بكتاب يدعوه للاســلام ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغســانى وقتله ، واشــتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا النــاس الى الخروج فاجتمع لديه ثلاثة آلاف مقــاتل يبغون الثــأر ويطلبونه . وحدد رســول الله صلى الله عليه وسلم القيــادة فجعلها لزيد بن حارثة ، ثم لجعفر بن أبى طالب ، ثم لعبد الله بن رواحة ، ومضى الجيش الى غايته فنزلوا بأرض الشــام عند معان . وبلغهم أن هرقل ملك الروم قــد تجهز لهم فى مائة ألف من الروم وانضم اليهم مائة ألف أخرى من القبــائل العربية مثل لخم وجذام ، ومعهم الخيل والسلاح ، والتقت القوتان فى مؤتة وبدأ القتــال واستشهد القــادة الثلاثة وتم اختيــار خالد بن الوليــد قائدا للجيش ودرس الموقف ثم انتهى الى خطة تتميز بالبراعة والاحكام وانسحب خالد بقواته وعــاد الى المدينة وقد فقد الجيش اثنى عشر رجلا فقط[1] .

※ ※ ※

● غــزوة ذات السلاسل :

وبعث رسول الله صلى الله عليــه وسلم عمرو بن العاص الى مكان أو ماء بأرض جذام فى شمال شبه الجزيرة العربية اسمه «ذات السلاسل» على رأس سرية من المهاجرين والأنصــار عــددها ثلاثمائة رجل ، من بينهم ثلاثون فارســا وذلك بعدما بلغ رســول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا كبيرا من قبيلتى « بلى » و « قضاعة » .. قد تهيأ للاغارة على أطراف المدينة ، وقد بعث النبى الكريم عمرو بن العاص على رأس السرية لأن أخوال عمرو كانوا من قبائل تلك المنطقة ، لعله يستميلهم الى جانبه ، فلما وصــل عمرو بن العاص الى مقربة من أماكن القوم ، علم بأن لهم جمــوعا كبيرة فأرســل الى النبى صلى الله عليــه وسلم يطلب امداده

---

(1) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ــ محمد فرج ص ٦١٨.

بالرجال فبعث عليه الصلاة والسلام مددا اليه بقيادة أبى عبيدة بن الجراح مؤلفا من مائتى مقاتل من بينهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فلما وصل أبو عبيدة وسريته قاتل الى جانب سرية عمرو بن العاص حتى انهزمت جموع العدو وتشتتت فى كل وجه ، فعادت قوة المسلمين الى المدينة ومعها كثير من الغنائم التى أصابتها ، وكان ذلك فى شهر جمادى الثانية من السنة الثامنة للهجرة[1] .

* * *

● **سرية الخبط بقيادة أبى عبيدة :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى سرية فيها المهاجرون والأنصار . وهم ثلاثمائة رجل الى ساحل البحر الأحمر من جهينة فأصابهم جوع شديد فأكلوا الخبط وهو نوع من أوراق الأشجار لهذا سميت السرية بهذا الاسم . وكان ذلك فى رجب من السنة الثامنة للهجرة[2] .

* * *

● **سرية خضرة واميرها ابو قتادة :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة على رأس سرية عددها ستة عشر رجلا للاغارة على حى من غطفان وأوصاهم النبى الكريم بقوله : « سيروا الليل واكمنوا النهار وشنوا الغارة ولا تقتلوا النساء ولا الصبيان » ، فلما وصلت سرية أبى قتادة الى مضارب جماعة من غطفان ومعهم ماشية كثيرة أغاروا على القوم فأصابوا كثيرا من الغنائم وبعض السبايا ، وقد سميت هذه السرية « خضرة » نسبة الى

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ٩٨.

(٢) المغازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٧٧٤

المكان الذى ذهبت اليــه السرية وهو فى نواحى نجد ، وكان ذلك فى شهر شـــعبان من السنة الثامنة للهجرة[1] .

* * *

● **غــزوة الفتح او فتح مكــة :**

نقضت قريش العهد المبرم فى صلح الحديبية ورأى رســـول الله صلى الله عليــه وسلم أن ما قامت به قريش لا مقابل له الا فتح مكة ، وقرر رســـول الله صلى الله عليــه وسلم فتح مكة وأمر أهل بيته أن يجهزوه ، ثم دعا رســـول الله أبا بكر وعمر وتشـــاور معهما فى الأمر ، وأمر عليــه الســـلام بدعــوة كافة الناس الى التجهز وبعث الى من حوله من العرب وطلب منهم الانضمام الى جيش المســلمين ، واستجاب الناس جميعا لدعوته عليه الســـلام ، وبدأوا يتدفقون على المدينـــة ، وكانت خطة رســـول الله صلى الله عليــه وسلم أن يدخـــل مكة دون قتال ، وهـــذا يعنى أن يفاجأ قريش بالجيش الاسلامى دون أن تكون قد اســـتعدت لملاقاته .

خرج رســـول الله صلى الله عليه وسلم لعشر ليـــال من رمضان وخرج معه المهاجرون والأنصـــار لم يتخلف عنه أحـــد منهم ، وبعض القبائل ، وأمر رســـول الله رجاله أن يوقـــدوا جميعا النار حيث نزلوا فأوقدوا عشرة آلاف نار ، فظهر ضـــوؤها فى ظلام الصحراء ســـاطعا ينير فضاءها الواســـع ، حتى أصبح ليلها نهارا . ووصل وفد قريش الى حيث شـــاهدوا النيران التى أوقدها المسلمون ، ورأى أبو سفيان جنود المسلمين فأسلم أبو سفيان وهرع الى مكة يحمل لها الأمان ويدعوهم الى الاستسلام وعدم المقاومة . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح مكة ولم تجد القوات أى مقاومة ، وفتح رسول الله البلد الأمين

---

(١) المغـــازى ــ الواقدى جـ ٢ ص ٧٧٧

وهو يقرأ سـورة الفتح حتى انتهى الى الكعبة الشريفة وعفا عن معشر قريش وقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »[1] .

* * *

● سرية خالد بن الوليد الى بنى جذيمة :

وعندما رجع خالد بن الوليـد من هدم العزى بعثه النبى صلى الله عليـه وسلم الى بنى جذيمة الذين ينحدرون من عبد مناة بن كنانة ، على رأس سرية عددها ثلاثمائة وخمسون رجلا من المهاجرين والأنصار ، فدعاهم خالد الى الاسـلام فقالوا له : اننا مسـلمون ، فسألهم أسئلة تنم عن شـكه باسـلامهم ثم احتدم خلاف بينه وبينهم أدى الى قتل عـدد من بنى جذيمة ، وكان ذلك فى شـهر شوال من السـنة الثامنة للهجرة[2] .

* * *

● غــزوة حـنين :

وغزا رسول الله صلى الله عليـه وسلم « غزوة حنين » التى جاءت مباشرة بعد فتح مكة وذلك فى شهر شـوال من السنة الثامنة للهجرة ، وفيها تعرض المسـلمون لهجـوم مفاجىء من جانب ثقيف ، واختلط الحابل بالنابل وسـاء موقف المسلمين وانهزم النـاس وفروا ، لم يفر رسـول الله فهو رأس الجيش وقائده ، ودعا الناس الى العودة وبدأ القتـال الفعـلى وانتصر المسـلمون بعـد هزيمة .. لأن النصر من عنـد الله[3] .

* * *

---

(1) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ـ محمد فرج ص ٥٤٧ (بتصرف) .

(2) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـام ومصر ـ عبد الكريم غزال .

(3) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ـ محمد فرج ص ٥٨١ وما بعدها .

● غــــزوة الطــائف :

وغزا رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم غزوة أو حصـــار الطائف الذى اســـتمر ثمانية عشر يوما ، وكان ذلك فى شـــوال من الســـنة الثامنة للهجرة[1] .

* * *

● سرية الضحاك بن ســـفيان :

بعث رســـول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بنى كلاب بقيادة أميرها الضحاك بن سفيان الكلابى يدعوهم الى الاســـلام ، وكان ذلك فى شـــهر ربيع الأول من الســـنة التاســـعة للهجرة ، فأبوا فقاتلوهم فهزموهم[2] .

* * *

● سرية قطبــة بن عــامر :

بعث رســـول الله صلى الله عليه وسلم قطبـــة بن عامر على رأس سرية عددها عشرين رجلا الى حى خثعم بناحية « تبالة » وهذا مكان يقع على مقربة من الطائف ، فشـــنوا الغارة على سرح لخثعم فأصابوا ابلا وأغناما وعادوا الى المدينة ، وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى من السنة التاســـعة للهجرة[3] .

* * *

● سرية علقمة بن مجزز المدلجى :

بعث رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم علقمة بن مجزز المدلجى أميرا على رأس سرية عددها ثلاثمائة رجل للنظر فى أمر جمع كبير من

---

(1) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـــام ومصر — عبد الكريم غزال .

(2) المغـــازى — الواقدى جـ ٣ ص ٩٨٢

(3) المرجع السابق — جـ ٣ ص ٩٨١

بحارة الحبشة اقتربوا بمراكبهم من أحد السواحل الغربية من جدة ، فلما شاهد أصحاب المراكب سرية المسلمين هربوا فى البحر فعادت السرية ولم تلق كيدا ، وكان ذلك فى ربيع الآخر من سنة تسع هجرية[1] .

* * *

● **سرية على بن ابى طالب كرم الله وجهه الى الفلس :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فى خمسين ومائة رجل على مائة بعير وخمسين فرسا وجميعهم من الأنصار .. فسارت هذه السرية حتى نزلت محلة آل حاتم من أرض طى فشنوا الغارة مع الفجر على سرح كان فى ذلك المكان فأصابوا كثيرا من الغنائم ثم هدموا صنما اسمه « الفلس » وكان صنما لطىء ، ثم عادوا الى المدينة ، وكان ذلك فى ربيع الآخر من سنة تسع هجرية[2].

* * *

● **غـزوة تبـوك :**

وقعت غزوة تبوك فى شهر رجب من العام التاسع للهجرة ، عندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل واجتمعت معهم بعض القبائل ، ندب الناس الى الخروج وحثهم على النفقة فى سبيل الله فجاءوا بصدقات كثيرة ، وكان أول الداخلين على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم جاء عمر بن الخطاب ثم جاء عثمان بن عفان ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبائل داعيا الى الجهاد فتوافد عليه المؤمنون من أطراف الجزيرة ، تجمع من المسلمين ثلاثون ألفا ، وكانت خيلهم عشرة آلاف بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما وصلوا الى

---

(١) المغازى ــ الواقدى جـ ٣ ص ٩٨٣
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٩٨٤

تبوك لم يجدوا ما أخبروا به من تجمع الروم ونصارى العرب وعادوا دون أن يلقوا كيدا[1] .

* * *

● **سرية خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على رأس أربعمائة وعشرين فارسا لأسر أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل أثناء غزوة تبوك[2] .

* * *

● **سرية خالد بن الوليد الى نجران :**

ثم كانت سرية بقيادة خالد بن الوليد بعثها صلى الله عليه وسلم الى بنى « عبد المدان » فى نجران ليدعوهم الى الاسلام فقبلوا من خالد ما دعاهم اليه ودخلوا فى الاسلام ، وكان ذلك فى شهر ربيع الأول من السنة العاشرة للهجرة[3] .

* * *

● **سرية على بن ابى طالب الى اليمن :**

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب الى اليمن فى شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة على رأس سرية عددها ثلاثمائة فارس من أجل دعوة القبائل فى اليمن الى الاسلام ، فلما بلغ على رضى الله عنه أدنى الناحية التى كان يقصدها وهى أرض « مذحج »

---

(1) غزوة تبوك ــ محمد على القطب ، بتصرف .
(2) المغازى ــ الواقدى ج ٣ ص ١٠٢٥
(3) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ــ عبد الكريم غزال (بتصرف) .

قام يدعو الناس الى الاسلام فأسلم بعض القبائل بدعوته ورفض الدعوة بعضهم الآخر ، فقاتلهم وانتصر عليهم وأصاب كثيرا من الغنائم .

هذه هى غزوات رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وعددها سبع وعشرون غزوة ماعدا «أمر الحديبية» و «عمرة القضاء» أما السرايا فعددها سـبع وأربعون سرية ماعدا سريتى خالد بن الوليـد الى بنى جذيمة ، لأنها كانت ضمن غزوة الفتح ، وسريته الى أكيدر فى دومة الجنـدل لأنها كانت ضـمن غزوة تبـوك ، أما بعض المؤرخين فلهم رأى آخر بما يخص هذا التصنيف ، اذ أن الاختلاف هو فى بعض التفاصيل فقط ، أما الخط العام لهذه الغزوات والسرايا فهو متفق عليه من قبل جميـع المؤرخين الأوائل(1) .

* * *

---

(1) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـام ومصر — عبد الكريم غزال ص ٩٨ — ١٢١

مراجـع الفصـــل الثـالث

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ الجهاد فى القرآن ــ عطية دسوقى عمر .

٣ ــ معجم مقاييس اللغـــة ــ لابن فارس .

٤ ــ حقيقة الجهاد فى سبيل الله وغايته فى الاسلام ــ عبد الله بن أحمد قادورى .

٥ ــ بلغة السالك لأقرب المسالك الى مذهب الامام مالك ــ أحمد ابن محمد الصاوى المـــالكى .

٦ ــ منهاج الطالبين ــ النووى .

٧ ــ المغنى ــ لابن قدامة .

٨ ــ المحلى ــ ابن حزم الظاهرى .

٩ ــ الجهاد فى الاسلام بين الطلب والدفاع ــ صالح اللحيدان .

١٠ ــ مجمع الزوائد .

١١ ــ صحيح البخارى .

١٢ ــ صحيح مســـلم .

١٣ ــ مسند الامام أحمد بن حنبل .

١٤ ــ ســـنن أبى داود .

١٥ ــ ســـنن ابن ماجه .

١٦ ــ ســـنن الدارمى .

١٧ ــ زاد المعاد فى هدى خير العباد ــ ابن قيم الجوزية .

١٨ ــ الجهاد فى الاسلام ــ محمد محمود الزامينى .

١٩ ــ الطبقات الكبرى ــ لابن ســـعد .

٢٠ ــ الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى ــ عبد الله شحاتة .

٢١ ــ فتح البارى شرح صحيح البخارى .

٢٢ ــ المختصر فى سياســة الحروب ــ الهرثمى (مخطــوطة فى الجامعة العربية) .

٢٣ ــ الجهاد والنظم العسكرية فى التفكير الاسلامى ــ أحمــد شــلبى .

٢٤ ــ الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ــ عبد الكريم غزال .

٢٥ ــ المغازى ــ الواقدى .

٢٦ ــ العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ــ محمد فرج .

* * *

محتويات الكتاب

الفصل الثانى : بـر الوالدين
(٨٧ ـ ١٥٦)

الفصل الثالث : الجهاد فى سبيل الله
(١٥٧ ـ ٢٤٨)

＊ ＊ ＊

رقم الايداع بدار الكتب : ١٩٩٠/٧٩٠٩

دار التوفيق النموذجية للطباعة
ت: ٩٢٥٣٠٤
الأزهر، ٣ حيضان الموصلي - بجوار جامع الدعاء